رسائل التوحیدیة

استاد علامه سید محمد حسین طباطبائی


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
DUPL
32101 021971732

رسائل التوحيدية

رسالة التوحيد

رسالة الاسماء

رسالة الافعال

رسالة الوسائط

رسالة الانسان قبل الدنيا

رسالة الانسان فى الدنيا

رسالة الانسان بعد الدنيا

بنياد علمی و فکری
استاد علامه سيد محمد حسين طباطبائی
با همكاری
نمايشگاه و نشر كتاب
قم خيابان ارم تلفن ۲۶۴۳۹
تیراژ : ۲۰۰۰ جلد
خرداد ۱۳۶۵

چاپ حکمت - قم
قد تصدى لطبعها افقر الناس السيد يحيى ابن السيد ذكريا البرقعي اداء لبعض ما عليه من الحقوق



فهرست

موضوع		صفحه
١- رساله فی التوحید- وفیها فصول		
فصل ١	قول السوفطائیه والفلاسفه	٥
فصل ٢	فی ان الوجود حقیقة اصیله	۶
فصل ٣	فی ان الوجود الواجب له اطلاق بالنسبة ...	۶
فصل ۴	فی الدلایل النقلیه من الکتاب والسنه ...	٧
فصل ٥	اختصاص التوحید الاطلاقی بالملة الاسلامیه	١۴
مقاله ملحقه برسالة التوحید وفیها فصول		
فصل ١	التوحید الذاتی	١٥
فصل ٢	فی ان اکمل مراتب التوحید مختص بالشریعة	١۶
فصل ٣	فی ان التوحید الذاتی مشهود بشهود فطری لکل...	١۶
٢- رسالة فی اسماء الله تعالی وفیها فصول		
فصل ١	فی تقسیم اسماء الله تعالی	٢۴
فصل ٢	فی الدلائل النقلیه فی الکتاب والسنه ...	٢۴
فصل ٣	فی ان الذات المقدسه کانت اول الاسماء ...	٢۴
فصل ۴	فی الدلائل النقلیه من الکتاب والسنه وفیها مباحث	٢٨
المبحث الاول	فی اسماء التی خص فی الذکر فی القرآن	٢٨
المبحث الثانی	المیزان الکلی فی تفسیر الاسماء والصفات	٣٣
المبحث الثالث	فی کون الکمالات الاسمائیه ذاتیه ...	٣٥
المبحث الرابع	فی الاعتبارات وحیثیات الاسماء	٣٨
٣- الرساله الثالثه من کتاب التوحید وفیها فصول		
فصل ١	فی انه لافعل فی الخارج الافعله سبحانه	٥٥
فصل ٢	فی الدلائل النقلیه من الکتاب والسنه ...	٥۶
فصل ٣	فی ان نظام کل سافل ثبت فی ما فوقها ثبتا ...	۶٠
فصل ۴	فی الدلائل النقلیه علی ما مر فی الفصل الثالث	۶٣
فصل ٥	فی ان النفوس المجرده فی اول وجودها ...	۶۶
فصل ۶	فی الدلائل النقلیه من الکتاب والسنه ...	٧٢
فصل ٧	فی ارتفاع التوهم من ان سبق القضاء والقدر...	٨٩
فصل ٨	فی الدلائل النقلیه من السنة علی ما مر فی الفصل..	٩٢
فصل ٩	فی انتزاع المشیة من الموجود الصادر منه سبحانه	٩٣

موضوع | صفحه

رسالة التوحيد

هوالله عزاسمه ، رسالة فی التوحید وهی الرسالة الاولی
من کتاب التوحید

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین و الصلوة و السلام علی اولیائه المقربین محمد وآله الطاهرین. ان فی الوجود موجود اواحدا واجب الوجود مستجمعا لجمیع صفات الکمال.

اقول وقداقام علی وجوده وصفاته الملیون من المسلمین وغیرهم براهین حجة تامة معروفة و نحن نثبت هیهنا مبلغ فهمنا من حقیقة هذا المعنی الی فصول.

فصل ۱

لیتامل فیما یقوله السوفسطائیة من ان العالم موهوم و ما یقوله الفیلسوف من ثبوت الحقایق فی الخارج ، وهذا المعنی و ان لم یکن له تفسیر و بیان تام غیر انا ندری ما نقوله و ما یقولون فمرادنا من لفظ الاصیل والواقع ومافی الواقع والحقیقة والوجود ومنشأ الاثار هوالذی نثبته فی قبالهم.

فصل ۲

فحيث انالوجود حقيقة اصيلة ولاغيرله فيالخارج لبطلانه فهو صرف فكل مافرضناه ثانيا له فهو هو اذلوكان غيره او امتاز بغيره كان باطلا فالثاني ممتنع الفرض فهو واحد بالوحدة الحقة على ماتقدم.

و من هنا يظهر انه مشتمل على كل كمال حقيقي في ذاته بنحو العينية.

و حيث ان الوجود بذاته يناقض العدم و يطارده فهو بذاته غير قابل لطرو العدم وحمله عليه فهو حقيقة واجبة الوجود بذاتها.

فحقيقةالوجود حقيقة واجبةالوجود بالذات ومن جميع الجهات مستجمعة لجميع صفات الكمال منزهة عن جميع صفات النقص والعدميات

فصل ۳

حيث ان كل مفهوم منعزل بالذات عن المفهوم الاخر بالضرورة فوقوع المفهوم على المصداق لايخ عن تحديد ماللمصداق بالضرورة وهذا ضروري للمتأمل وينعكس الى انالمصداق الغير المحدود فيذاته وقوع المفهوم عليه متاخر عن مرتبة ذاته نوعا من التاخر و هو تاخر التعين عن الاطلاق.

ومن المعلوم ايضاً ان مرتبةالمحمول متاخر عن مرتبةالموضوع و حيث ان الوجود الواجبي صرف فهو غير محدود فهو ارفع من كل تعين اسمي و وصفي و كل تقييد مفهومي حتى من نفس هذا الحكم

فلهذه الحقيقة المقدسة اطلاق بالنسبة الى كل تعين مفروض حتى بالنسبة الى نفس هذا الاطلاق فافهم .

فصل ۴

ومعنى ماذكرناه فى الفصول السابقة متكرر فى الكتاب و السنة فمنها الايات الكثيرة الدالة على ان لله ما فى السموات و الارض و لله ملك السموات والارض و له ماسكن فى الليل و النهار اذ من الواضح ان هذا الملك ليس هو الملك الاعتبارى الموهوم المعتبر عند العقلاء لغرض التمدن بل هو نسبة حقيقية و النسب الحقيقية لاتتم الابقيام المنسوب بالمنسوب اليه وجودا و ذاتا ولعمرى لولم يكن فى كتاب الله الا آيتان وهما قوله عزاسمه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الابالحق ولكن اكثرهم لايعلمون لكان فيهما كفاية ان يفهم الانسان الحر حقايق هذه المعانى .

فالانسان اذا انتزع عن زخارف هذه الدنيا و اعرض عن عرض هذه الادنى و وحد الهمّ و وجه الوجه نحو الرب الاعلى واشرف نحو عالم القدس شاهد عيانا ان هذه الامور التى دارت بين ابناء الدنيا من المطالب والمقاصد والاغراض والامال والاثار من الملك والامر والاعظم والرياسة والتقدم والعزة والنسب والانساب والاحساب ومقابلاتها وآلاف من انحائها انما هى امور موهومة و ملاعب و ملاهى و امتعة الغرور و كذلك انواع اللذايذ والنعم والاستفادات التى يتنافس فيها المتنافسون و يعمل لها العاملون و يلتقى دونها المنون انما هى اوهام سخر الله

سبحانه عليها ارباب الحيوة ليبلغ الكتاب اجله ولله امر هو بالغه.

فاذا راى هذا الانسان ان الحق عز اسمه فى كتابه و لسان رسوله والسنة اوليائه ينسب الى نفسه انه رحمن رحيم خالق مالك عزيز حكيم غفور شكور، وان له كل اسم احسن وانه منزه عن كل قبيح و نقص و هذاالانسان يعلم ان هذه معان حقيقية ونسب واضافات ثابتة ايقن بلطف القريحة و سلامة الذوق ان هذه النسب انحاء قيام ذوات الموجودات بالحق عزاسمه وقيامه سبحانه بذاته.

ثم اكدله ذلك شهودالحق سبحانه على كل شىء بحسب خصوص ذاته اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد.

ثم قرره على ذلك البرهان فان النسبة الحقيقية الثابتة بحسب ذات الشىء كخلق الحق سبحانه و ملكه لذات الشىء يجب ان تتحقق فى مقام الذات و حيث انها وجودات رابطة فلا تتحقق الا مع طرفيها فالمنسوب اليه متحقق هناك بالضرورة فبالضرورة احدى الذاتين قائمة بالاخرى والالزم وحدة الاثنين وهو محال فملك الحق سبحانه للموجودات نحو قيام ذاتها به سبحانه وكذلك ساير النسب والمعانى فافهم.

و منها الاخبار الكثيرة المستفيضة فى انه تعالى واحد لا بالعدد فقد روى الصدوق ره فى التوحيد والخصال والمعانى مسندا عن شريح بن هانى قال:

انا اعرابيا قام يوم الجمل الى امير المؤمنين (ع) فقال يا امير المؤمنين اتقول ان الله واحد قال فحمل الناس عليه، و قالوا: يا اعرابى اما ترى

مافيه اميرالمؤمنين من تقسم القلب ؟ فقال اميرالمؤمنين : دعوه فان الذى يريده الاعرابى هوالذى تريده من القوم .

ثم قال (ع) يااعرابى ان القول فى ان الله واحد على اربعة اقسام فوجهان منها لايجوزان على الله عزوجل ووجهان يثبتان فيه .

فاما اللذان لايجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا مالايجوز لان مالاثانى له لايدخل فى باب الاعداد اما ترى انه كفر من قال انه ثالث ثلاثة .

وقول القائل هوواحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا مالايجوز لانه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك .

واما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هوواحد ليس له فى الاشياء شبه كذلك ربنا .

و قول القائل انه عزوجل احدىّ المعنى يعنى به انه لاينقسم فى وجود ولاعقل ولاوهم كذلك ربنا عزوجل .

وفى التوحيد مسندا عن هرون بن عبدالملك قال: سئل الصادق(ع) عن التوحيد فقال هو عزوجل مثبت موجود لامبطل ولا معدود الخبر .

وفى نهج البلاغة فى خطبة له(ع) واحد لا بعدد .

وفى خطبة اخرى له واحد لامن عدد .

وفى خطبة اخرى له ومن حده فقد عده .

و بالجملة الاخبار و الخطب مستفيضة فى هذا المعنى و هذا كالصريح فى ان وجوده تعالى صرف الحقيقة لا يعزب عنه وجود اذ

لو كان مع وجوده وجود بحقيقة معنى الموجود عرض عليهما العد بالضرورة فهذا واحد و ذاك ثان فلا وجود مع وجوده سبحانه الا قائم الذات بوجوده كما فی حديث موسى بن جعفر (ع) كان الله و لا شیء معه وهو الان كما كان.

وفی التوحيد و المعانی والاحتجاج عن هشام عن الصادق (ع) قال للزنديق حين ساله عن الله ماهو قال هو شیء بخلاف الاشياء ارجع بقوله شیء الى اثبات معنى و انه بحقيقة الشيئية غير انه لا جسم و لا صورة الخبر.

و منها اخبار اخر فی التوحيد ففی التوحيد و الامالی و غيرهما مسندا عن الرضا (ع) فی خطبته احد لا بتاويل عدد ظاهر لا بتاويل المباشرة متجل لاباستهلال رؤية باطن لابمزايلة الخطبة.

وفی التوحيد مسندا عن عمار بن عمرو النصيبی قال سئلت جعفر بن محمد عن التوحيد فقال واحد صمد ازلی صمدی لا ظل له يمسكه و هو يمسك الاشياء باظلتها، عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل فردانی لاهو فی خلقه ولاخلقه فيه.

و الاخذ بالاظلة هو تقويم الحق عز اسمه الاشياء بالمهيات و التعينات وبعبارة اخرى ظهور الحق سبحانه فی المظاهر بالتعينات الماهوية واطلاقه سبحانه فی نفسه.

وقد ورد تفسير الظل فی بعض اخبار الطينة ففی خبر عبدالله بن محمد الجعفی و عقبة المروی فی تفسيری علی بن ابراهيم و العياشی

عن ابى جعفر (ع) ثم بعثهم اى الخلق فى الظلال قلت واى شىء الظلال قال الم تر الى ظلك فى الشمس شىء و ليس بشىء الخبر و هذا هو المهيات اوالوجودات المستعارة بالعرض.

و فى بعض خطب على(ع) دليله آياته و وجوده اثباته و معرفته توحيده و توحيده تمييزه عن خلقه و حكم التميز بينونة صفة لا بينونة عزلة الخطبه.

وهذه الكلمة انفس كلمة واوجزها فى التوحيد ولها كمال الدلالة على ذلك.

وفى نهج البلاغة وفى التوحيد مسندا عن الصادق(ع) عن على(ع) فى خطبة خطابا لذعلب هو فى الاشياء كلها غير متمازج بها و لا بائن عنها الخطبه.

و فى التوحيد مسندا عن مسلم بن اوس عن على(ع) بل هو فى الاشياء بلا كيفية الخطبة وهذا المعنى وما يقرب منه متواتر فى الخطب والاخبار.

ومنها الاخبار النافية للصفات وهى فى معنى الفصل الثالث ففى نهج البلاغة فى خطبة له (ع) : اول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيده و كمال توحيده الاخلاص له و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه.

و فى خطبة اخرى له (ع) : اول عبادة الله معرفته و اصل معرفته توحيده ونظام توحيده نفى الصفات عنه.

وفى هذا المعنى اخبار اخر ايضا و هذه الأخبار يفسرها اخبار اخر ان المراد من الصفات المنفية ليست هى الصفات المحدثة بل اصل الوصف المفيد للتحديد و المغاير للذات .

ففى اثبات الوصية للمسعودى عن على (ع) فى خطبة فسبحانك ملات كلشىء وباينت كلشىء فانت لايفقدك شىء و انت الفعال لما تشاء تباركت يا من كل مدرك من خلقه و كل محدود من صنعه الخطبة .

وخطب على و الرضا (ع) وكلمات سائر الائمة (ع) مملوة من هذا المعنى و من المعلوم ان نفس الصفة تحديد وتعيين ونفس المفهوم مدرك فافهم .

وفى التوحيد مسندا عن عبدالاعلى عن الصادق (ع) تسمى باسمائه فهو غير اسمائه والاسماء غيره والموصوف غير الوصف الحديث .

وقوله الموصوف غير الوصف اشارة الى ان المراد بالغيرية الغيرية التى يستدعيها مفهوم الوصف المحدّد مصداقا لا ان الفاظ الأسماء غيره سبحانه وهو ظاهر .

ومن هذا الباب ماورد فى الحديث من ان معنى الله اكبر الله اكبر من ان يوصف رواه الصدوق فى المعانى بطريقين .

ومنها مافى الكافى والتوحيد عن ابراهيم بن عمر عن الصادق (ع) قال : ان الله تبارك و تعالى خلق اسماء بالحروف غير متصوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسّد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفى عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم

مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معاليس واحد منها قبل الآخر فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها و حجب واحدا منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلثة التى اظهرت فالظاهر هوالله و تبارك و سبحان لكل اسم من هذه اربعة اركان فذلك اثناعشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارى المصور الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارىء المنشئى البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيى المميت الباعث الوارث فهذه الأسماء وماكان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلثماة و ستين اسما فهى نسبة لهذه الأسماء الثلثة وهذه الأسماء الثلثة اركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلثة وذلك قوله عزوجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الأسماء الحسنى .

و هذه الرواية الشريفة فى دلالتها على تأخر الاسماء عن مقام اطلاق الذات لاتحتاج الى تقريب و هى على نفاستها تدل على اصول جمة من علم الاسماء و تنزل الاسم من الاسم وتفرع الخلق عليها :

ومنها مافى الأرشاد وغيره عن اميرالمؤمنين(ع) فى كلام له ان الله اجل من ان يحتجب عن شىء او يحتجب عنه شىء و ما عن التوحيد مسندا عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن موسى بن جعفر(ع) فى كلام له ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب

واستتر بغير ستر مستور الخبر وقد جمع هذا الخبر بين ظهوره تعالى بالاشياء واستتاره بها بعينها وهو معنى لطيف مرجعه الى خفائه من شدة ظهوره.

قدظهر انالتوحيد الاطلاقى ارفع واجل من انيوصف بوصف وفى الحديث من سئل عن التوحيد فهو جاهل ومن اجابه فهو مشرك.

فصل ۵

و هذا المعنى من التوحيد اعنى الاطلاقى مما انفرد باثباته الملة المقدسة الاسلامية وفاقت بهالملك والشرايع السالفة فظاهر مابلغنامنهم فى التوحيد هو مقام الواحدية و انه تعالى الذات الواجبة المستجمعة لصفات الكمال فغاية ماوصل الينا من معنى التوحيد من الملل السابقين وكلمات الحكماء المتألهين هى ما مر فى الفصل الثانى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم.

تم والحمد لله والسلام على محمد وآله

بسمه تعالى

مقالة ملحقة بالرسالة نبين فيهاان ماندب اليه دين الاسلام المقدس آخر درجة من التوحيد و نبين فيها ثمرة ذلك فى فصول ثلثة ليعلم ان التوحيد حيث ان له اضافة الى ما وحد فيه يختلف باختلاف المضاف اليه والمتصور من ذلك ثلثة الذات والاسم وهوالذات ماخوذا بوصف

والفعل فالتوحيد ايضاثلث توحيدذاتی وتوحيد اسمائی وتوحيدافعالی ای ان كل شیء قائم الذات و قائم الاسم و قائم الفعل به سبحانه.

فصل ۱

قد عرفت ان مقتضى البرهان المذكور فی الفصل الثالث ارتفاع كل تعين مفهومی و تحديد مصداقی عن الذات و انمحاء كل تميز هناك حتى هذا الحكم بعينه.

ومن هنا يظهر ان استعمال لفظ المقام و المرتبة و نحوهما هناك مجاز من باب ضيق التعبير.

و من هنا يظهر ان التوحيد الذاتی بمعنى معرفة الذات بما هو ذات مستحيل فان المعرفة نسبة بين العارف و المعروف وقد عرفت ان النسب ساقطة هناك وكل ماتعلق من المعرفة به فانما بالاسم دون الذات ولايحيطون به علما و اليه يرجع ماذكروا ان المعرفة على قدر المعارف مثال ذلك الاغتراف من البحر فان القدح مثلا لايريد الا البحر لكن الذی ياخذه على قدر سعته.

و يظهر ايضا انه خارج عن حيطة البيان ايضا.

من هنا يتبين ان التوحيد الذاتی اخر درجات التوحيد فان كمال التوحيد بحسب اطلاق الموحد فيه و ارساله و هو هيهنا كل تعين حقيقی او اعتباری حتى نفس التوحيد قال سبحانه خطابا لنبيه و ان الى ربك المنتهى.

فصل ۲

قد عرفت ان مقتضى البرهان المذكور فى الفصل الثانى من الرسالة انالله عز اسمه ذات مستجمع لجميع صفات الكمال منفى عنه جميع صفات النقص و ان جميع صفاته عين ذاته و هذا هوالموروث عن الشرايع السابقة المندوب اليه بدعوة المرسلين و الانبياء الماضين عليهم‌السلام و هوالذى يظهر من تعاليم الحكماء المتالهين من حكماء مصر و يونان والفرس و غيرهم و هو الذى شرحه الاعاظم من فلاسفة الاسلام مثل المعلم‌الثانى ابى‌نصر ورئيس‌العقلاء الشيخ ابى‌على وعليه صدر المتالهين فى كتبه و اسس ان الوجود حقيقة واحدة مشككة ذات مراتب مختلفة فى‌الشدة والضعف وان اضعفها الهيولى الاولى و اقويها واشدها الوجود غير المتناهى قوة وكمالا وهو المرتبة الواجبية ، وان جميع المراتب موجودة غيرانها بالنسبة الى‌المرتبة الواجبية وجودات رابطة غيرمستقلة فى‌نفسها لايحكم عليها وبها مستهلكة تحت لمعان‌نوره واشراق بهائه .

و قد ظهر مماتقدم ان اثبات اكمل مراتب توحيد الحق سبحانه هو الذى اختص به شريعة الاسلام المقدسة و هذا هو المقام المحمدى الذى اختص به محمد والطاهرون من آله صلى‌الله عليهم و الاولياء من امته على نحو الوراثة .

فصل ۳

و الذى ذكرناه من التوحيد الذاتى هو المشهود بالشهود التام

الساذج الموجود فان الانسان بحسب اصل فطرته يدرك بذاته وجوده وان كل تعين فهو عن اطلاق وارسال اذ شهود المتعين لايخ عن شهود المطلق .

ويشاهد ايضا ان كل تعين فى نفسه وغيره فهوقائم الذات بالاطلاق فمطلق التعين قائم الذات بالاطلاق التام .

ويجد ايضا من نفسه لزوم الخضوع و الكدح من تعينه لاطلاقه وحسن الحسن وقبح القبيح وان التكليف محتاج الى البيان وهذه المعانى الثلثة هى التوحيد الذاتى والولاية المطلقة والنبوة العامة و هذه الشريعة الاسلامية هى القائمة على هذه الامور بتمامها و كمالها قال الله واقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله .

وفى التوحيد مسندا عن العلاء بن الفضيل عن ابيعبدالله (ع) قال سئلته عن قول الله عزوجل فطرة الله التى فطر الناس عليها قال التوحيد .

و فى تفسير على بن ابراهيم مسندا عن الرضا عن ابيه عن جده محمد بن على بن الحسين (ع) فى قوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها قال هو لااله الا الله محمد رسول الله على امير المؤمنين الى هيهنا التوحيد .

وقال رسول الله (ص) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

وقال تعالى يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث .

والاثار كثيره فى ان تشريع الشريعة يحوم حول الامور الثلثة .

وقد انتج استعمال الفطرة الساذجة فى هذه الشريعة المقدسة فى

كل من مرتبتى الملكات و الافعال نتيجته عجيبة لم يسبقها اليها شيء من الشرايع السالفة .

اما فى مرتبة الملكات فالملكة علم والانسان الكامل لايرى الا الحق سبحانه و الانسان المستكمل لا ينبغى ان يتوجه الى غير الحق سبحانه فلا يبقى موضوع للاخلاق الرذيلة كالعجب و الكبر و الرياء و السمعة والجبن والبخل وحب الجاه و الركون الى الدنيا وغيرذلك فيقع الاخلاق الفاضلة ح بالله ولله فافهم ذلك .

ولعمرى كم من الفرق بين ان يزيل الانسان رذيلة الجبن مثلا عن نفسه تارة بان لايتوجه الى غير الحق سبحانه فلا شيء حتى يخاف منه و تارة بان يتكل على الله فى دفع المكروه المخوف عنه كما فى ظاهر الشرايع .

وتارة بان يعتقد ان وقوع المكروه المخوف عنه امر ممكن مساوى الطرفين والخوف و الجبن بترجيح جانب الوجود ترجيح بلا مرجح وهو قبيح اوان الجبن رذيلة عند الناس لايقع الثناء عليه كما يقوله الحكيم الاخلاقى وعلى ذلك فقس ومع ذلك فقد استعملت الشريعة المقدسة فى تعليمه جميع الوجوه .

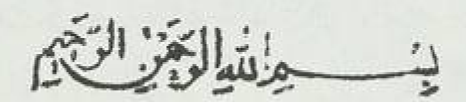
والى نحو هذا المعنى يشير ما فى تفسير القمى فى حديث المعراج فقال رسول الله (ص) يارب اعطيت انبيائك فضائل فاعطنى فقال الله وقد اعطيتك فيما اعطيتك كلمتين من تحت عرشى لاحول و لا قوة الا بالله ولامنجى منك الا اليك .

و اما فی رتبة الافعال فقد قصرت الاباحة فی ضروریات الحیوة علی ماتقتضیه الفطرة ثم حاصر ذلك بالتوجیه الی الله عزوجل فی صغیر الافعال و کبیرها ثم طرداستعمال ذلك فی جمیع جزئیات اطراف الحیوة من الامکنة والازمنة و الصحة و المرض و الغنی و الفقر و الموت و الحیوة و سایر الحالات و جمیع الافعال فصارت شریعة حافظة للتوحید علی وحدته فی هذه الکثرة و حافظة لهذه الکثرة علی کثرتها فی التوحید فاغتنم فهذه لعمرالله نعمة لاتوزن بالسبع الشداد و الارض ذات المهاد والجبال الاوتاد.

تم والحمدلله لیلة الاحد خامس ذی الحجة من سنة الف و ثلثماة
وست وخمسین قمریة هجریة و تم الاستنساخ لیلة
الاثنین لاثنین وعشرین خلت من شهر
محرم الحرام لسنه ۱۳۶۱

رسالة الاسماء

رسالة فی اسماءالله سبحانه و تعالی وهی الرسالة الثانية
من کتاب التوحيد



الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام علی اوليائه المقربين سيما محمد و آله الطاهرين. قدذکرنا فی رسالةالتوحيد انالتوحيد منه ذاتی ومنه اسمی ومنه فعلی.

اما التوحيد الذاتی فقد ذکرهناك انه خارج عن حيطةالتوصيف و دائرة البيان.

واما الاسماء والافعال فاذ لم نستوف البيان فيهما هناك اردنا ان ناتی هيهنا بعض البيان فی الاسم و نشرحه بعض الشرح بالجمع بين البرهان العقلی والبيان النقلی بمايلايم ذوق هذه الرسائل.

و اما التفصيل التام لهذه الابحاث فموکول الی مطولات کتب القوم رضوان الله عليهم و نعنی بها الکتب التی المعمولة علی الجمع بين الذوق والبرهان والتشفيع بين العقل والنقل.

واما الکتب التی شأنها ان تضع قضايا ساذجه يحکم بها الافهام

العاميه وضعا ثم تدافع بالدفاع الجدلى عنها بالغاً مابلغ فلايهمنا الرجوع اليها ولاالركون اليها ولالهذه الابحاث مساس بها ولالنا شغل بمن هذا طرز بحثه وطور مطالبه والله المعين .

فصل ۱

قد عرفت فى رسالة التوحيد ان الله سبحانه هو الوجود الصرف الذى له كل كمال وجودى .

فكل مافرض هناك غيره عادعينه فله وحدة عينية يستحيل معه فرض ثان له فلاتعدد ولااختلاف ولاتعين هناك بمعنى المحدودية بحد مفروض لامصداقا و لا مفهوما بل كل مافرض تعينا مفهوما اومصداقا كان متاخرا عن هذه المرحلة المفروضة .

ثم انه لاشتماله على حقايق جميع الكمالات الوجودية متصف بجميعها فهو مسمى بها و هى اسمائه اذ ليس الاسم الا الذات مأخوذا ببعض اوصافه فهو فى نفسه و بذاته سبحانه متصف بها و مسمى بها و مفاهيمها تنتزع عن ذاته بذاته .

و اذا لوحظ معه الوجودات الفائضة منه المترشحة عنه ظهرت بينها و بين اسمائه الذاتية جلت اسمائه نسب هى كالروابط تربطها بها دون الذات فانه مبرى عن التعينات و النسب كما عرفت .

وبالجملة فهناك تظهر تعينات واوصاف اخر وتنتزع مفاهيم اخرى تلحق بالقسم الاول وذلك كالخلق والرزق و الرحمة و الكرم و اللطف

والاعادة والبدء والاحياء والاماتة والبعث و الحشر والنشر و غير ذلك و هذه هی اسماء الافعال المتاخرة عن الذات و اسمائها و تنتزع عن مقام الفعل .

بقی هنا شیء و هو ان هذه الاسماء لو انتزعت عن مقام الفعل فانما انتزعت عنه بماان بينه و بين الذات نسبة ما ورابطة ما والالم يصدق هذه الاسماء على الذات البتة فيؤل الاتصاف الى اعتبارالحيثية بمعنى ان الذات بحيث لوفرض خلق مثلا فهوخالقه ولوفرض رزق فهورازقه فاذن سبيل الاسماء الفعلية سبيل الاسماء الذاتية فی انالجميع موجودة للذات حقيقة نعم الاسماء الذاتية لا تحتاج فی انتزاعنا اياها الى ازيد من الذات بذاته و الاسماء الفعلية تحتاج فی مرحلة الانتزاع الى فعل متحقق فی الخارج فافهم ذلك .

ثم انك تعلم انالكمالات الوجودية حيث كانت موجودةللذات و النواقص العدميه مرتفعة عنه كانت هناك اوصاف سلبية على سبيل الاوصاف الايجابية الا انها حيث كانت اعداما فهی غير متحققة هناك و انما هی منتزعة من غيره انتزاعا و مدلولها سلب السلب و يرجع الى اثبات الوجود .

و قد تبين من جميع ما مر ان اسمائه سبحانه على كثرتها تنقسم اولا الى اسماء ذاتية و فعلية ، و ثانيا الى اسماء ثبوتية و سلبية و هكذا الى اسماء خاصة وعامة .

فصل ۲

و النقل ايضا يدل على ما مر اما ما تدل على الاسماء الذاتية و الفعلية و الثبوتية و السلبية فغير ضروري الايراد لبلوغها من الكتاب و السنة في الكثرة فوق حد الاحصاء على ان بعضها سيورد انشاءالله سبحانه في طي الفصول الاتية .

فصل ۳

قد عرفت في الفصل الاول ان ذاته المقدسة ذات صرانة و اطلاق مبراة من جميع التعينات مفهومية و مصداقية حتى عن نفس الاطلاق وحيث كان هذا بعينه تعينا ما يمحق عنده التعينات و يطوي بساط جميع الكثرات كان هذا اول الاسماء و اول التعينات وهو المسمى بمقام الاحدية، ثم يظهر التعينات الاثباتية واول تلك نفس الاثبات وذلك انه هو و هو الهوية، ثم يظهر بقية التعينات : فمن حيث ان هذه الحقيقة التامة حاضرة عند نفسها واجدة لها يظهر تعين العلم و حيث انها المبدء التام لكل كمال وجودي يظهر تعين القدرة و يظهر من تالف القدرة مع العلم تعين الحيوة ، ثم تظهر بقية التعينات من تاليف بسائطها .

فقد تبين ان الاسماء بينها ترتب ما يتفرع به بعضها على بعض آخر

ثم نقول في بيان اسمائه سبحانه قد عرفت ان الوجود هو الحقيقة الخارجية فحسب و غيره كالمهيات امور منتزعة ذهنية لا خارجية لها الا بعرض الوجود و اما مع قطع النظر عنها فهي باطلة الذات هالكة

العين و هذه الحقيقة الخارجية حيث انها يطرد العدم بذاتها يستحيل طريان العدم عليها لامتناع اجتماع النقيضين فاذن هى واجبة الوجود بذاتها .

و من هنا يظهر ان الوجود الحقيقى وحدة و صرافة لايمكن معه فرض ثان له وهو احديته كما مر فهو وحده لاشريك له .

ومن هنا يظهر امتناع فرض قوة اوامكان او تغير او تحول هناك اذ هو لصرافته حاو لكل كمال وجودى فرض فهو صريح الفعلية فكما انه واجب الوجود بالذات فهو واجب الوجود من جميع الجهات هذا و من الواجب ان تعلم ان هذا البيان انما يجرى فى الوجود الواجبى الصرف المستقل بذاته دون الوجود الامكانى فانه لمعلوليته رابط موجود فى غيره يستحيل ان يوضع فيحكم عليه بشىء كوجوب الوجود والقيام بنفسه ونحو ذلك .

فما نشاهده من المهية الموجودة انما نشاهد الوجود الحقيقى الواجبى بمقدار ماتقوم به هذه المهية وهو المراد بقولنا وجود الممكن ظهور ما للواجب فيه و ان الممكن مظهر للواجب فهو نور .

ومن هنا يظهر ايضا ان كل مافرض ذامهية متساوية النسبة الى الوجود والعدم فهو فى تحقق ذاته ووجوده يحتاج الى الواجب سبحانه وآثاره الذاتية كائنة ماكانت محتاجة اليه سبحانه ايضا و ان كانت بحيث اذا نظر العقل اليها حكم باقتضائه اياها وهو الوساطة فكما ان الاربعة وهى عدد ماتحتاج فى وجودها اليه سبحانه فكك كونها زوجا وضعف الاثنين

و مجذورا له و ساير آثاره محتاجة اليه سبحانه و ان كان كلها بوساطة الاربعة واقتضائها فذاته سبحانه بذاته هو المبدء لكل وجود ممكن وهذا هو القدرة الواجبية اذالقدرة بمعنى صحة الفعل و الترك اى امكان الطرفين مستحيلة فى حقه سبحانه لكونه واجب الوجود من جميع الجهات فهو سبحانه مبدء بذاته لكل موجود بحسب مايليق بذات ذلك الموجود فهو مبدء بالفعل لكل موجود بالفعل و مبدء بالفعل لكل موجود بالقوة ولنفس القوة والامكان فهو المفيض لكل شىء وآثاره بفيوضات الوجود وبركات الظهور و البروز .

ومن هناك يظهر ايضا انذاته موجودة لذاته وحاضرة لها لاحجاب بينه و بين ذاته و جميع الكمالات الموجودة لذاته فهو فى مقام ذاته عالم بذاته وصفاته و بجميع الموجودات المترشحة عن ذاته وهو العلم الذاتى .

وايضا كل موجود حاضر بذاته عنده سبحانه كيف وبعرض وجوده سبحانه وجد وبنوره استشرق فهو سبحانه كما يشهدها عزذاته المقدسة بذاته فى مرتبة ذاته يشهدها فى مرتبة وجوداتها الخارجية و مواطنها الواقعية كلا فى ظرفه وموطنه و هو العلم الفعلى ، على ان كل علم متحقق عند الموجودات فهو له ايضا.

و حيث ثبت له سبحانه العلم و القدرة ثبت له الحيوة اذالمحىّ هو الدراك الفعال .

و حيث ثبت ان ايجاده للموجودات بنحو الظهور فى مواطن

ذواتها وظروف هوياتها ثبت ان كل كمال وجمال وحسن فهوله سبحانه ثابتة فيه والحسن و الجمال تمامية وجود الشيء وكمالاته و آثاره فهو سبحانه متصف بكل صفة حسن و جمال .

وحيث كان كل منقصة ورذيلة ومحدودية وقبح وسوء منحلا بالتامل التام الى عدم كمال مطلوب ولاسبيل للاعدام الى ساحته المقدسة كانت النقايص الامكانية طرا والكدورات الماهوية جميعا راجعة الى المهيات الأمكانية ومن لوازمها و توابعها فهو سبحانه طاهر من كل دنس قدوس من كل نقص وخبث فهو المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال .

ومن هنا يظهر ان الائتلاف والاجتماع بين صفات الجمال والجلال هو المقتضى لفيضان الوجود على الموجودات و لمعان النور و انبثاثه فى هذه الظلمات فلولا صفات الجلال لم يكن وجود ولولا صفات الجمال لم يكن ايجاد فافهم .

ثم ان هذه الاسماء الحسنى والصفات العليا وان تكثرت مفاهيمها الا انه ليس لها الا مصداق واحد وهو الذات المقدسة اذ من المستحيل كما عرفت فرض اثنينية ماهناك فكل حيثية فى الذات عين الحيثية الاخرى والكل عين الذات فهو تعالى موجود من حيث انه عالم وعالم من حيث انه موجود وقادر بعين حيوته وحى بعين قدرته وهكذا وهذا هو واحدية الذات فهو سبحانه واحد كما انه احد .

فتبين من جميع مامر انه سبحانه باحدية ذاته يمحق ويطمس جميع الكثرات ثم يتنزل الى مقام الاسماء على وحدتها فينبعث بذلك الكثرات

المفهومية دون المصداقية ثم يتنزل الى مراتب الموجودات الامكانية بظهورها فى مظاهرها و اظهارها لمكامنها فينبعث حينئذ الكثرات المصداقية.

مثل ذلك انك اذا رجعت الى صفاتك وجدتك انك عالم وانت انت وقادر وانت انت وسميع وبصير وذائق وشام ولامس و انت انت فشيء من صفاتك لايخلو ولايخرج منك انت فهذا واحدية صفاتك فى ذاتك ثم اذا رجعت الى نفسك وجدت انهاانت ليس هناك الاانت مع انك صاحب صفات كثيرة غيرانها قداستهلكت وانمحت فى هذه المرحلة و هذا مقام احدية ذاتك.

ثم انك اذازدت على ذلك وتصورت مرتبة خيالك المنبسط على صور خيالاتك الجزئية ثم جزئيات متخيلاتك ثم تنزلت الى افعالك واعتبرت نفسك معها علمت ان الجميع قائمة بك لاتخلو عنك فلو امعنت و اتقنت فى تاملك فى هذا المثل صح لك تعقل ما تنتجه هذه البراهين التى اسلفناها.

فصل ۴

والنقل مطابق للعقل فيمامر من المعانى ولبيان ذلك اجمالا وتضع مباحث.

المبحث الاول

ان الاسماء التى خص بالذكر فى القرآن المجيد وهى التى فى معنى الوصف هى: ا ــ اله احد اول آخر اعلى اكرم اعلم ارحم الراحمين

احكم الحاكمين احسن الخالقين اهل التقوى اهل المغفرة

ب ـ بارىء باطن بديع بر بصير بديع

ت ـ تواب

ج ـ جبار جامع

ح ـ حكيم حليم حى حق حميد حسيب حفيظ حفى

خ ـ خبير خالق خلاق خير الماكرين خير الرازقين خير الفاصلين خير الحاكمين خير الفاتحين خير الغافرين خير الوارثين خير الراحمين

ذ ـ ذو العرش ذو الطول ذو انتقام ذو الفضل العظيم ذو الرحمة ذو القوة ذو الجلال والاكرام

ر ـ رحمن رحيم رؤف رب رفيع الدرجات رزاق رقيب

س ـ سميع سلام سريع الحساب سريع العقاب

ش ـ شهيد شاكر شكور شديد العقاب شديد المحال

ص ـ صمد

ظ ـ ظاهر

ع ـ عليم عزيز عفو علي عظيم علام الغيوب عالم الغيب والشهادة

غ ـ غنى غفور غالب غافر الذنب غفار

ف ـ فالق الاصباح فالق الحب والنوى فاطر فتاح

ق ـ قوى قدوس قيوم قاهر قهار قريب قادر قدير قابل التوب

ك ـ كريم كبير

ل ـ لطيف

م ـ ملك مؤمن مهيمن متكبر مصور مجيد مجيب مبين مولى محيط مقيت متعال محيي متين مقتدر مستعان

ن ـ نصير نور

و ـ وهاب واحد ولی واسع وكيل ودود

هذه هی الاسماء الوارده فی الكتاب الالهی بلسان التوصيف و هی مأة و سبعة عشر اسما و هنا موارد آخر بلسان قريب من لسانها قال تعالی

و انا له لحافظون

وقال تعالی : انا كنا فاعلين

وقال تعالی : فعال لما يريد

وقال تعالی : قائما بالقسط

وقال تعالی : انا له كاتبون

وقال تعالی : و نحن الوارثون

وقال تعالی : انا منتقمون

وقال وما لهم من دون الله من ولی ولاشفيع

وقال تعالی : ومالهم من دونه من والٍ

وقال تعالی : هوالذی يحيی و يميت

وقال تعالی : فلا كاشف له الا هو

فربما يستخرج الحافظ و الفاعل و فعال مايريد و القائم بالقسط والكاتب والوارث و المنتقم و الشفيع و الوالی و المميت وكاشف الضر

من هذه الايات واما ماورد بلسان الفعل فكثير

واما الاحاديث ففى التوحيد و الخصال مسندا عن سليمان بن مهران عن جعفربن محمد عن ابائه عن على(ع) قال قال رسول‌الله(ص) ان لله تسعة وتسعين اسما ماة الا واحدا من احصاها دخل‌الجنة وهى الله الاله الواحد الاحد الصمد الاول الاخر السميع البصير القدير القاهر العلى الاعلى الباقى البديع البارى الاكرم الظاهرالباطن الحى‌الحكيم العليم الحليم الحفيظ الحق الحسيب الحميد الحفى الرب الرحمن الرحيم الذارىء الرازق الرقيب الرؤف‌الرائى السلام المؤمن المهيمن العزيزالجبار المتكبرالسيد سبوح‌الشهيد الصادق الصانع الطاهرالعدل العفو الغفور الغنى الغياث القاطر الفرد الفتاح الفالق القديم الملك القدوس القوى القريب القيوم القابض الباسط قاضى الحاجات‌المجيد المولى المنان المحيط المبين المقيت المصور الكريم الكبير الكافى كاشف‌الضر الوتر النور الوهاب الناصر الواسع الودود الهادى‌الوفى الوكيل الوارث البر الباعث التواب الجليل الجواد الخبير الخالق خيرالناصرين الديان الشكور العظيم اللطيف الشافى الخبر.

قال‌الصدوق فى‌الخصال وقد رويت هذا الخبر من طرق مختلفة والفاظ مختلفة.

و فى التوحيد مسندا عن الهروى عن الرضا (ع) عن آبائه عن على(ع) قال‌قال رسول‌الله ان‌لله تسعةوتسعين‌اسما من‌دعاالله بهااستجاب له ومن احصاها دخل الجنة.

وفی التوحيد ايضا مسندا عن ابی‌هريرة ان رسول‌الله (ص) قال ان لله تبارك وتعالی تسعة وتسعين اسماماة الا واحدا انه وتر يحب‌الوتر من احصاها دخل الجنة فبلغنا ان غير واحد من اهل العلم قال ان اولها يفتتح بلا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك و له الحمد بيده الخير و هو علی كل شیء قدير لا اله الا الله له الاسماء الحسنی الله الواحد الصمد الاول الاخر الظاهر الباطن الخالق البارء المصور الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيزالجبار المتكبر الرحمن‌الرحيم اللطيف الخبير السميع البصير العلی العظيم البار المتعالی الجليل الجميل الحی القيوم القادر القاهر الحكيم القريب المجيب الغنی الوهاب الودود الشكور الماجد الاحد الولی الرشيد الغفور الكريم الحليم التواب الرب المجيد الحميد الوفی الشهيد المبين البرهان الرؤف المبدیء المعيد الباعث الوارث القوی الشديد الضار النافع الوافی الحافظ الرافع القابض الباسط المعز المذل الرازق ذوالقوة المتين القائم الوكيل العادل الجامع المعطی المجتبی المحيی‌المميت الكافی الهادی الابد الصادق النور القديم الحق الفرد الوتر الواسع المحصی المقتدر المقدم المؤخر المنتقم البديع الحديث.

اقول و الروايتان المحصيتان لاسمائه تعالی علی انهما اشتملتا علی‌بعض‌الاسماء الغيرالواردة فی‌القرآن مثل‌السيد والصانع والجميل والقديم وغيرها.

وعلی انهمااهملتا بعض‌الاسماءالواردة فی‌القرآن مثل‌ذی‌الجلال

و الاكرام و ذوالطول و رفيع بينهما اختلاف فى الاسماء المحصاة هذا اولا .

و ثانياً لفظ الجلالة احد الاسماء فى الثانية و غيرها فى الاولى وهو فيها تمام المأة .

وثالثاً ظاهر الرواية الثانية ان احصاء الاسماء خارج عن الرواية ولا يبعد ان يستظهر من الرواية الاولى ايضاً كونها خارجة عن الرواية حيث قال فيها وهى الله الاله الخ و عدماة اسم .

واما قوله (ص) ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة فقداستفاض بهالروايات ورواه الخاصة والعامة لكنه فىغير مقامالحصر على ماسيظهر و لهذا خصصنا الكلام بما ورد فى القرآن الكريم على ان غيرها ينشرح بشرح معانيها وبيان مبانيها .

المبحث الثانى

انالمعانى التى قداستعملت فيها هذه الاسماء الشريفة فىالقرآن الكريم و بقية الاستعمالات تتبعها لامح لاشك فى انها تطابق المصاديق التى لها فى نفس الامر و لاشك ان للحق سبحانه كمالات و صفات موجودة حقيقية كشف عنها او عن بعضها بهذه البيانات القرآنية التى تشتمل على هذه الاسماء بطريق الافراد تارة و عن اعيان هذه المعانى بجمل و تركيبات كلامية تارة اخرى كل ذلك فى مقام الثناء و الحمد و ابداء الكمال فحمل ذلك كله على نفى النواقص على انه يوجب رجوع كل كمالذاتى الىعدم وخلوالذات عن كمال موجود مع تراكم

البراهين عليه اولا ، وعلى انه مع الغضّ عن الكمال الوجودى لايوجب كمالا و مزية كما ان المعدوم المطلق ايضا كك ثانيا بعيد عن الانصاف و اعتاف يكذبه الوجدان هذا فالاسماء جلها تشتمل على معان ثبوتية غير سلبية .

ثم ان هذه المعانى ليست من غير جنس المعانى التى نفهمها و نعقلها كما ذكره بعضهم و التزم ان هذه الاسماء كلها اما مجازات مفردة و اما استعارات تمثيلية بيانية اذالذى نفهمه من قولنا علم زيد و قولنا علم الله معنى واحد وهو انكشاف ما للمعلوم عند العالم غير انا نعلم ان علم زيد انما هو بالصورة الذهنية التى عنده و ان الله سبحانه يستحيل فى حقه ذلك اذلاذهن هناك وهذا ليس الا خصوصية فى المصداق وهى لا توجب تغيرا فى ناحية المعنى بالضرورة فاذن المفهوم مفهوم واحد واما خصوصيات المصاديق فغير دخيلة فى المفهوم البة و هذا هو الحق الذى عليه اهل الحق .

فاذن الميزان الكلى فى تفسير اسمائه سبحانه و صفاته تخلية مفاهيمها عن الخصوصيات المصداقية وبعبارة اخرى عن الجهات العدمية و النقص .

و هذا هو الذى يظهر من تفاسير الائمة عليهم السلام فى خطبهم و بياناتهم فعن التوحيد و نهج البلاغة فى خطبة له (ع) ان ربى لطيف اللطافة فلايوصف باللطف عظيم العظمة لايوصف بالعظم كبير الكبرياء لايوصف بالكبر جليل الجلالة لايوصف بالغلظ قبل كلشىء لايقال شىء

قبله وبعد كلشيء لايقال له بعد شاءالاشياء لابهمة دراك لابخديعة هو في الاشياء كلها غير متمازج بها ولاباين عنهاظاهر لابتاويل المباشرة متجل لاباستهلال رؤية باين لابمسافة قريب لابمداناة لطيف لابتجسم موجود لابعد عدم فاعل لاباضطرار مقدر لابحركة مريد لا بهمامة سميع لا بآلة بصير لاباداة الخطبة وبياناتهم (ع) مشحونة بهذاالنوع من التفسير وفي كثير من الاخبار النهي عن التعطيل والتشبيه.

المبحث الثالث

قد عرفت ان صفاته سبحانه هو االبحث من كل كمال وجودى بنحو الحقيقة و اما صفات غيره فحيث ان ذاته موجودة بعرض وجوده فكك صفاته فكل صفة وجودية حقيقيه خالية من النقص فهي له سبحانه بنحو الانحصار وكل صفة في غيره فهي عرضية .

ويظهر ذلك من معظم موارد هذه الاسماء في القرآن كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ، وقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وقوله تعالى وهو السميع البصير ، وقوله تعالى وهو الرحمن الرحيم وقوله تعالى و هو العليم القدير ، وقوله تعالى وهو الحكيم الخبير و قوله تعالى وهو العلي العظيم الى غير ذلك من الايات فكل ذلك للحصر دون التاكيد كما يزعمه الزاعمون وقد بلغ الامر في بعضها الى التصريح : قال تعالى له مافي السموات و ما في الارض من ذاالذي يشفع عنده الا باذنه ، وقال تعالى يعلم ما بين ايديهم و ما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه الا بماشاء وقال تعالى ايبتغون عندهم ان

العزة لله جميعا ، وقال تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا ، وقال تعالى مالكم من دون الله من ولي ولا نصير الى غير ذلك .

ثم بين سبحانه تبعية هذه الاسماء اعنى الكمالات الوجودية الحقيقية فى غيره فقال تعالى قل اللهم مالك الملك الايات ، و قال تعالى وانه هو اضحك وابكى ، و انه هو امات واحيى و انه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى و انه هو اغنى و اقنى الايات ، وقال تعالى و ربك يخلق مايشاء و يختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عما يشركون الاية .

والدليل على انه يثبت فى هذه الايات حقايق هذه المعانى بالحصر على نفسه وبالتبع الى غيره انه تعالى يثبت مع ذلك هذه المعانى لغيره فى آيات آخر كقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقوله واختار موسى الى غير ذلك .

واصرح من ذلك كله مابينه سبحانه فى آيات الحشر اذ قال سبحانه وراوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب فبين ان الاسباب متقطعة مزيلة يومئذ و مع تقطع الاسباب و بطلان الروابط لايبقى موضوع لكمال وجودى مستفاد من غيره كما هو المظنون اليوم فلا يبقى الا الله وحده ولانسبة لاحد الا معه وبطلت بقية النسب فابطل حقيقية كمالاتهم واثبت تبعيتها فقال تعالى يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ، و قال تعالى و الامر يومئذ لله ،

وقال تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و راوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب ، و قال تعالى ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كك يضل الله الكافرين ، و قال تعالى يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم وقال تعالى هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يشركون ، وقال تعالى ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ، و قال تعالى ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم و شركائكم فزيلنا بينهم و قال شركائهم ماكنتم ايانا تعبدون ، وقال تعالى تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون الاية .

فكل ذلك بيان لكون كمالات الاسماء فيه سبحانه بالاستقلال و فى غيره بالتبع هذا .

نعم ربما قارن سبحانه بين وصف نفسه ووصف خلقه مما افاضه عليهم فسبكهما وصفا واحدا و لامح يراد ح من الوصف المعنى الاعم الشامل لما بالاستقلال وما بالتبع و ذلك بصيغة التفضيل فى اربعة عشر اسما فى القرآن و هى اعلى واكرم و اعلم و ارحم الراحمين و احكم الحاكمين واحسن الخالقين وخير الماكرين وخير الرازقين وخير الفاصلين و خير الحاكمين و خير الفاتحين و خير الغافرين و خير الوارثين و خير الراحمين .

لكنه سبحانه اثبت بها مزية لنفسه وافضلية فانه سبحانه يزيد على خلقه فى ان هذه الاوصاف بعد كونها مشتركا فيها له سبحانه بنحو الاستقلال

ولغيره بالتبع فهو سبحانه احق بالعلو والعلم والكرامة واشد فى رحمته واصدق فى حكمه واحسن فى خلقه وخير مكرا وغير ذلك بخلاف غيره فان هذه الاوصاف فيهم عارضة متزلزلة البنيان مشوبة بنواقص الاعدام مكدرة بكدورات الامكان هذا و يمكن ان يستشم هذا المعنى و هو تلميح الاشتراك مما وقع من الاسماء بصيغة المبالغة فى عشرة اسماء وهى التواب والجبار والخلاق والرزاق وعلام الغيوب والغفار والقدوس والقيوم والقهار والوهاب وقد يعّد منها مثل الشكور و الغفور والقدير والمتعالى والرحمن وذلك بالاشارة الى شدة هذه الاوصاف فيه سبحانه وشمولها بكثرة مواردها لجميع الموجودات هذا.

واما بقية الاسماء وهى ثمان وثمانون اسما فهى واردة بنحو الافراد او الاضافة غير ان ثمانية عشر منها بنحو الاضافة وقريب من سبعين منها بنحو الافراد وهناك معان وصفية مبنية بجمل كلامية كقوله ليس كمثله شىء وقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد وقوله تعالى ليس له صاحبة الايات.

المبحث الرابع

و جل هذه الاسماء مشتملة على معان ثبوتية غير ان بينها ترتباً كما مر اجماله فهو تعالى من حيث ان ذاته المقدسة غير متالفة من اجزاء عقلية ولا وهمية ولا خارجية فهو بسيط الذات احد وهذه اللفظة لايستعمل فى الاثبات من غير اضافة الا فيه سبحانه قال تعالى قل هو الله احد و لا يقال جائنى احد البته ، و يقال ما رايت احدا فينتفى ح الواحد و الاثنان و الجماعة ، بخلاف ما رايت واحدا فانه لاينتفى ح الا الواحد دون الاثنين والجماعة فيظهر ان الاحد فى اللغة وحدة لاتابى

عن الاجتماع مع الكثرة بخلاف الواحد فهما كاللا بشرط و بشرط لا فالاحد وحدة صرفة لايقع فى قبالها كثرة لا اثنان و لا جمع فهو بسيط الذات ولذلك لم يصح استعماله فى الاثبات الافيه سبحانه لصرافة وجوده وبساطته وتركب وجود غيره فغيره تعالى اذا اخذ واحدا لم يكن كثرة ذاته منظورا فيه واذا اخذ جزء الكثرة انمحت وحدته واما هو تعالى فلا يتصور فى ذاته كثرة البته هذا.

ومن هنا يصح استعمال احد فى الاثبات اذا اضيف نحو هو احد القوم فافهم.

و هو سبحانه من حيث انه ليس له شريك و لا صاحبة و لا ولد ، ومن حيث ان جميع اسمائه شيء واحد هو الذات وان تعددت مفاهيمها فهو واحد.

ومن حيث ان ذاته ثابتة بذاته وفى ذاته وعلى جميع التقادير حق.

و هو تعالى من حيث حضور ذاته لذاته و انكشافه له و حضور الموجودات عنده عالم وعليم.

والعليم من حيث كونه موجودا عند جميع جهات ذات المعلوم محيط.

ومن حيث كونه حاضرا هناك شهيد.

و اذا نسبه الى الغيب علام الغيوب.

و اذا انتسب الى جميع الغيب و الشهادة فهو عالم الغيب و الشهادة.

واذالوحظت نسبته الى المبصرات فهو بصير اوالى المسموعات فهو سميع .

ومن حيث تحفظه على المشهودات حفيظ .

والعليم من حيث احصائه المعلومات حسيب .

ومن حيث تعلقه بالدقايق خبير .

ومن حيث اتقانه معلوماته حكيم .

و هو تعالى من حيث مبدئيته لغيره و هى كون وجود ذاته عين الوجود وصرفه يبتدى منه وينتهى اليه كلما فرض غيره قادر وقدير .

و القادر من حيث ان افاضته الوجود من غير اقتضاء من الغير وايجاب رحمن .

وهو من حيث انه مفيض لذات الغير بارى .

ومن حيث انه جامع بافاضته لخلق ذاته واجزائها خالق .

ومن حيث رحمته الخاصة وهوالسعادة رحيم .

والرحيم من حيث افاضته لكل دقيق لطيف .

ومن حيث انه رحيم و لطيف رؤف .

ومن حيث يحب ماتعلق به رحمته ودود .

ومن حيث عدم توقعه فى ايصال الرحمة الجزاء كريم .

والكريم من حيث يجازى بالجميل من يثنى عليه شاكر وشكور.

ومن حيث لايجازى من اساء عليه بتعجيل العقوبة حليم .

ومن حيث ستره موانع الافاضة عفو و غفور كل باعتبار .

و من حيث قبوله و عدم رده من به ذلك و قدآب اليه تواب و قابل التوب .

ومن حيث اجابته لما يسئله الغير مجيب .

و القادر الخالق من حيث ان ما لمقدوره الممكن فله و هو معه محيط والمحيط من حيث قربه قريب .

ومن حيث انه محيط لايخلومنه شيء اول يبتدى منه الشيء وآخر ينتهى اليه الشيء وظاهر يظهر به الشيء وباطن يقوم به الشيء .

والقادر الخالق المحيط من حيث انه يمحو مايتصور من المقاومة ويستهلك المحاط المقدور عليه ولاتبطل قدرته فيما تتعلق به ولا تزلزل قدرته واحاطته غالب قاهر قوى متين كل باعتبار .

و ما هذا صفته اذا نسب اليه المقدور بحقارته فهو عظيم كبير او نسب اليه بدنائته فهو على اعلى متعال .

و اذا توهم من المقدور مقاومة و منه اعمال مقدرة و احاطة فهو مقتدر .

واذا زيد على ذلك المجازاة فهو ذوانتقام .

ومن هذا كله وصفه فهو مجيد .

واذا انعكس وصفه الكذائى لذاته فهو متكبر .

واذا لوحظ القادر الخالق الرحمن من حيث انه يوصل كلا الى كماله برحمته فهو رب .

والرب من حيث انه يفطر الوجود من العدم فاطر .

ومن حيث ان امره اعجب الامور بديع .

ثم فالق الحب والنوى وفالق الاصباح اى الصبح اذاطلع وهو اسم جزئى .

ومن حيث انه يفيض الامن عن وحشة ظلمات العدم و كل نقيصة و محذور مؤمن .

ومن حيث انه يفيض مالايسوه سلام .

ومن حيث ان مايفيضه عطية من غير غرض فهو وهاب .

و من حيث انه يفيض مايدوم به بقاء الموجودات بعد احداثها فهو رزاق .

ومن حيث ان عطائه لايوجب نقصا فيه فهو واسع .

ومن حيث انه هوالمؤجل لعطياته فهو مقيت .

ومن حيث ان اعظم الثناء عليه هو مايفيضه من رحمته فهوحميد .

ومن حيث انه يجبر كل كسير ويتم كل منقصة فى خلقه فهوجبار .

ومن حيث انه يقوى كل مغلوب فهو نصير .

ومن حيث انه يلى امر مخلوقه الذى لايقدر ولايملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حيوة ولانشورا فهو ولى و مولى و وكيل كل من وجه .

و من حيث انه يفيض الحيوة فهو محيى .

ومن حيث انه يفيض الصور فهو مصور .

ومن حيث ان ذلك كله منه احسان فهو بر .

و من حيث ان الرب به يظهر كل ما في الوجود فهو نور ثم هو مبين .

ومن حيث ان له كل شيء و هو يدبره فهو ملك ذوالعرش .

ومن حيث ان عنده ماعند كل شيء من غير عكس فهو عزيز .

ومن حيث انه لايحتاج الى شيء ولا الى ماعند شيء فهوغنى .

ومن حيث ان الرب ملك ذوالعرش ليس غيره فهواحكم الحاكمين خير الفاصلين والحاكمين و الفاتحين .

ومن حيث ان الرب يصمد ويرجع اليه المربوبون في حوائجهم فهو صمد .

و الصمد من حيث يطلب منه الراجعون عونه و اعانتهم فهو مستعان .

والرب من حيث يعبد بالتوجه اليه اله .

ثم ان ما مر من الاسماء غير ثلثة منها و هو الواحد الاحد الحق واقعة تحت الاسمين القادر العليم و هما اذا نسبا معا الى الغير كانت القيومية فهما تحت الاسم القيوم و هو تعالى بما انه عليم قدير في ذاته فهو حى : فسيطرة الاسمين الحى القيوم واقعة على جميع الاسماء الثبوتية غير الوحدة قال تعالى الله لااله الاهو الحى القيوم الاية فبالتوحيد في الاية يتم شمولها لجميع الاسماء الثبوتية .

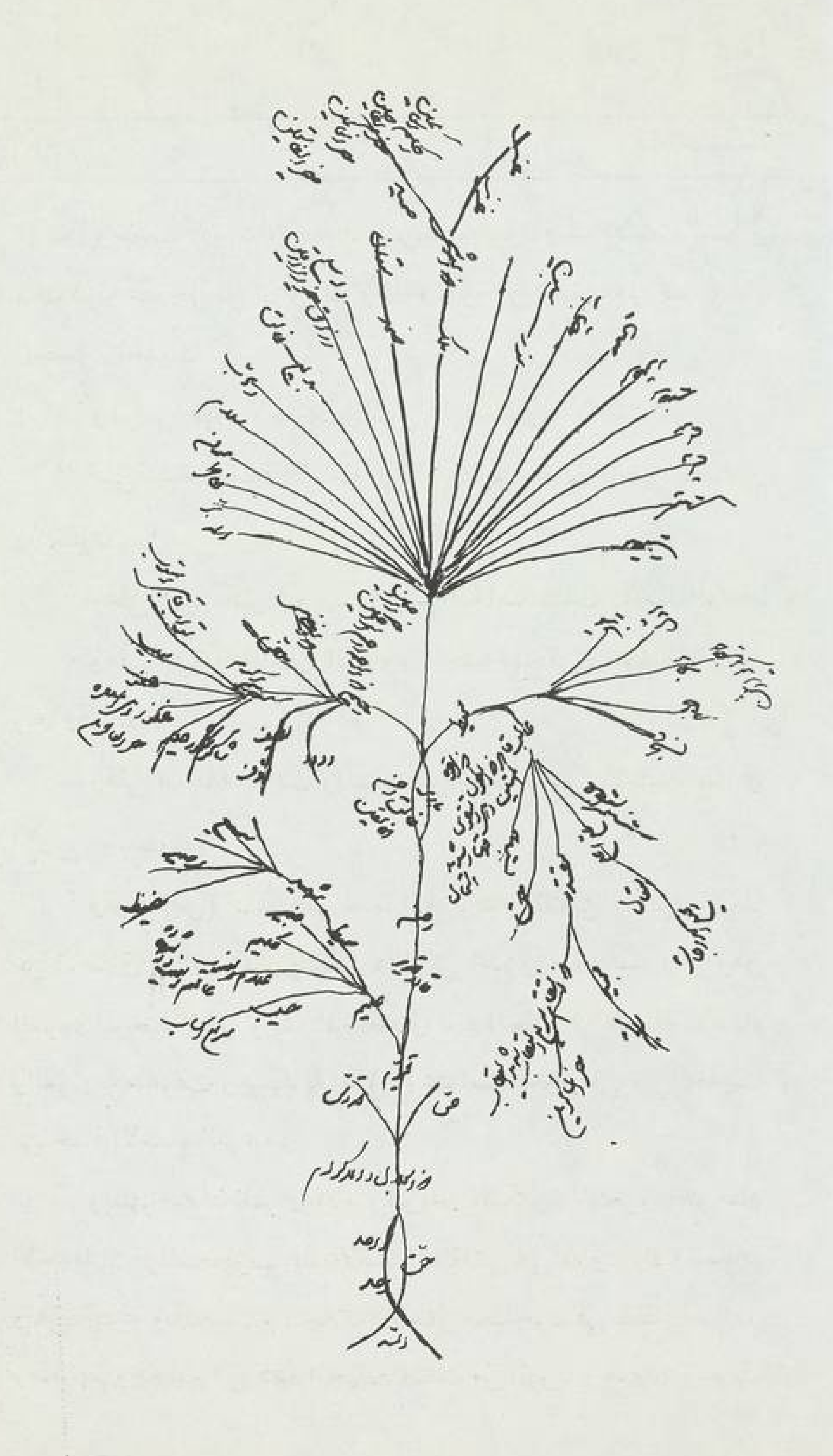
واما السلوب وانتفاء النواقص والاعدام فيجمعها الاسم القدوس .

ويجمع الكل اعنى الاسماء الثبوتية والسلبية والجلال والجمال

و الذاتية و الفعلية جميعا الاسم ذوالجلال و الاكرام تبارك اسم ربك ذوالجلال والاكرام.

فهذا نوع تفرع الاسماء بعضها على بعض والترتب والتنزل الذى بينها و ربما امكنك بالتدبر والتامل ان تجد بينها مناسبات معنوية اخرى غير ماذكرناه توجب تفرعات اخرى وهاك فيما مر شجرة.

واجمع خبر لجميع معانى المباحث السابقة مافى الكافى مسندا عن ابراهيم بن عمر عن الصادق (ع) ان الله تبارك و تعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفى عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معاليس واحد منها قبل الاخر فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها وحجب واحدا منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة التى اظهرت فالظاهر هو الله و تبارك و سبحان لكل اسم من هذه اربعة اركان فذلك اثناعشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارى المصور الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارىء المنشىء البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيى المميت الباعث الوارث فهذه الاسماء وماكان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلثماة وستين اسما فهى نسبة لهذه الاسماء الثلثة وهذه الاسماء الثلثة



اركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة و ذلك قوله عزوجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى الحديث .

وهو من غرر الاحاديث يشتمل على وجازته .

على كيفية حقيقية الاسماء و قيام حقايق بعضها ببعض بالظهور و البطون .

وعلى كيفية تكثّرها و تكثر الاسماء الخاصة بنسب الاسماء العامة .

وعلى كيفية فاقة الخلق اليها وهو احتياجهم فى ذواتهم اليها وقيام وجودهم بها .

وعلى ان هذا الترتب والتنزل امر حقيقى ليس بالاعتبار اللغوى الادبى فحسب .

وقوله (ص) ان الله خلق اسما الخ يريد به التعين والتنزل الاول عن الاطلاق الذاتى الذى ينمحى هناك كل اسم ورسم وعين واثر وهو المورد الوحيد الذى وجد نافيه اطلاق لفظ الخلق فى مرحلة الاسماء والمراد به ماعرفت و يشهد به انه (ع) عد اسم الخالق فى ذيل الحديث من جماة الاسماء الفرعية .

ويظهر منه ان المراد بالاسم الواحد المكنون المخزون هو مقام الاحدية اذ هو المحجوب بهذه الاسماء الثلثة التى هى الله وتبارك وسبحان وهى الهوية و الجمال و الجلال اذ الخلق محتاجون فى تحقق اعيانهم وصفاتهم وافعالهم الى هذه الجهات الثلث من الهوية و صفات الثبوت

و صفات السلب و اما اذا لوحظ الخلق بالنسبة الى مقام الاحدية ففيه ارتفاع موضوعهم من الاعيان و آثارها كما لايخفى و قد عبر (ع) فى مبتدء كلامه عنه سبحانه بهذه الاسماء الثلثة ايضا فقال ان الله تبارك وتعالى آه ثم فسر (ع) قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى الاية بماذكره من احتجاب الاسم الواحد بالاسماء الثلثة وتفرع باقى الاسماء على الثلثة الحجب وهو ظاهر فى ان الضمير فى قوله تعالى فله الاسماء الحسنى آه راجع الى هذا الاسم المكنون المخزون اى راجع اليه سبحانه من حيث انه متعين بهذا التعين الاحدى اذ الدعا توجه ما و هو لايكون الا الى متعين متبين و اذ بين سبحانه ان جميع الاسماء الحسنى له وباى دعى دعى فالدعاء بجميع الاسماء التى لها تعين ما والمدعو هو الذات من حيث تسميته بها اى هذه الاسماء وهى قائمة بالذات والذات لانسبة له مع شىء الامع تعين ما وقد فرض جميع التعينات فى ناحية الدعاء فلم يبق الا تعين هو عين الاطلاق و هو مقام الاحدية اليه ينتهى السائرون بعد طى مراحل الاسماء وعنده تحل الرحال فافهم .

الى ذلك يشير ما فى بعض الادعية قال (ع) باسمك المكنون المخزون الحى القيوم الدعاء .

وانت بعد التدبر فيما مر من الكلام يمكنك ان تستخرج معانى آخر من هذا الحديث الشريف والله الهادى .

المبحث الخامس

قد عرفت ان ذاته سبحانه هى الهوية الحقيقية العينية التى تقوم و تظهر به كل هوية فى الاعيان ، و من هنا يظهر ان الاسماء الثلثة التى للخطاب والتكلم و الغيبة وهى انت وانا وهو ثابتة اسماء له تعالى فانها اسماء للهوية باعتبار الخطاب والتكلم والخلو عنهما وقدقال سبحانه **لا اله الا انت سبحانك** وقال تعالى **لااله الا انا فاعبدونى** و قال تعالى **الله لااله الا هو** و قال تعالى **اياك نعبد و اياك نستعين** و قال تعالى **و اليه ترجعون** الايات .

واما اسم الاشارة والموصول فقد ورد الاطلاق لكن لم يتعرض احد بالاسمية فيها قال تعالى **ذلكم الله ربكم** و قال تعالى **هو الله الذى لااله الا هو** وقال **امن يجيب المضطر اذا دعاه** الايات .

المبحث السادس

قد شاع فى الالسن ان اسماء الله تعالى توقيفية وقد ارسلوه ارسال المسلمات وليس المراد بالاسم هيهنا حقيقته وهو الذات الماخوذ بوصف ما لعدم رجوعه ح الى معنى محصل بل المراد به الاسم اللفظى وهو اسم الاسم حقيقة وح فالمراد من التوقيف اما التوقيف على الرخصة الشرعية الكلية او الشخصية فيمكن توجيه القاعدة بوجهين :

احدهما ان معانى الالفاظ على المتداول المفهوم عندنا حيث لم تخل عن جهات النقص والاعدام وان كانت مختلفة من هذه الجهات ايضا وذلك مثل الاغواء والمكر والحيلة والاضلال ومثل الكبير والجسيم

و نحوهماونحن لانفی عقولنا بادراك ما هو اللايق بحضرته المقدسة و و تشخیصه و تمییزه عما لا يليق احتيج الى ورود رخصة ما فى الايقاع والاطلاق ولضعف العقول عن الشرح والتفصيل فى كل مورد مورداحتيج الى ورود كل اسم اريد اطلاقه بنحو الاسمية عليه تعالى .

والثانی انالامر كك لكن مجرد ضرب القاعدة بقوله تعالى و لله الاسماء الحسنى فادعوه بها و ذرواالذين يلحدون فى اسمائه الايه يكفى فى مقام التعليم وان نحذر عن اطلاق ما لايليق بساحته المقدسة بحسب المعانى المفهومة من الالفاظ الدائرة فى لغاتنا هذا .

وهذانوجهان مختلفان بحسب النتيجة فعلى الاول لايجوز اطلاق الاسم مالم يرد شرعا وان علمنا خلوّة عن جهات النقص والاعدام .

وعلى الثانی یجوز ذلك سواء ورد بالخصوص شرعا ام لا .

والظاهر ان مراد اكثر المتمسكين بهذه القاعدة هوالمعنى الاول وهو عليل لقوله تعالى و لله الاسماء الحسنى وقوله تعالى الله لااله الاهو له الاسماء الحسنى و قوله تعالى قل ادعواالله او ادعوا الرحمن اياً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وغيرذلك من الايات التى تابى سياقها عن الحمل على العهد الذهنى بل ظاهرها الام الجنس وقد حل بالجمع فتفيد الاستغراق وان كل اسم احسن فله تعالى وقد مر تقريبه فى الفصول السابقة مع ان مقتضى الاستدلال لزوم التوقف فى كل معنى يطلق بلفظ مّا عليه تعالى اعم من ان يكون بنحو الافراد والتسمية او بنحو التوصيف اوالحكاية بجملة او كلام تام كما لايخفى .

و اما ماورد من الروايات ان لله سبحانه تسعة و تسعين اسما كما مر نقلها فليس فى مقام الحصر من حيث العدد .

و يشهد بذلك ان الاسماء التى درجت فيها و ذلك فى روايتين منها مختلفة متفاوتة و قد اهمل فيهما شىء كثير من الاسماء الواردة فى القرآن كما مر .

و يشهد بذلك ايضا ان الرواية الاخرى و هى رواية الكافى فى خلق الاسماء المنقولة سابقا تثبت من الاسماء الحسنى ثلثماة وستين اسما بل ظاهر هذه الرواية ان الاسماء الحسنى غير مقصورة على مجرد مايفيد التسمية من الاسماء كالرحمن الرحيم الملك بل يعم الجمل التى تفيد بمجموع الفاظها بمعنى لايقانه تعالى فانها عدت من الاسماء الحسنى لفظة تبارك وسبحان ولا تاخذه سنة ولانوم واذاصح عد مثل هذه الجمل من الاسماء الحسنى صح فى ساير الجمل التى اطلق عليه سبحانه فى الروايات و الخطب و المواعظ و الادعية و هى على اختلاف مواردها بحيث لايشك المتتبع فيها ان هذا النحو من الاطلاق و التوصيف غير موقوف على ورود تحديد شرعى شخصى البته وانما اللازم فى مواردها خلوها عن اثبات النواقص ومنافيات الكمال هذا .

فصل ۵

قد عرفت ان الاسماء هى حقايق الكمالات الوجودية وانها مترتبة متفرعة نشاء بعضها من بعض وظاهر ان الاسم الذى ينتشاء منه آخر فهو اوسع دائرة وارفع محلا واعظم اثرا منه ولايذهب هذا الترتب والتنزل

اخذا من تحت الى فوق الى غير النهاية فما ينتهى اليه جميع الاسماء هو اعظم الاسماء و اليه ينتهى جميع الاثار الوجودية التى لها فى دار الوجود .

فصل ۶

وقدتواترت الاثار من الاخبار والادعية الصحيحة الواردة عنهم(ع) فى وجود الاسم الاعظم و هى على كثرتها لاتحتاج الى النقل فى هذا المختصر وانما المهم بيان شيء آخر وهوانك اذا تاملت الاخبار والادعية و ما يثبت فيها من الاثار للاسم الاعظم علمت انه الاسم الذى يترتب عليه كل اثر متصور من الايجاد والاعدام من الابداء و الاعادة و الخلق والرزق والاحياء والاماتة والحشر والنشر و الجمع و الفرق و بالجملة كل تحويل وتحول جزئى وكلى ومن الواضح ان هذه التاثيرات غير مترتبة على اسم لفظى و هو صوت مسموع عرضى قائم بمخارج الفم فان بل صادرة من ناحية المعنى و هذا المعنى ايضا غير مؤثر بما انه صورة ذهنية خيالية مثلا بالضرورة فانها مثل اللفظ ، على انها فانية فى المصداق الخارجى ، على ان هذا المؤثر كائنا ماكان فهومؤثر بوجوده العينى ومن المستحيل دخول مثل هذا الوجود فى الذهن فليس الاسم المزبور الا اسما خارجيا حقيقيا وهوالذات ماخوذا بوصف فهو بعض مراتب الذات المقدسة نعم هو ارفع المراتب واعلاها وهذا هوالمراد من اسم الله الاعظم الواردة فى الآثار هذا .

وفى البصاير مسندا عن عمار الساباطى قال قلت لابى عبدالله(ع)

جعلت فداك احب ان تخبرنى باسم الله الاعظم فقال انك لا تقوى على ذلك قال فلما الححت قال فكانك اذا ثم قام فدخل البيت هنيئة ثم صاح بى ادخل فدخلت فقال لى ما ذلك فقلت اخبرنى به جعلت فداك قال فوضع يده على الارض فنظرت الى البيت يدور بى واخذنى امر عظيم كدت اهلك فضحك عليه السلام فقلت جعلت فداك حسبى لا اريد الرواية.

وروى فى البصاير ايضا شبيه القضية عن عمر بن حنظلة وابى جعفر عليه السلام.

و روى فى البصاير ايضا مسندا عن جابر عن ابى جعفر (ع) قال ان اسم الله الاعظم على ثلثة وسبعين حرفا وانما عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت اسرع من طرفة عين و عندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفا وحرف عندالله استاثر به فى علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

وفى البصاير ايضا مسندا عن البرقى يرفعه الى ابيعبدالله قال ان الله جعل اسمه الاعظم على ثلثه وسبعين حرفا فاعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفا واعطى منها ابرهيم ثمانية احرف واعطى موسى منها اربعة احرف و اعطى عيسى منها حرفين يحيى بهما الموتى و يبرىء بهما الاكمه والابرص و اعطى محمدا اثنين وسبعين حرفا واحتجب حرفا لئلا يعلم ما فى نفسه ويعلم ما فى نفس العباد الخبر.

وانت بعد معرفتك ان النفس الانسانية ان تفنى فى مرتبة من مراتب

الذات ولايبقى ح الا تلك المرتبة تعرف معنى هذه الاخبار ولو كان هناك في الحقيقة لفظ كان حاله حال ساير الفاظ الدعاء بالنسبة الى الاستجابة.

ومن هنا يظهر ان المراد من الحروف في الرواية ليس هو حروف الهجاء وهو كك قطعا فان الاحتجاب ح غير معقول.

ويؤيده ما فى الخبر ان احرف الاسم الاعظم متفرقة فى القرآن والامام يؤلفها ويدعو بها الخبر.

و فى العيون و تفسير العياشى ان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من ناظر العين الى بياضها الخبر.

ومن هنا يظهر معنى ماورد عن ائمة اهل البيت انهم (ع) الاسماء الحسنى وانهم اسم الله الاعظم ويظهر ذلك ايضا من رواية الكافى السابقة.

و اذا تذكرت تلك الرواية وما ورد فى روايات الحجب علمت ان محجوبية الاسم الاعظم و استيثاره فى علم الغيب انما هو بكونه مسلوب التعينات فلاتصل اليه الايدى الا بمسئلة الفناء ولاخلق ح والملك يومئذ لله و لعل هذا، هو المراد باستيثار الحرف الواحد والله العالم.

تم الكلام و الحمد لله رب العالمين و الصلوة على
محمد وآله اجمعين فى العشر الاخير من شهر
المحرم سنة احدى و ستين و ثلثماة
بعد الالف الهجرية القمرية

رسالة الافعال

هوالله رسالة فى افعال‌الله سبحانه وهى الرسالة الثالثه
من كتاب التوحيد وهى آخرالرسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين و الصلوة و السلام على اوليائه المقربين سيما محمد و آله الطاهرين .

هذه رسالة وضعنا فيه اجمال‌القول فى افعال‌الله سبحانه ومايتفرع عليها من القول فى القضاء والقدر والبداء و السعادة و الشقاوة و الجبر و التفويض و ساير ما يشبهها من الهداية و الاضلال و المشية و الارادة والتمحيص والاستدراج والغضب والاسف ونحوها والله المستعان .

فصل ١

قد بر هنا فى رسالة الاسماء الحسنى على ان كل فعل متحقق فى دار الوجود مع اسقاط جهات النقص عنه و تطهيره من ادناس المادة والقوة والامكان وبالجملة كل جهة عدمية فهو فعله سبحانه بل حيث كان العدم و كل عدمى بما هو عدمى مرفوعا عن الخارج حقيقة اذ ليس فيه

الاالوجود واطواره و رشحاته فلافعل فى‌الخارج الافعله سبحانه‌وتعالى وهذا امر يدل عليه البرهان والذوق ايضا .

فصل ۲

ويدل‌على مامر النقل ايضاقال‌تعالى **ذلكم‌الله ربكم خالق كلشىء** وقال‌تعالى **الله خالق كلشىء** وفيهذا المعنى آيات كثيرة .

وقال‌تعالى **الذى احسن كلشىء خلقه** فاخبر سبحانه بان كل شىء من خلقه وانه حسن .

ثم قال تعالى **ماأصابك من حسنة فمن‌الله وما اصابك من‌سيئة فمن نفسك.**

و بهذه الاية يتم ان السيئات من حيث انها سيئات امور عدمية ، و انما اخذنا الحيثية لمكان ماقبل الاية و هو قوله تعالى **وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله و ان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عندالله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً.**

وفى‌الكافى وغيره مستفيضا عن‌الرضا(ع) قال‌الله‌ابن آدم بمشيتى كنت انت الذى تشاء لنفسك ما تشاء و بقوتى اديت فرائضى و بنعمتى قويت على‌معصيتى جعلتك سميعابصيرا قويا ماأصابك من‌حسنة فمن‌الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وذلك انى اولى بحسناتك منك وانت اولى من سيئاتك منى وذلك انى لااسئل عما افعل وهم يسئلون .

و هذا الحديث القدسى من جوامع الكلم يتضمن بيان جميع

ماذكر و بالجملة فالفعل كلها من الله كما مر و مع الغض عن ذلك النظر فالافعال كلها من حيث حسنها له سبحانه .

ثم ان الذى خصه سبحانه بالذكر فى كلامه او فى السنة اوليائه بعض هذه الافعال وهى مع ذلك كثيرة الا انها بجملتها على قسمين :

احدهما افعاله سبحانه فى تفاصيل خلقه و قيمومته و هى قيامه بلوازم الخلقة وشئونها كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين و تجعلون له اندادا ذلك رب العالمين و جعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء و هى دخان فقال لها و للارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها و زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم و قوله تعالى ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار و قوله تعالى انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها الى غير ذلك من الايات المشتملة على انحاء الافعال من القول والكلام والتصوير والتسخير والكتابة والتوصية والانبات والسوق والسقاية وامثالها .

وثانيهما افعاله تعالى فى باب السعادة و الشقاوة و ما يلحق بهما قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء

وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا الايات ، وهي تدل على اجمال القول الكلي في افاضته على كلتا الطائفتين و امداده لكلا الجانبين .

ثم شرح سبحانه الحال في جانب الشقاء في آيات آخر فقال سبحانه سنستدرجهم من حيث لايعلمون و املي لهم ان كيدي متين و قال تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا و قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون حتى اذا جائنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين .

و قال تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم الى ان قال و نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة و نذرهم في طغيانهم يعمهون .

و قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون .

و قال تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون .

الى غير ذلك من الايات التي تنبيء عن انه سبحانه يخرجهم من النور ويتركهم في ظلمات موحشة متراكمة ويزين لهم سراب الخبائث و السيئات بصور جميلة حسنة و يجعل الاغلال في اعناقهم و السد من

بين ايديهم ومن خلفهم و يعميهم و يصمهم و يبكمهم و يقلب افئدتهم و ابصارهم و يجرح قلوبهم و يضيقها فلا تسع الحق و يلازمهم بقرناء الشياطين و رفقاء الابالسة و يستدرجهم ويملى لهم ثم يحلهم دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار وامثال هذه الايات واردة فى جانب السعداء ايضا .

و من هذا الباب آيات اخر تدل على لزوم الامر كقوله تعالى قال الحق و الحق اقول لاملأنّ جهنم منك و ممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى ولوشئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول منى لاملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين .

و قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون .

ومن هذا الباب مايدل من الايات على ان الامر مقضى و القضاء الحتم مفروغ عنه مكتوب فى اللوح المحفوظ وقد جف القلم قال تعالى و اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ثم قال تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذاباً شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا .

وقال تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير .

وهذا القسم الثانى من الافعال التى نسبها الحق سبحانه الى نفسه يوجب بحسب ظاهر الآيات السابقة تاثيرا ما للحق سبحانه فى جميع الافعال حتى السيئات من حيث هى سيئات و قد عرفت قيام البرهان و نهوض النقل و البيان على خلاف ذلك وهذا هو الموجب لتكلم القوم فى القضاء و القدر و السعادة و الشقاوة ونحوها و لاىح يتبعها النظر الظاهرى من حيث نظام التكليف و الجزاء و الثواب و العقاب و الشكر و العتاب كما ستعرف .

فصل ٣

حيث ان الموجودات بعد الحق سبحانه و اسمائه وصفاته ذو مراتب ثلث وهى بنحو الكلية على مايقطع به البرهان المذكور فى رسالة الوسائط ثلثة عوالم عالم العقل المجرد وعالم المثال و عالم المادة وهى مترتبة ترتب العلة و المعلول و الكمال و النقص وقد فرغنا عن ذلك هنالك فكل ما يوجد فى عالم المادة و الجسم فصورته مطابقة لما فى عالم المثال من الصور وهى مطابقة لصور عالم العقل المجرد و ينتج ذلك ان نظام كل سافل منها مثبت فى ما فوقها ثبتا متقنا لا يتطرق اليه التغير و التبدل اذ ثبوت وجود فى عالم سافل يحتاج الى علة فى مافوقه وهى اذا تحققت لم تتغير اذ الواقع لايتغير عما هو عليه فما يقبل التغير من حيث هو واقع فليس بواقع فقبول العلة للتغير مع تحقق المعلول و وجوده و وقوعه مستلزم لخلاف الفرض او الانقلاب المحال فنظام الوجود فى كل عالم

موجود مثبت في سابقه ومافوقه بنحو ثابت غير متغير.

ثم ان الحوادث التي في عالم الاجسام حيث انها انما تتم وجودها بالمادة فهي كائنة ماكانت محتاجة الوجود الى استعداد سابق تحمله مادة وتتكثر الاستعدادات والامكانات بتكثر جهات المستعد له ويتسلسل في ضمن موجودات جسمية سابقة بالزمان كلما بعد حامل الاستعداد عن المستعد له قل تخصصه وتعينه في ضمن المستعد وزاد ابهامه واشتد اجماله وكثرت نسبته الى امور يمكن وجودها فيه وكلما قرب من المستعد له كثر تخصص المستعد له و تعينه حتى يتم الاستعداد و يتصف بصفة الوجود وح يتم تعينه وتشخصه و امتنع تبدله لعدم ابهام فيه و استحال تغيره عما هو عليه.

مثال ذلك الانسان مثلا فانه قبل تمامية صورته الانسانية علقة ونطفة مثلا وقبل ذلك مركب غذائي وقبل ذلك مركب نباتي مثلا و قبل ذلك مركب عنصري و قبل ذلك عنصرا و عناصر بسيطة و هو حين كونه في مرتبة العنصر يمكن ان يصير واحدا من الوف من المحتملات حتى يتخصص بالوف من الاستعدادات و الفعليات فيصير مركبا عنصريا مخصوصا يبطل غيره من الممكنات والمحتملات جميعا و لا يبقى غير ماهو صاركك ويمتنع تغيره عنه الى غيره اذالمفروض بطلان استعداده و لا يزال كلما قرب من افق الانسان بطلت عدة من الاستعدادات و سد طريق جمع من المحتملات حتى يصير انسانا ويبطل ح جميع مايمكن ان يكون هو الا الانسانية وامتنع ان لايكون انسانا ويتغير عنها الى غيرها

اذالغير باطل زايل كل ذلك مما لا شك فيه .

و قد تبين ان المانع فى مرتبة تمامية الوجود عن التغير كما مر انما هو الوجود التام الذى يترتب به على الشيء آثاره اذ وجود الشيء نفس الشيء ومع فرض نفس الشيء كالانسان مثلا يمتنع تغيره عن نفسه اى فرض الانسان ووقوع الانسان موقعه فافهم ذلك .

واعلم ان هذا غير التغيرات و التبدلات التى فى هذا العالم فان تغير الانسان مثلا الى التراب وغيره ليس تغيرا فى وجود الصورة الانسانية وانما هو ارتفاع وجود الانسان عن المادة و نزول صورة التراب اليها فالتغير انما هو فى المادة الغير التامة الا بصورتها و اما وجود الصورة فليس فيه تغير و انما هو البطلان وفى الحقيقة انما هو انتهاء امد وجود وابتداء امد وجود آخر.

وبالجملة فالوجود الخارجى مانع عن طروق التغير و التبدل و هو الذى يلزمه آخر التفاصيل الواقعية للشيء فى ذاته و آثاره و نسبة الخارجية مع ارتفاع ابهامه من كل وجه و اذا كان ذلك كك و جميع استعدادات الوجودات المادية و الحوادث الامكانية و حوامل تلك الاستعدادات ايضا موجودة فى الخارج فهى ايضا ممتنعة التغير عما هى عليها فجميع الوجودات التى يتركب منها عالم الاجسام ويستقر عليها نظامه امور ثابتة بهذا النظر غير قابلة للتغير وانما تقبل التغير لافى انفسها بل بقياس بعضها الى بعض ونسبته فالنطفة من حيث انها نطفة غير قابلة التغير عما هى عليها ولااستعدادها لان يكون انسانا اوجسما آخر بماهو

استعداد موجود قابل للتغير ولامادتها الحاملة للاستعداد فى انها مادة قابلة للتغير وانما المادة اذا اضيفت الى الصور الحاصلة فيها تقبل ان تتحصل باحديها و اقربها مثلا صورة الانسان و بالجملة فهذا النظام الجسمانى باجزائها نظام غيرقابل للتغير مثل النظام فى عالمى المثال والعقل المجرد غير ان فى ضمنه نظاما آخر لقبول التغير غير مؤثر قوته فى فعليته.

وحيث ثبت بالبرهان اشتمال عالم المثال لنظام هذا العالم بجميع تفاصيلها و اشتمال عالم العقل المجرد لتفاصيل عالم المثال ففيهما من تفاصيل نظام هذا العالم المادى قسم يقبل التغير فى مرتبة وقوعه فى عالم المادة وقسم لايقبل التغير بتاتا وحيث ان عالم المثال شبح ومثال لعالم العقل المجرد كان ثبوت الحكم بقسميه بالحقيقة هناك فافهم واحسن التامل فيه.

فتبين من جميع مامر ان لوجود الحوادث مرتبتين سابقتين عليها مرتبة لا تقبل التخلف عن الوقوع و التغير عن ذلك و هو التى نسميه بالقضاء الحتم و مرتبة تقبل التخلف و التغير كمرتبة مقتضياتها و عللها الناقصة والاستعدادات وهى التى نسميها بالقدر وهو القابل لوقوع المحو والاثبات و هو البداء.

وتبين ايضا ان هذا التقسيم فيما يقبل التركيب فى وجوده و اما مالايقبله كالمجردات المحضة فليس فيها الا القضاء فحسب.

فصل ۴

ويدل على ما مر النقل ايضا وقد مر بعض الايات فى ذلك و فى

المحاسن مسندا عن هشام بن سالم قال قال ابوعبدالله (ع) ان الله اذا اراد شيئا قدره فاذا قدره قضاه فاذا قضاه امضاه و فيه مسندا عن محمد بن اسحق قال قال ابوالحسن (ع) ليونس مولى على بن يقطين يا يونس لا تتكلم بالقدر قال لااتكلم بالقدر و لكن اقول لا يكون الا ما اراد الله وشاء وقضى وقدر فقال ليس هكذا اقول ولكن اقول لايكون الا ماشاء الله و اراد و قدر وقضى ثم قال اتدرى ما المشية فقال لافقال همه بالشيء او تدرى ما اراد قال لا قال اتمامه بالمشية فقال او تدرى ما قدر قال لا قال هو الهندسة بالطول والعرض والبقاء ثم قال ان الله اذا شاء شيئا اراده واذا اراد قدره واذا قدره قضاه واذا قضاه امضاه الخبر وفى خبر آخر فذلك الذى لامرد له.

وفى التوحيد مسندا عن زرارة عن عبدالله بن سليمان عن ابيعبدالله (ع) قال سمعته يقول ان القضاء والقدر خلقان من خلق الله والله يزيد فى الخلق ما يشاء.

اقول و ذيل الخبر اشارة الى البداء و صدره اشارة الى ما بيناه من كونهما مرتبتين من الوجود وان كانا من مراتب العلم من جهة اخرى كما يشير اليه اخبار اخر.

ففى التوحيد عن المفسر باسناده الى العسكرى (ع) فيما يصف به الرب لايجور فى قضيته الخلق الى ماعلم منقادون و على ماسطر فى كتابه ماضون لايعملون خلاف ماعلم منهم ولاغيره يريدون الخبر.

و فى المحاسن مسندا عن داود بن سليمان الجمال قال سمعت

اباعبدالله (ع) وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة فقال هذاكلام خبيث انا على دين آبائى لاارجع عنه القدر حلوه ومره من الله والخير والشر كله من الله .

اقول و الاخبار بهذا اللسان ايضا مستفيضة و فى علل الشرايع مسندا عن عمرو بشر البزاز عن الباقر (ع) فى حديث و الله لقد خلق الله آدم للدنيا واسكنه الجنة ليعصيه فيرده الى ماخلقه له .

اقول و الاخبار فيهذا المساق ايضا مستفيضة على تعلق القضاء والقدر بالمعاصى ايضا و ان لم يتعلقا بهما من حيث انها كذلك .

واجمع خبر فى ذلك مااستفاض نقله عن على(ع) انه جاء رجل الى اميرالمؤمنين (ع) فقال يااميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فقال يا اميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر قال طريق مظلم فلاتسلكه قال يااميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر قال سر الله فلاتتكلفه قال يا اميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر فقال اميرالمؤمنين (ع) اما اذا ابيت فانى سائلك اخبرنى اكانت رحمة الله للعباد قبل اعمال العباد ام كانت اعمال العباد قبل رحمة الله قال فقال له الرجل بل كانت رحمة الله للعباد قبل اعمال العباد فقال اميرالمؤمنين (ع) قوموا فسلموا على اخيكم فقد اسلم وقد كان كافرا قال وانطلق غير بعيد ثم انصرف اليه فقال له يااميرالمؤمنين ابا لمشية الاولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط فقال له اميرالمؤمنين (ع) وانك لبعد فى المشية اما انى سائلك عن ثلث لا يجعل الله لك فى شىء منها مخرجا اخبرنى اخلق الله العباد كما شاء اوكما شاؤا فقال كما شاء

قال فخلق الله العباد لماشاء او لماشائوا فقال لماشاء قال یاتونه یوم القیمة کماشاء او کماشائوا قال یاتونه کماشاء قال قم فلیس الیك من المشیة شيء.

اقول استدل صلوات الله علیه بثبوت القدر وهو تأثیر الحق سبحانه فی تفاصیل الموجودات وصدور افعالها ومنها الانسان بالصفات وسبقها علی الافعال فان سبق الرحمة یقتضی ایجاد مقتضاها وهی تقتضی مرحوما کما ان سبق صفة المغفرة یقتضی ذنبا یقع علیه المغفرة کما فی الخبر لولا انکم تذنبون لذهب بکم وجاء بقوم یذنبون.

واما ذیل الخبر فیشیر الی ان مشیة الحق سبحانه هی الغالبة القاهرة علی کل حال وهو (ع) وان لم یصرح الا ان فحوی الکلام یدل علی انه یقول فیه علی صفات الحق سبحانه المناسبة له کالقدرة و القهر والملك کمایفسره قوله(ع) فی خبر آخر وقد سئل عن القدر فقال(ع) مایفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومایمسك فلامرسل لها فقیل یاامیر المؤمنین انما سئلناك عن الاستطاعة التی بها نقوم و نقعد و نقبض و نبسط فقال استطاعة تملك مع الله ام دون الله فسکت القوم ولم یحروا جوابا فقال(ع) ان قلتم انکم تملکونها مع الله قتلتکم وان قلتم دون الله قتلتکم فقالوا کیف نقول یاامیر المؤمنین قال تملکونها بالذی یملکها دونکم فان امدکم بها کان ذلك من عطائه و ان سلبها کان ذلك من بلائه انما هو المالك لما ملککم و القادر لما علیه اقدرکم اما تسمعون ما یقول العباد و یسئلونه الحول والقوة حیث یقولون لاحول ولاقوة الا بالله الخبر.

و فی التوحید مسندا عن زرارة قال سمعت اباعبدالله (ع) یقول

كما ان بادیء النعم من الله وقد نحلكموه كذلك الشر من انفسكم و ان جری به قدره .

اقول وهذا الخبر فی معنی سابقه وجملة المعنی ان الایجاد كالوجود له سبحانه بالاستقلال ولغيره سبحانه بالتبع وبه سبحانه ويدل عليه ايضا ما فی التوحيد مسندا عن الزهری قال قال رجل لعلی بن الحسين (ع) جعلنی الله فداك ابقدر يصيب الناس ما اصابهم ام بعمل فقال ان القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لايحس والجسد بغير روح صورة لاحراك بها فاذا اجتمعا قويا و صلحا كذلك العمل و القدر فلو لم يكن القدر واقعا علی العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئا لم يحس ولو لم يكن العمل بموافقته من القدر لم يمضی ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا الخبر.

وفی الكافی والتوحيد مسندا عن المعلی قال سئل العالم (ع) كيف علم الله قال علم وشاء واراد وقدر وقضی وامضی فامضی ماقضی وقضی ماقدر وقدر مااراد فبعلمه كانت المشية و بمشيته كانت الارادة و بارادته كان التقدير و بتقديره كان القضاء و بقضائه كان الامضاء فالعلم متقدم المشية والمشية ثانية والارادة ثالثة والتقدير واقع علی القضاء بالامضاء فلله تبارك و تعالی البداء فيما علم متی شاء و فيما اراد لتقدير الاشياء فاذا وقع القضاء بالامضاء فلابداء فالعلم فی المعلوم قبل كونه و المشية فی المنشأ قبل عينه والارادة فی المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها اعيانا و قياما و القضاء بالامضاء هو المبرم من

المفعولات ذوات الاجسام المدركات بالحواس من ذى لون و ريح و وزن و كيل وما دب ومادرج من انس وجن و طير و سباع و غير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تبارك و تعالى فيه البداء مما لاعين له فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلابداء والله يفعل مايشاء وبالعلم علم الاشياء قبل كونها وبالمشية عرف صفاتها وحدودها وانشائها قبل اظهارها وبالارادة ميز انفسها فى الوانها وصفاتها وحدودها وبالتقدير قدر اقواتها و عرف اولها و آخرها و بالقضاء ابان للناس اماكنها و دلهم عليها و بالامضاء شرح عللها وابان امرها ذلك تقدير العزيز العليم .

اقول ويستفاد من هذه الرواية جل مابيناه فى الفصل السابق .

وقد تبين به مورد القضاء والقدر كما مر و ان البداء مورده القدر على انه المصحح له ايضا .

و قد روى العياشى عن الباقر انه قال كان على بن الحسين (ع) يقول لولا آية فى كتاب الله لحدثتكم بما يكون الى يوم القيمة فقلت له اية آية قال قول الله يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب .

و مثله فى التوحيد عن اميرالمؤمنين (ع) و الاخبار الواردة فى ثبوت البداء فوق حدالاستفاضة تركنا نقلها ايثارا للاختصار .

و فى المحاسن مسندا عن حريز او عبدالله بن مسكان قال قال ابوجعفر (ع) لايكون شيء فى الارض ولا فى السماء الا بهذه الخصال السبعة بمشية وارادة وقدر وقضاء واذن و كتاب واجل فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة منهن فقد كفر .

اقول وهى اشارة الى قوله تعالى **ويفعل الله مايشاء** وقوله تعالى **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون** و قوله تعالى **انا كل شيء خلقناه بقدر** وقوله تعالى **له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم** وقوله تعالى **ما اصاب من مصيبة الا باذن الله** و قوله **ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى** و قوله تعالى **لكل اجل كتاب** وامثال هذه الايات .

واعلم ان اخبار هذا الباب مثل باب السعادة و الشقاوة و الجبر والتفويض على ثلثة اقسام قسم منها متعرض لحقايق الامور و قسم منها يكتفى ويجرى مع الناس بحسب ظاهرها لهم و قسم ينهى عن التعرض لهذه الابحاث كما مر فى الخبر عن اميرالمؤمنين (ع) طريق مظلم فلاتسلكه الخ .

وفى تفسير القمى وفى حديث آخر سئل يعنى الصادق (ع) هل بين الجبر والقدر منزلة قال نعم فقيل ماهو فقال سر من اسرار الله الخبر ومن المعلوم ان جواباتهم (ع) على قدر افهام السائلين والسامعين على اختلاف مراتبهم .

فصل ٥

الانواع التى لها نفوس مجردة تجرد اما هى فى اول وجودها انواع مادية محضة ثم تتحرك ذواتها بالحركة الجوهرية وتصير مجردة تجردا خياليا و تقف هناك او تتجاوز عنه بالحركة الجوهرية فتصير مجردة تجردا عقليا كليا وذلك فى بعض افراد الانسان فهذه الانواع جميعا

جسمانية الحدوث روحانية البقاء فهذه الانواع ذوات النفوس انواع متوسطة خلافا لجميع الفلاسفة المتقدمين من حكماء مصر و يونان وغيرهم وقدماء حكماء الاسلام .

والانسان من بينها خاصة و يمكن ان يلحقه بعض الحيوان نوع متوسط تحته انواع كثيرة تتصور بعد تجرده بصورها و يقف دونها او يتجاوزها الى صور عقلية ويقف دونها .

و حيث ان العود مثل البدؤ اوعينه بوجه فالنوعية الاخيرة التى يرتقى اليها و يقف دونها الانسان هى المرتبة التى منها نزل و ان كان بين المرتبتين اعنى البدء والعود فرق وسيجئى الاشارة اليه هذه اصول تفرد بوصفها و البرهنة عليها صدر المتالهين قدس سره .

وبعد وضعها نقول التجارب التام يفيد ان بين خصوصيات ابنية الابدان وامزجتها وبين الاخلاق ارتباطا تاما والاخلاق ملكات اى علوم راسخة تتلبس بها النفس بواسطة الاحوال وتكررها حتى ترسخ وتثبت ثبوتا غير جايز الزوال والتجارب ايضا حاكم بتاثير التربية وخاصة التربية التعليمية بالتلقين وهذا يفيد ان تاثير اوضاع الابدان فى باب انتشاء الاخلاق ليس على حد الايجاب بل بنحو الاستعداد الشديد غير ان للخلق حدا يستحيل معه زواله هذا .

فالنفس اول ماتحدث بحركة البدن الجوهرية حيث ياخذ الخيال فى الفعل وهى ح متلونة بلون البدن تلونا قويا الا انه غير بالغ بعد مرتبة اللزوم ، ثم تخلى هى ومابين يديها ومن نوع التربية والعلوم والاعتقادات

و الحوادث المرتبطة بها المتماسة معها فلا تزال تسلك سبيلا بعد سبيل وتتراكم عليها الاحوال والاعتقادات وينتج بعضهابعضا حتى ترسخ فيها رسوخا غير مفارق و هذه صورة نفسانية تفرق بها نفس عن نفس وهو تنوع النفس فان كانت صورة سعادة فتقع فى البرزخ فى سبيل السعادة وان كانت صورة شقاوة ففى سبيل الشقاوة و انكان تجردها تجردا برزخيا وقفت دونه وان تجاوزته تجاوزته هذا .

بقى هنا شىء وهو ان كمال كل معلول و غاية وجوده هو وجود علته ومن المستحيل ان يتكامل معلول فيتجاوز كمال علة وجوده والمرتبة التى فيها وجودها و من المستحيل ان يتكامل معلول و يطوى جميع مراتب كماله الوجودى فلاينتهى الى مرتبة علته اى لايتصل الى حد بعده علته والالزم خلاف الفرض و من المستحيل ايضا ان يلغى غاية علة من العلل الطولية المجردة من فعلها اذالمفروض انهامجردة ثابتة غير متغيره ومعلولاتها انما صدرت عنها بهذه الحيثية وهى غيرمتغيرة ففرض تخلف غاياتها او غايات معاليلها محال .

ومن هذه المقدمات يستنتج ان الشىء فى عوده انما يستقر فى مرتبة تعينت منهاذاته وفوقه علته فكل شىء يعود الى مابدء منه غيران بين البدو والعود فرقا من حيث ان العود ينشعب الى دارسعادة ودارشقاوة والبدو لم ينشعب اليها بل هى دار سعادة فحسب لكن يجب ان يعلم ان السعادة فى البدؤ انما هى السعادة العامة دون السعادة الخاصة التى يقابلها الشقاوة فلامنافاة بين سعادة البدء وتعين ذات الشقى منها وعوده الى تلك المرتبة

وهو شقي والبده والعود مع ذلك واحد فافهم ان كنت من اهله انشاءالله تعالى .

وقد تقدم ان النظام العقلى فى عالم المجردات و النظام المثالى فى عالم المثال واحد وجهى النظام الجسمانى فى عالم الاجسام نظام ثابت غير متغير فكيفما كان تعين النوع الجسمانى و منها الانسان الذى هو جسمانى الحدوث من سعادة و شقاوة فكك يعود هكذا ينبغى ان يفسر السعادة و الشقاوة الذاتيتان دون مايترائى من ظاهر لفظهما حتى يلزمه بطلان تأثير التربية و لغوية التكاليف و اختلال نظام التشريع وبالجملة بطلان المجازاة والثواب والعقاب والله الهادى .

واعلم ان ماذكرناه فى هذا الفصل كله مبرهن عليه غير انا اشرنا الى برهان بعض واضربنا عن بعض لطول مقدماتها وترتبها على اخرى من ارادها فليراجع المطولات .

فصل ٦

و النقل ايضا يدل على ما مر فان الايات المذكورة فى الفصل الثانى وان دلت على انواع مقت الله للاشقياء و اضلالهم عن طريق الهداية والمكر معهم واقسام التصرف فى باطنهم الا انا اذا رجعنا اليها و تاملنا فيها وجدنا ان افعال الحق و تصرفاته فيهم معلل بالشرور التى فى انفسهم ومترتب على فسوقهم و كفرهم وطغيانهم **والله لايهدى القوم الفاسقين و الله لايهدى القوم الظالمين** و **ما ظلمهم الله و لكن كانوا انفسهم يظلمون** .

وقطع نوال الهداية عمن اعرض عنها وتخليته و ضلالته لاينافى عموم عدله سبحانه وشمول رحمته فارسال هذه النقمات وتلبيسهم باقسام ملابس الشقاء معلل بانفسهم و اما ابليس و اغوائه للاشقياء فليس ذلك لتسلطه الذاتى عليهم بل لتسليطهم اياه على انفسهم باتباعهم اياه لغيهم فى ذاتهم قال تعالى حكاية عن ابليس **ولاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** وقال تعالى ايضا حكاية عنه لع فيما يخاطبهم به يوم القيمة **وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى و لوموا انفسكم ما انا بمصرخكم و ما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم** الاية .

فحمل ابليس ايضا الذنب عليهم انفسهم و علل العذاب بالظلم دون الاتباع و استجابة الدعوة وكل ذلك احالة الى الذات و حكى سبحانه الاعتراف بذلك منهم انفسهم و هم معذبون **ربنا غلبت علينا شقوتنا** وقال تعالى **قل كل يعمل على شاكلته** الايه فذات سعيدة و ذات شقية و حيث رجع الشقاء الى الذات و هى و ان وقعت افعالها فى خارج عنها وانفعالاتها عن الخارج عنها لكن من المعلوم ان افعالها و انفعالاتها و خاصة ما يرجع الى باطنها منها لا يخرج عن نفسها و دائرة ذاتها و قد قال تعالى **من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها** وقال تعالى **ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم** وقال تعالى **ومايمكرون**

الا بانفسهم وقال تعالى و ما يخدعون الا انفسهم و مايشعرون الاية .

واذا كان كذلك فكلما قصدت فعلا اوارادت غاية لم يخرج ذلك عن نفسها وانما قصدت صورة حسنة اوسيئة من صور نفسها وهذه حقيقة فالغاية كمال للفاعل والفعل من شئونه و جهاته و اطواره على مابين فى محله و اذا كان كذلك فهذه الصور السيئة التى تكتسبها الذات الشقية تزيد وتنمو وتتراكم عليها حتى تعميها و تصمها و تقلب افئدتهم و تزين لهم كلما يصدعن سبيل الله و يجعل الرجس على قلوبهم و تجعلها ماوى للقرين من الشياطين الى آخر ماأوعدهم الله سبحانه كل ذلك بسير ذواتهم فى هذه الظلمات و تلبسها بملابسها قال تعالى وان للذين كفروا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم الايه فهم بشقائهم الذاتى يسلكون سبيل النار ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا الايه ولايزالون يقطعون مرحلة قد هيؤها بسابق اعمالهم بعد مرحلة حتى يحلوا دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار .

و يؤيد ما مر طوائف من الاخبار منها اخبار السعادة و الشقاوة ففى الامالى مسندا عن الصادق (ع) قال قال رسول الله (ص) الشقى من شقى فى بطن امه والسعيد من سعد فى بطن امه الخبر وهو خبر مستفيض رواه جمع بطرق مختلفة من الخاصة والعامة .

وفى قرب الاسناد عن ابن عيسى عن البزنطى عن الرضا (ع) فى حديث ثم قال ان النطفة تكون فى الرحم ثلثين يوما وتكون علقة ثلثين يوما و تكون مضغة ثلثين يوما و تكون مخلقة و غير مخلقة ثلثين يوما و اذا

تمت الأربعة اشهر بعث‌الله تبارك وتعالى اليها ملكين خلاقين بصور انه ويكتبان رزقه واجله وشقيا او سعيدا الخبر .

وهذا المعنى وارد فى روايات آخر ايضا .

وفى التوحيد والمحاسن مسندا عن ابن‌حازم عن ابيعبدالله (ع) قال ان‌الله خلق‌السعادة والشقاوة قبل ان يخلق خلقه فمن علمه‌الله سعيدا لم يبغضه ابدا وان عمل شرا ابغض عمله ولم يبغضه و ان علمه شقيا لم يحبه‌ابدا وان عمل‌صالحا احب عمله وابغضه لمايصيره‌اليه فاذااحب‌الله شيئا لم يبغضه ابدا واذا ابغض شيئا لم يحبه ابدا الخبر .

و فى البصائر مسندا عن محمد بن عبدالله قال سمعت جعفر بن محمد (ع) يقول خطب رسول‌الله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه فقال اتدرون مافى كفى قالوا الله ورسوله اعلم فقال فيها اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده اليسرى فقال ايها الناس اتدرون ما فى يدى قالوا الله و رسوله اعلم فقال اسماء اهل النار و اسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم‌الله و عدل و حكم‌الله وعدل فريق فى‌الجنة وفريق فى‌السعير الخبر وروى هذاالمعنى فى المحاسن ايضا .

ومنها مايدل على ان‌العود الى ما كان منه البدؤ ففى العلل مسندا عن ابى‌اسحق الليثى عن‌الباقر (ع) فى‌حديث طويل ثم قال اخبرنى يا ابراهيم عن‌الشمس اذاطلعت وبداشعاعهافى‌البلدان اهوبائن من‌القرص قلت فى حال‌طلوعه بائن قال‌اليس اذا غابت‌الشمس اتصل ذلك‌الشعاع

بالقرص حتى يعود اليه قلت نعم قال كك يعود كلشىء الى سنخه وجوهره واصله الخبر .

و هذا المعنى مع التمثيل متكرر فى احاديث الطينة وفيه لطائف من المعانى .

و فى الامالى و تفسير القمى فى حديث قال خلقهم حين خلقهم مؤمنا و كافرا وشقيا و سعيدا و كك يعودون يوم القيمة مهتد وضال الى ان قال كما بداكم تعودون من خلقه الله شقيا يوم خلقه كك يعود اليه ومن خلقه سعيدا يوم خلقه كك يعود اليه سعيدا قال رسول الله (ص) الشقى من شقى فى بطن امه والسعيد من سعد فى بطن امه الخبر .

اقول و فى اوله اشارة الى قوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن .

و منها اخبار الطينة وهى اخبار كثيرة جدا تدل على اختلاف ما فى مضامينها على ان سنخ السعداء و الاشقياء و اصلهم الذى خلقوا منه وبدؤاعنه وهو المعبر عنه فيها بالطينة مختلف فطينة السعداء من عالم النور والجنة وعليين والارض الطيبة والماء العذب الفرات ومآل الجميع واحد كما سنشير اليه انشاء الله وطينة الاشقياء من عالم الظلمة والنار و سجين والارض السبخة الخبيثة والماء الاجاج ومآل الكل واحد وان جميع ما يستقبلهم من انواع السعادة و الشقاوة و الخير و الشر من حين اخذوا فى السير عن موطنهم الاصلى الى ان يعودوا اليه ويحلوا محلهم من آثار الطينة التى منها خلقوا ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا الذي تفيده هذه الروايات مستفادة من القرآن الكريم قال تعالى كما بدئكم تعودون فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة فاخبر سبحانه انهم كما يعودون فريقين فقد بدئوا فريقين ثم قال سبحانه كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ماسجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الى ان قال كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم الى آخر الايات وقد قال تعالى كل امة تدعى الى كتابها الايه .

وقد بينا في رسالة الوسائط ان كتاب كل موجود انما هو سلسلة من امور وجودية هي ذاته و تبعات ذاته و آثاره و لواحقه و اذنابه و انه بنحو الاستنساخ من اصل ثم اصل حتى ينتهي الى الاصل الواحد وهو ام الكتاب واذا تاملت في هذه الايات وجدت ان عليين و سجين كتابان كليان فيهما كتاب الابرار و الفجار وانهما هي الجنة والنار ومن هما طينتا البر و الفاجر و قال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور فاخبر بان اعمال السعداء يصعد اليه و يرفعه و اعمال الاشقياء تهلك و تبور ثم قال سبحانه والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير الايه فاخبر بان خلقهم واطواره ومقاديرها محفوظ عنده مكتوب قبل وجودهم وبرئهم ثم قال سبحانه ومايستوى

البحر ان هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اجاج و من كل تاكلون لحما طريا و تستخرجون حلية تلبسونها و ترى الفلك فيه مواخر الاية .

فبين سبحانه سبب اختلاف مجارى افعال السعداء و الاشقياء فافعال احد الفريقين يصعد اليه سبحانه و افعال الاخر تهلك مع انهم جميعا مخلوقون من تراب ثم من نطفة و هم ازواج بان الاشتراك فى بعض الجهات العارضة و الفوايد المترتبة لايوجب الاستواء بعدما كانت الذوات مختلفة الاصول فبعضها من البحر العذب و بعضها من البحر المالح و يستشم هذا المعنى من قوله تعالى و هو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح اجاج و جعل بينهما برزخا و حجرا محجورا و هو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا و صهرا و كان ربك قديرا الايتان وقال تعالى والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون الايتان .

فاخبر سبحانه بان المشتركات من الافعال التى يوجد فى جميع الموارد كما ذكره فيما سبق من الايات ستميز و تجمع كل الى مايشاكله و يلحق باصله بعد ما خلطت و مزجت فى هذه الدنيا و قد قال تعالى الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات .

ثم قال تعالى حكاية عن اهل الجنة و قالوا الحمدلله الذى

صدقنا وعده و اورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء الايه وقال سبحانه ومساكن طيبة فی جنات عدن الايه فاخبر بانه يورثهم ارضا ومساكن طيبة هی الجنة وقال سبحانه وهوالذی يرسل الرياح بشرا بين يدی رحمته حتی اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كك نخرج الموتی لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذی خبث لايخرج الا نكداً كك نصرف الايات لقوم يشكرون الايتان .

فاخبر بان التفاوت العظيم الذی بين ثمرات السعادة و الشقاوة فی خلال تصريفاتهم الی الاحياء والمحشر يرجع الی تفاوت الاراضی التی منها تكوّنوا وعليها احيوا وعاشوا وارتزقوا فمن ارض طيبة يطلع منها كل الثمرات بماء رحمته سبحانه و من ارض خبيثة سبخة لا يخرج الا نكدا عديم النفع فارجع الامر الی الطينة بالاخرة و قد قال سبحانه انا خلقناكم من طين لازب وقال انی خالق بشرا من طين وقال سبحانه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخری فتامل فيما قدمناه وتدبر فی جهات الكلام و خصوصيات القول .

واعلم ان كلامه سبحانه واحد ومايبدل القول لديه وهويقول الحق و يهدی السبيل فعلی هذا الاصل الواحد ندور ونجری والحمدلله .

و فی العلل مسندا عن ابی بصير قال دخلت علی ابی عبدالله (ع) و معی رجل من اصحابنا فقلت جعلت فداك يابن رسول الله انی لاغتم واحزن من غير ان اعرف لذلك سببا فقال ابو عبدالله (ع) ان ذلك الحزن

والفرح يصل اليكم منا لانا اذادخل علينا حزن او سرور كان ذلك داخلا عليكم ولانا واياكم من نورالله عزوجل فجعلناوطينتنا واحدة ولوتركت طينتكم كما اخذت لكنا وانتم سواء ولكن مزجت طينتكم بطينة اعدائكم فلولا ذلك مااذنبتم ذنبا ابدا قال قلت جعلت فداك فتعود طينتنا و نورنا كمابدء فقال اى والله ياعبدالله اخبرني عن هذاالشعاع الزاخر من القرص اذا طلع اهو متصل به او بائن منه فقلت جعلت فداك بل هو بائن منه فقال افليس اذا غابت الشمس وسقط القرص عاد اليه فاتصل به كما بدا منه فقلت له نعم فقال كذلك والله شيعتنا من نورالله خلقوا واليه يعودون والله انكم لملحقون بنا يوم القيمة الخبر .

و فى امالى الشيخ مسندا عن يحيى بن عبدالله بن الحسن عن ابيه وعن جعفر بن محمد عن ابيهما عن جدهما قالا قال رسول الله(ص) ان فى الفردوس لعينا احلى من الشهد والين من الزبد و ابرد من الثلج و اطيب من المسك فيها طينة خلقناالله عزوجل منها و خلق منها شيعتنا فمن لم تكن من تلك الطينة فليس منا ولا من شيعتنا وهى الميثاق الذى اخذالله عزوجل عليه ولاية على بن ابيطالب (ع) قال عبيد فذكرت لمحمد بن على بن الحسين بن على هذاالحديث فقال صدقك يحيى بن عبدالله هكذا اخبرنى ابى عن جدى عن النبى (ص) .

و فى العلل عن زيد الشحام عن ابيعبدالله (ع) قال ان الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور سنخ ذلك النور فى طينة من اعلى عليين و خلق قلوب شيعتنا مما خلق منه ابداننا و خلق ابدانهم من طينة

دون ذلك فقلوبهم تهوى الينا لانها خلقت مما خلقنا منه ثم قرا كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وماادريك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وان الله تبارك وتعالى خلق قلوب اعدائنا من طينة من سجين وخلق ابدانهم من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم مما خلق منه ابدانهم فقلوبهم تهوى اليهم ثم قرا كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وما ادريك ماسجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين.

وفى العلل مسندا عن حبة العرنى عن على (ع) قال ان الله عزوجل خلق آدم (ع) من اديم الارض فمنه السباخ و منه الملح و منه الطيب فكك فى ذريته الصالح والطالح الخبر.

اقول وهذا المضمون وامثاله يمكن ان ينزل على الارتباط الذى بين تركيب الابدان وامزجتها وبين الاخلاق والافعال كما يؤيده ما فى النهج من كلامه (ع) وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال (ع) انما فرق بينهم مبادىء طينهم وذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن تربة وسهلها فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الرواء ناقص العقل وماد القامة قصير الهمة وزاكى العمل قبيح المنظر و قريب القعر بعيد السبر و معروف الضريبة منكر الجليبة وتائه العقل متفرق اللب وطليق اللسان حديد الجنان الخطبه.

وفى المحاسن عن على بن الحكم عن ابان عن زرارة عن ابيجعفر فى حديث فقال ان الله تبارك و تعالى قبل ان يخلق الخلق قال كن ماءا عذبا اخلق منك جنتى و اهل طاعتى و قال كن ماءا ملحا اجاجا اخلق

منك ناری واهل معصیتی ثم امرهما فامتزجا فمن ذلك صار یلدالمؤمن الکافر ویلد الکافر مؤمنا ثم اخذ طین آدم من ادیم الارض فعرکه عرکا شدیدا فاذاهم کالذر یدبون فقال لاصحاب الیمین الی الجنة بسلام وقال لاصحاب النار الی النار ولاابالی الخبر .

فهذه انموذجة من اخبار الطینة و هی تشتمل علی خمسة انواع من البیان حسب ماوردناه کل واحد من هذه الاصناف مستفیض والکل واحد کما عرفت .

ومنها اخبار الذر و المیثاق وهی علی کثرتها تبین ان الله سبحانه اخذ المیثاق بعد ما عرضه علی السعید و الشقی معا فاخذ اقرارهم علی ربوبیته و حقیقة الحق و بطلان الباطل کما یومی الیه آیات من القرآن قال تعالی **واذاخذ ربك من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم واشهدهم علی انفسهم الست بربکم قالوا بلی شهدنا ان تقولوا یوم القیمة انا کنا عن هذا غافلین او تقولوا انما اشرك آبائنا من قبل وکنا ذریة من بعدهم افتهلکنا بما فعل المبطلون** الایات .

بین سبحانه انه اخذ ذریة بنی آدم من ظهورهم واخذ منهم الاقرار علی ربوبیته ومن المعلوم ان اباهم آدم غیرمعفو عن هذاالامر فهومعهم فهوفی الحقیقة اشهادله ولذریته جمیعا فیکون قوله من بنی آدم من ظهورهم المرادبه آدم ومایخرج من ظهره ومایخرج من ظهر کل من ذریته الخارجة من ظهره تغلیبا ولذلك اطلق فیمایفسره من الاخبار ان الله اخرج من ظهر آدم ذریته الی یوم القیمة ونکتة التغلیب الاشارة الی اعتبار وساطة الناس

بعضهم فى توليدبعض وعدم‌تاثير هذه‌الاختلافات في تمام‌الحجة عليهم واقرارهم اذقالوا بلى شهدنا فيكون كالتوطئة لقوله تعالى بعد اوتقولوا انما اشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم الاية فافهم .

ثم ان هذا الاخذ و الاشهاد لوكان موطنه هذه النشأة الدنيوية كان قوله قالوا بلى شهدنا حكاية عن لسان الحال و يكون المراد من اخذهم ايجادهم بالتوليد والتناسل واشهادهم على‌انفسهم الست بربكم ارائتهم‌انفسهم بمايشتمل على‌الايات الانفسية‌التى تدل على وجودالحق ووحدانيته فيترتب عليه اعترافهم بلسان الحال بتوحيده سبحانه فيكون جملة المراد انالله سبحانه خلق بنى‌آدم فى هذه الدنيا و نشرهم فيها واشهدهم على‌انفسهم باراثةآياتها واحتياجاتها الى رب مدبر فاعترفت بهذه‌الايات ودلالتها قلوبهم وقالوا بلسان حالهم بلى شهدنا الان سياق هذه‌الايات يعطى ان هذاالاخذالعمومى والاشهاد انما كان قطعا لحجتين يمكن ان يحتجوا بهما يوم القيمة اذ راواالعذاب وتقطعت بهم‌الاسباب وهما اناكنا عن هذا غافلين او انا وان لم نغفل لكن الذنب انما هو من آبائنا من‌قبل ونحن اذكنا ذريتهم تبعناهم فى شركهم افتهلكنا بفعل‌فعله هؤلاء المبطلون .

ويؤل المراد الى ان هذا الاخذ و الاشهاد انما هو ليرتفع الغفلة نفسها اويبطل اثرها وليبطل اثرالتبعية بالولادة وان لم يغفل التابع ومن الواضح ان‌الغايةالثانية لاتترتب على هذاالاخذ والاشهاد فارتفاع‌الغفلة يقطع العذر كائنا ما كان و لا قاطع غيره فاضافة غاية اخرى الى الاولى

كائنة ماكانت توجب رداءة الكلام و سماجته و حاشا كلامه سبحانه .
ولو جعل قوله تعالى ان تقولوا الخ غاية لقوله تعالى و اشهدهم و قوله او تقولوا الخ غاية لقوله واذاخذ الخ بصير الكلام اردى واسمج اذيصير المعنى ان ربك اخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم و فكك بين الجميع لئلا يقع بعضهم تحت تبعية بعض لعدم انفصالهم عنهم فيقولوا يوم القيمة ان الفاعلين للشرك انما هم آبائنا فلما ذاتعذبنا هذا اذلاآباء ولاذرية بعد فرض عدم الانفصال .

فهذا الموطن لايجوز ان يكون هو موطن الحيوة الدنيا بل الاية الشريفة او تقولوا انما اشرك آبائنا الايه تفيد ان هناك كان موطنا لولا تفكيك الذرية من آبائهم لاثرت التبعية المحضة و لم يكن فعل الشرك الا فعلا واحدا صادرا من آبائهم دون الذرية حتى كانت الذرية تقول يوم القيمة اناكنا متصلين بآبائنا و موجودين بتبعيتهم و الشرك كان من فعلهم فبما ذا تستوجب عذابنا بعد اذ فصلتنا منهم و ميزت وجودنا من وجودهم فاخبر سبحانه انه فرق بينهم اذ ذاك لينقطع حجتهم و يكون قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين الايه احتجاجا بالغفلة عن الاشهاد الذى فى هذا الموطن فلابد ح ان يكون حكمه بحيث لايقبل التغير اى راجعا الى الذات و نحو الوجود حتى تجرى على وتيرته وحسب اقتضائه الحيوة الدنيوية التى اوجبت شقاوتهم فيها فيكون هذه الغفلة غفلة ذاتية لهم عن ربوبيته سبحانه و شهادتهم شهادة ذاتية و ابصارا وجوديا و اشهادهم على انفسهم اشهادا و كشفا ذاتيا عن حقيقة

انفسهم وهي ليست الا باطلة الذات في نفسها وقائمة الذات بالحق ولهذا اردف سبحانه قوله و اشهدهم على انفسهم بقوله الست بربكم فوضع سبحانه كلمة الرب وهو المالك المدبر و لم يقل قال الست بربكم لان الكلامين اعني قوله واشهدهم على انفسهم و قوله الست بربكم بمعنى واحد بالمعنى الذي ذكر فعاد معنى الايات والله العالم الى ان هناك موطنا غير موطن الدنيا فرق فيها بين اشخاص الانسان و كثرهم بعد جمعهم و وحدتهم و عرفهم و اراهم نفسه بتعريفهم و ارائتهم انفسهم فشهدوه واعترفوا بربوبيته ولولا ذلك لشملتهم الغفلة في هذه الدنيا ولم يوحدوه في هذه الدنيا فافهم.

لان من اسلم ووحد في ذلك الموطن لاسبيل له الى الشرك ومن اشرك هناك لم يجد بدا الا ان يشرك في هذه الدنيا كما يشير اليه سبحانه بقوله تعالى ١ وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الايه و ما بعد هذه الايات واذا خذ الخ الى ستة آيات في سياق مامر من المعنى وسادستها قوله تعالى و لقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون الايه.

١- و ذلك ان هذا التركيب لا يفيد مجرد النفي بل يفيد معنى الانتظار و الترقب في قولنا نصحت لفلان ينتهي عن الملاهي و ما كان ليقبل نصيحتي وقد اعتادبها فماتمحله صاحب الكشاف من ان المعنى فما كانوا ليؤمنوا بعد مجيء الرسل بما كذبوا به من قبل على انه يوجب تجوزا آخر في قوله كذبوا في غير محله منه.

وفى آخر الاية عطف الى اول الايات و تحديد للغفلة بانها انما يكون وتتحقق فى تفقهات القلوب ومبصرات العيون ومسموعات الاذان واما شهادة النفس لنفسها ولربها فلايحتجب بحجاب.

ثم ان فى الايات واذاخذ الخ اشارة كما علمت الى ان هذا الموطن و ان اوجب منهم شهادة بالربوبية لكنها لم يخل مع ذلك عن موحد و مشرك فقد انشعب عن هناك توحيد و شرك و فى تعبيره عن المشركين بالمبطلين فى آخر الايات اشارة الى وجه انشعابهما فالابطال مع شهادة نفوسهم هو الموجب لشركهم مع توحيدهم ١ ولذلك لعله سبحانه عبر عن

١- و يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا** الاية ذكر سبحانه ان الانسان حمل امانة لم يتحملها السموات وغيرها وذلك انه كان ظلوما جهولا ثم ذكر غاية هذا العرض و الحمل بقوله سبحانه **ليعذب الله المنافقين والمنافقات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات وكان الله غفوراً رحيما** الايه قسم تعالى الانسان فى غاية هذا العرض الى قسمين المنافق والمؤمن اشعارا بان لا كافر هناك لعموم الحمل فلارد وهو الميثاق وقوله ويتوب الله الخ دليل على ان السعادة من الله والتوبة منه وقوله وكان الله الخ فى مقام تعليل العرض وان المقتضى له صفة الغفران والرحمة واما صفة التعذيب والانتقام ونحوهما فبعرض المغفرة و الرحمة الخاصة اذ ظهور النجاة فى العالم يستدعى وجود هالكين و مستحقين فيهم النجاة كما لا يخفى واذا تدبرت فى هذه الاية وجدتها من آيات الشفاعة والله الهادى.

هذين الامرين بالطوع والكره في قوله سبحانه **ولله اسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون** الايه وقوله تعالى **ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا آتينا طائعين فقضيهن سبع سموات** الايه .

وهذا الاخذ والاشهاد هو الذي يعبر عنه سبحانه بالميثاق في قوله **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسئل الصادقين عن صدقهم** الايه فذيل الايه يفيد ان اخذ الميثاق ١ ليطلب الصدق عن الصادقين فموطنه الدنيا دون الاخرة فموطن الميثاق قبل الدنيا فافهم والايات التي يستفاد منها هذا المعنى كثيرة وقد فسرتها بذلك روايات مستفيضة كثيرة او فوق حد الاستفاضة .

١ـ ولو كان المراد بهذه الغاية يسئل هو السؤال يوم القيمة لكان المراد بالسؤال المحاسبة والحساب لكن المفهوم من هذا النظم والتركيب هو الطلب دون المحاسبة كما في نظايره يقال سئلت الغني عن غناه وسئلت الجواد عن جوده وسئلت الفقيه عن فقهه والشاعر عن شعره ونظاير ذلك والمفهوم في كل ذلك هو الطلب دون الحساب نعم لو كان النظم مثل قولنا يسئل الصادقين عن صدقهم فيماصرفوا مثل سئلت الغني عن غناه فيما انفق افاد معنى الحساب والوجه ان فرض الصدق في المسئول يجعل السؤال لغوا ركيكا و يوضح لك ذلك ان ترجع الى التفاسير وتشاهد تمحلات المفسرين في تفسير هذه الاية منه .

ففى تفسير القمى عن ابيه عن ابن ابيعمر عن عبدالله بن مسكان عن ابيعبدالله (ع) فى قوله و اذ اخذ ربك الاية قلت معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر احد من خالقه ورازقه فمنهم من اقر بلسانه فى الذر و لم يؤمن بقلبه فقال الله وماكانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الحديث.

اقول و مضمون هذه الرواية مروية فى كتاب المحاسن و العلل والتوحيد وتفسير القمى و تفسير العياشى و غيرها بطرق واسانيد كثيرة جدا.

وفى العلل مسندا عن حبيب عن ابيعبدالله قال: ان الله تعالى اخذ ميثاق العباد وهم اظلة قبل الميعاد فما تعارف من الارواح ايتلف وماتناكر منها اختلف.

وفى تفسير العياشى مسندا عن عبدالله الجعفى و فى العلل مسندا عن عبدالله الجعفى و عقبة جميعا عن ابيجعفر (ع) قال ان الله عزوجل خلق الخلق فخلق من احب مما احب و كان ما احب ان خلقه من طينة الجنة وخلق من ابغض مما ابغض و كان مما ابغض ان خلقه من طينة النار ثم بعثهم فى الظلال قلت واى شىء الظلال فقال الم تر الى ظلك فى الشمس شىء وليس بشىء ثم بعث منهم النبيين فدعوهم الى الاقرار بالله و هو قوله عزوجل ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولن الله ثم دعوهم الى الاقرار بالنبيين فانكر بعض واقر بعض ثم دعوهم الى ولايتنا فاقر بها والله من احب وانكرها من ابغض وهوقوله تعالى وماكانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الخبر.

و هو ايضا مستفيض المعنى و الاصول السابقة تكفى فى تفسيره فلا نعيد .

تنبيه

حيث ان بين الحسنات بعضها مع بعض ترتبا وسببية يتفرع بذلك بعضها على بعض وكك بين السيئات و النوعان من الاعمال كلاهما ينتهيان الى الذوات السعيدة والشقية بنفسها تعين هناك طريقان من الاستدلال على الجزاء والثواب والعقاب و الطريقان معامستعملان فى كلامه سبحانه كقوله تعالى وماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل الايه ، وقوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا و غرتكم الحيوة الدنيا الايه ، كما ان الطريقين بعينهما مستعملان فى كلام العقلاء فى تعليل الافعال حسنها و قبيحها .

فصل ۷

قد عرفت ان النظام نظامان نظام ثابت غير متغير الاجزاء و نظام متبدل متغير الاجزاء وان وجود احد النظامين لايبطل وجود الاخر ولا يزاحمه فارتفع توهم ان سبق القضاء و القدر ووجوب تحقق ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ المصون عن التغير والانمحاء و وجوب انتهاء كل موجود الى ما يقتضيه سعادته او شقاوته الذاتيتان ينافى صحة التكليف و ترتب الثواب و العقاب عليه اذ التكليف الحقيقى يحتاج الى اختيار حقيقى يصح معه الفعل و الترك جميعا و مع وجوب وجود الحوادث

التى يبتدىء منه سبحانه وينتهى الى الفعل ومنها الفعل وهى سلسلة متصلة واحدة مترتبة الاجزاء واجب وجود جميعها لايبقى للاختيار اثر بصحة ترتب الفعل اوالترك عليه وامكانهما بالنسبة الى الفاعل لوجوب وجود احد الجانبين بالضرورة فلابد من اختيار احد الامرين و نفى الاخر.

احدهما بطلان القدر و هو تأثير سابق للحق فى الافعال و انما يسبق الفعل منه سبحانه علم غير مؤثر فيها فالافعال مخلوقة للعباد وانكانت الاسباب و القوى التى تولدها مخلوقة له سبحانه و هو المصطلح عليه بالتفويض وعليه جماعة المعتزلة.

و ثانيهما الالتزام بالقدر و القول ببطلان تأثير الاختيار و لغوية التكليف الحقيقى و من لوازمه تصحيح التكليف بما لا يطاق و الجبر فى الافعال ونفى الحسن والقبح العقليين ونفى الاغراض والغايات وامثال ذلك و هذا هو المصطلح عليه بالجبر و عليه المجبّرة هذا وقد عرفت ان لامنافاة بين المرحلتين و ان القدر لايزاحم الاختيار فلكل وعاء.

و هؤلاء لم يستطيعوا ان يجمعوا بين المعارف الالهية الحقيقية وبين ماتقتضيه الاسباب الطبيعية المادية مع ان مصحح التكليف عند العقلاء من البشر هو وجود الاختيار و القدرة الفاعلية التى لا ريب فيه عندهم للفرق الضرورى بين حركة الصحيح و حركة المرتعش و بين سكون الصحيح الاعضاء و سكون الفالج و مع ذلك لاريب عندهم ان جميع الاسباب المتوقفة عليها وجود الفعل اذاتمت كان الفعل ضرورى الوقوع.

وقدتبين فيمامر أن النظام نظامان نظام ثابت ذواجزاء ثابتة لايتطرق

اليهاالتغير بوجه ما ونظام‌مادي متقوم بالامكان والقوة والاستعداد متغير متبدل غيرثابت والانسان من‌جملة اجزائه ونسبته الى‌افعاله بصحةالفعل والترك وهوالاختيار يختارها بالحسن والقبح و الغايات و الاغراض و يحتاج افعاله فى تحققها الى ذلك وهو ظاهر كما ان المواد باستعدادها يمكن ان تصير الى هذه الغاية او الى تلك الغاية و انما يتعين فيها ولها احدى الغايتين بواسطة اكتناف نوع الاستعدادات الملائمة لتلك الغاية و ابطالها استعدادات الغاية الأخرى و ربما تم احد الجانبين فراحمه جانب آخر بتضاده و ابطله بقوته ولافرق بين الانسان و بينها الا بالعلم فاختيار الانسان لاحد الجانبين بعد تمام ساير الاسباب بالعلم و تعين احد الجانبين فيها بغيره من المقتضيات المعينة والعلم من حيث هو ذو هذا الاثر احد تلك المقتضيات و اى فرق بين مبدء الاحراق الذى فى النار وبين مبدء الفعل الذى فى‌الانسان وهوالارادة التامة واى فرق بين الحطب‌الذى يحرق بعد اشتعاله بالنار مثلا وبين الانسان الذى يضحك بالارادة و مع ذلك لايبطل نسبة الانسان الى الفعل والترك بامكانهما له و صحتهما و هو الملاك فى صحة التكليف و ترتب الجزاء بالثواب والعقاب وهذا فى غاية الوضوح ولهذا لم نطلب فيهذا الباب اكثر من هذا المقدار .

و اعلم ان هناك نظرا آخر يرتفع به موضوع هذه الابحاث و المشاجرات و هو نظر التوحيد الذى مر فى هذه الرسائل فالافعال كلها له كما ان الاسماء والذوات له سبحانه فلافعل يملكه فاعل غيره سبحانه

حتى يتحقق موضوع لجبر او تفويض فافهم .

فصل ۸

والنقل ايضا يدل على مامر فقد روى عنهم (ع) لا جبرولاتفويض بل امربين امرين وهذااللفظ وارد عنهم على حدالاستفاضة بطرق كثيرة .

و فى التوحيد مسندا عن يونس عن غير واحد عن ابى جعفر و ابيعبدالله (ع) قالا ان الله عزوجل ارحم بخلقه من ان يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها و الله اعز من ان يريد امرا فلا يكون قال فسئلا (ع) هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة قالانعم اوسع مما بين السماء و الارض .

وفى التوحيد مسندا عن هشام بن سالم عن ابيعبدالله (ع) قال الله اكرم من ان يكلف الناس مالايطيقون والله اعز من انيكون فى سلطانه مالا يريد الخبر ومثله ماورد عنهم (ع) مساكين القدرية ارادو انيصفوا الله بعدله فاخرجوه من سلطانه .

و فى الطرائف ان رجلا سال جعفر بن محمد الصادق (ع) عن القضاء والقدر فقال مااستطعت ان تلوم العبد عليه فهو فعل العبد و ما لم تستطع ان تلوم العبد عليه فهو من فعل الله يقول الله للعبد لم عصيت لم نسقت لم شربت الخمر لم زنيت فهذا فعل العبد ولايقول له لم مرضت لم قصرت لم ابيضضت لم اسوددت لانه من فعل الله تعالى .

وفى الطرايف ايضا روى ان الفضل بن سهل سال الرضا عليه السلام

بين يدى المأمون فقال يا اباالحسن الخلق مجبورون فقال‌الله اعدل من ان يجبر خلقه ثم يعذبهم قال فمطلقون قال‌الله احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه الخبر .

والاخبار في‌هذاالباب متواتره في‌المعنى وهي‌على كثرتها ترجع الى نوع‌البيانات التى اوردنا هذه الانموذجات منها و انت تشاهد منها انهم عليهم‌السلام اوردوا فيها طريقين من البيان و الاستدلال : احدهما الاستدلال باقتضاء الاسماء الالهية و صفاته كالرحم و العزة و الكرامة والعدل والقهر وكك بالقضاء و القدر .

و ثانيهما الاستدلال بما يقتضيه العقل و سيرة العقلاء من الحسن و القبح و غيرذلك و فى بعض الاخبار سكتوا عن البيان ففى التوحيد مسندا عن مهزم قال قال ابوعبدالله (ع) اخبرنى عما اختلف فيه من خلفت من‌مواليناقال‌فقلت في‌الجبر والتفويض قال‌فاسئلنى قلت‌اجبرالله العباد على المعاصى قال‌الله اقهر لهم من ذلك قال قلت ففوض اليهم قال‌الله اقدر عليهم من ذلك قلت فاى شيء هذا اصلحك‌الله قال فقلب يده مرتين اوثلاثا ثم قال لواجبتك فيه لكفرت الخبر و ذلك منه (ع) ارفاقا بحال الراوى والله المعين .

فصل ۹

و اما ساير الافعال التى نسبها الحق سبحانه الى نفسه من المشية والارادة والهداية والاضلال‌والتمحيص والاستدراج والغضب‌والاسف

ونحوذلك فقد اتضح من تضاعيف ما مر سنخ الكلام فيها وفى تفسيرها فهذه افعال منتزعة من انحاء وجودات الموجودات التى هى افعاله و و افاضاته سبحانه فالموجود الصادر منه سبحانه حيث انه غير صادر بالاضطرار و الجهل و الغفلة تعالى عن ذلك ينتزع منه ان هناك مشية وارادة له سبحانه وهو مشيء وجوده ومراد خلقه .

والامور التى يتفرع عليها اهتداء جمع الى صراط السعادة ينتزع منها هدايته سبحانه او ضلال آخرين عن الصراط ينتزع منها الاضلال لكن بمعنى لايوجب عليه سبحانه النقص ووجود الامر بعدالامر بحيث يلايم اللاحق السابق ويكمل السابق باللاحق ينتزع منه التوفيق اوبخلافه بحيث يعقم اللاحق اثرا يتوقع من السابق ينتزع منه الخذلان و ايجاد الشيء او ابقائه بحيث يلايم السعادة وينتجها ينتزع منه البركة

والامور التى يوجب تميز الشقى عن السعيد والخبيث عن الطيب ينتزع منها التمحيص و الامتحان و نحوهما لكن لا بمعنى يوجب عليه سبحانه الجهل بل بمعنى اتمام الحجة و اعلام الحكمة و الامور التى يوجب تشدد شقاوة الشقى وتكاملها من انحاء النعمة بعد المعصية ينتزع منها الاستدراج والكيد ونحوهما والبلايا التى تستتبعها المعاصى ينتزع منها الغضب والاصرار على الذنب والطغيان ينتزع عن موردها الاسف وفى كل ذلك انما يعتبر المعنى خاليا عن جهات النقص وقد ذكرنا فى رسالة الاسماء الحسنى ان لافعاله سبحانه انسلاكا ما فى سلك صفاته الذاتية بنظر آخر برهانى غير هذا النظر .

فصل ۱۰

واما الايات والأخبار الواردة فى هذه المعانى فهى اكثر من ان تحصى.

اما المشية فهناك آيات كثيرة فى ان مشيته سبحانه هى الغالبة على مشية غيره بل ان مشيتهم فرع مشيته:

قال تعالى و ما تشائون الا ان يشاءالله و فى التوحيد مسندا عن ابى سعيد القماط قال قال ابيعبدالله (ع) خلق الله المشية قبل الاشياء ثم خلق الاشياء بالمشية.

وفيه ايضا مسندا عن ابى اذينة عن ابيعبدالله (ع) قال خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشية.

وفيه ايضا مسندا عن محمدبن مسلم عن ابيعبدالله (ع) قال المشية محدثة.

اقول والروايات فى حدوث المشية وانهامن صفات الفعل كثيرة.

واما الارادة فكثير الورود فى القرآن وظاهر آياته كونه من صفات الفعل قال واذا اردنا ان نهلك اه وقال انما امره اذا اراد شيئا الايه وامثال ذلك من الايات.

وروى الصدوق فى التوحيد والعيون مسندا عن صفوان قال قلت لابى الحسن (ع) اخبرنى عن الارادة من الله ومن الخلق فقال الارادة من المخلوق الضمير ومايبدوله بعدذلك من الفعل وامامن الله عزوجل فارادته

احداثه لاغير ذلك لانه لايروى و لايهم ولا يتفكر و هذه الصفات منفية عنه وهى من صفات الخلق فارادة الله هى الفعل لاغير ذلك يقول له كن فيكون بلالفظ ولانطق بلسان ولاهمة ولاتفكر ولاكيف كما انه بلاكيف الحديث .

اقول و الاخبار فى كون الارادة من صفات الفعل مستفيضة او متواترة .

واما الكلام والكلمة فهى المعنى التام من حيث يدل عليه باللفظ او غيره من اسباب الافهام كما عرفت و لذلك ورد فى القرآن بوجوه مختلفة قال تعالى و كلم الله موسى تكليما وقال تعالى و تكلمنا ايديهم و ارجلهم الاية وقال و كك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار و قال تعالى و كلمته القاها الى مريم و روح منه الى غير ذلك من الايات و جملة الامر ان الوجود المفاض من الحق سبحانه حيث ينبىء عن خصوصيات صفات الحق المتوسطة فى افاضته او عن الغاية التى ارادها الحق سبحانه من ايجاده فهو دال على المقصود و ما فى الضمير فهو كلمة دالة او كلام وحديث وقول ونحو ذلك وهو ظاهر فكلمة الله و كلامه هو الفعل والايجاد لاغير وهو الوجود .

وفى امالى الشيخ مسندا عن ابى بصير عن ابيعبدالله (ع) ابى بصير قال سئلت اباعبدالله جعفر بن محمد (ع) لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته ولا معلوم و لم يزل قادرا بذاته و لامقدور قلت له جعلت فداك فلم يزل متكلما قال الكلام محدث كان الله و ليس بمتكلم ثم احدث الكلام

الحديث وقد روى هذا المعنى فى روايات آخر ايضا .

وبالجملة فالاحاديث على كثرتها مصرة فى كون الارادة والكلام من اسماء الافعال ونفى كونهما من اسماء الذات و هذه الاحاديث و ان كانت لاتنفى امكان تصحيح معنى للارادة و الكلام يوجب رجوعهما الى الصفات الذاتية كما اهتم به صدرالمتألهين قده و اقام البرهان على ان ماتصوره من معنى حقيقة الارادة والكلام من صفات الذات .

لكن الانصاف ان ما اقامه من البرهان فى موردهاتين الصفتين الفعليتين جار فى بقية الصفات الفعلية فلاوجه لتخصيص الكلام بالارادة والكلام بخصوصهما .

وقد مر فى الفصول السابقة ان الصفات الفعلية يمكن ان تلاحظ بلحاظ يوجب حلولها محل الصفات الذاتية بوجه .

واما الرضا و الغضب ونحو ذلك ففى التوحيد و الامالى مسندا عن محمد بن عمارة عن ابيه قال سئلت الصادق جعفر بن محمد فقلت له يابن رسول الله اخبرنى عن الله هل له رضى و سخط فقال نعم وليس ذلك على حد مايوجد فى المخلوقين ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه الخبر ومعناه مروى مستفيضا.

واما الهداية و الاضلال ففى المحاسن عن عبدالله عن هشام عن سليمان قال قال لى ابوعبدالله ياسليمان ان لك قلبا ومسامع و ان الله اذا اراد ان يهدى عبدا فتح مسامع قلبه و اذا اراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلايصلح ابدا وهو قول الله عزوجل ام على قلوب اقفالها .

واماالاخلاء والاستدراج ففيالكافي مسندا عن سماعة قالسئلت اباعبدالله (ع) عن قولالله عزوجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال(ع) هوالعبد يذنبالذنب فيجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب الخبر وهو مستفيض و الاحاديث في صفات الفعل كثيرة جدا اقتصرنا على هذا المقدار منها ايثارا للاختصار وجريا على نحو الفصول السابقة.

تتمة

روى فيالتوحيد والمعاني عنالصادق (ع) في قولالله عزوجل فلما آسفونا انتقمنا منهم قال انالله عزوجل لاياسف كاسفنا ولكنه خلق اولياء لنفسه ياسفون و يرضون و هم مخلوقون مدبرون فجعل رضاهم لنفسه رضى وسخطهملنفسه سخطا وذلك لانه جعلهمالدعاة اليه والادلاء عليه ولذلك صاروا كك و ليس ان ذلك يصل الىالله عزوجل كما يصل الى خلقه ولكن هذا معنى ماقال من ذلك، وقال ايضا من اعان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة و دعاني اليها، و قال ايضا من يطعالرسول فقد اطاعالله، وقالايضا انالذين يبايعونك انمايبايعونالله و كل هذا وشبهه علىماذكرت لك وهكذاالرضا والغضب وغيرهذا منالاشياء ممايشاكل ذلك الخبر.

وهو منجوامعالاخبار يفيد ضابطاً كليافينوع آخر منافعالالله سبحانه و هو انكل فعل من كل فاعل اذا لم يلاحظ فاعله لفناه فعله في

فعله سبحانه كافعال الانبياء و الاولياء المخلصين و كذا اذافنى عن بصر الانسان فاعل فعل ولم يبق لفعله الاالله سبحانه كما فى قضية موسى (ع) مع شجرة الطور وبالجملة كل فعل لافاعل له فهو فعل الله سبحانه وهذا هو الذى يستنتج من الاصول السابقة فى اول الرسالة وينحل به كثير من امهات الاشكالات و فروعها و الله الهادى.

تم الكلام والحمد لله رب العالمين و الصلوة على محمد
وآله الطاهرين فى العشر الاخير من شهر المحرم
سنة ۱۳٦۱ هجرية قمرية و تمت الكتابة
في قرية شاذآباد من اعمال تبريز

رسالة الوسائط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على اوليائه المقربين سيما محمد وآله الطاهرين .

هذا ملخص الكلام في الوسائط الموجودة بين الله سبحانه وبين نشأة الطبيعة التي اوجدها الله سبحانه واحدة بعد واحدة على مايتحصل بالبرهان ويؤيده الكشف ويفهم من ظواهر التعاليم الدينية من الكتاب والسنة والله المعين .

فصل ۱

قد ثبت في رسالة التوحيد ان الموجودات الخارجية الامكانية جميعا معاليل ومظاهر للوجودالواجبي الذي هوحقيقة صرفة فهي جميعا قائمة به فهي موجودة في مرتبة صرافته بنحواعلى واشرف من غير شائبة من النقائص والاعدام و اذ كانت الحقيقة صرفة فهذه الوجودات اسماء لها متميزة مفهوما واحدة مصداقا وهذه هي الاسماء والصفات وثبت ان الاسماء و الصفات مباد في ثبوت الموجودات على جهاتها المختلفة وحيثياتها المتشتتة .

هذا بالنسبة الى نسبةالاسماء مع مادونها وفى مرتبتها ايضاترتب ما على نسب المفاهيم اذ من الضرورى ان الخلق مثلافرع القدرة والقدرة فرع العلم والحيوة وهكذا ومن حيث ان الوجود الصرف الغير المحدود من جميع الجهات يرتفع عنه الصفات فى حد نفسه وجودا وعدما على ماتبين فى رسالة التوحيد والاتصاف تعين ما فهذا المعنى اسبق بالنسبة الى ساير التعينات .

فتحقق به ان اقدم التعينات اعنى الاسماء هو التعين بعدم التعين وهو مقام الاحدية باصطلاح العرفاء ويليه بقية التعينات .

و تحقق ايضا ان لا فرق فى ذلك بين الاسماء الذاتية و الاسماء الفعلية التى تنتزع عن مقام الفعل وانكان بين القسمين فرق فى ان الاسم الذاتى موجود فى مقام الذات قولا مطلقا و الاسم الفعلى موجود على نحو وجود ماانتزع عنه فليفهم .

ثم نقول ان كل موجود من الجواهر الطبيعية طبيعة ذات افعال جزئية مستندة الى صورتها النوعية وانفعالات جزئية مستندة الى مادتها على مابرهن عليه فى الامور العامة كالانسان الفرد الموجود خارجا مثلا ذاافعال انسانية وانفعالات مادية بدنية .

فمن الضرورى ان الانسان و هو المطلق لابقيد الاطلاق موجود فى الانسان الفرد و هو طبيعة اذا لو حظت فى نفسها كانت كلية مرسلة تصدق على كل انسان فرد مفروض نسبتهاالى جميع الافعال والانفعالات الانسانية على السواء .

و من الضرورى ايضا ان الانسان ذاالافعال الانسانية موجود فى الانسان الفرد وهو طبيعة اذا لوحظت كك لم تعرضها الكلية بل الجزئية لكنها خالية عن المادة و انفعالاتها غير ان معها الافعال الموجودة فى الانسان الفرد المادى.

فاذافرضنا موجودا جوهريا ماديا طبيعيا تحقق هناك جهات ثلث الوجود الجوهرى مجردا عن التقيد بالمادة والاحكام التى عند المادة و الوجود الجوهرى مجردا عن المادة دون الاحكام التى عند المادة و الوجود الجوهرى المادى و هذه الثلث هى التى تسميها الحكماء بالوجود المجرد والوجود المثالى والوجود المادى.

ثم ان من الضرورى ان فى مرتبةالوجود المثالى من الانسان مثلاً جوازالاتصاف بالافعال الصادرة عنه فى مرتبة الوجودالمادى والاّامتنع الاتصاف بها هناك فلتلك المرتبة نسبة ما مع تلك الافعال و حيث ان الماخوذ هوالوجود ووجود النسبة و النسبة غير مستقلة بذاتها لاتتحقق الا بتحقق الطرفين فلتلك الافعال وجود ما فى مرتبة الوجود المثالى كالعكس و حيث ان لمرتبة الوجود المثالى تقدما فى نفسه على مرتبة الافعال بالضرورة فبينهما تقدما و تاخرا بالوجود فبين الوجود المثالى ومرتبة الافعال ترتبا بحسب المرتبة وعلية ومعلولية و ظاهرية و مظهرية فهما مرتبتان من مراتب ظهور الوجود.

وبمثل البيان يظهر ان مثل هذهالنسبة بعينها موجودة بين الوجود المجرد والوجود المثالى.

هذا كله فى الامور الموجودة فى مرتبة الطبيعة المختصة بكل نوع نوع ومثل الكلام يجرى فى الامور الموجودة فى ازيد من نوع او فى جميع الانواع والموجودات الطبيعية فظهر انفوق مرتبة الطبيعة مرتبتين آخرين مرتبة التجرد و مرتبة المثال.

فظهر من جميع مامر ان فى الوجود اربعة عوالم كلية مترتبة بحسب قوة الوجود كل على طبق الاخر:

الاول عالم الاسماء والصفات ويسمى عالم اللاهوت.

الثانى عالم التجرد التام ويسمى عالم العقل والروح والجبروت.

الثالث عالم المثال ويسمى بعالم الخيال والمثل المعلقة والبرزخ والملكوت.

الرابع عالم الطبيعة ويسمى عالم الناسوت و غير ذلك هذا وقد اقيم فى العلم الالهى براهين كثيرة على ما مر عموما و خصوصا و فيما اقمناه من البرهان كفاية للمتامل انشاءالله.

فصل ۲

اما ما سمعت من كون الاسماء الالهية وسائط فى تنزل الوجود فمن الثابت فى الكتاب والسنة فانك اذا تاملت و تدبرت الكتاب الالهى وجدت ان الله سبحانه فى آيات التوحيد يعلل اسمائه الخاصة باسمائه العامة كما فى سور الرعد والحديد والحشر و غيرها و آية السخرة ان ربكم الله، و آية الكرسى، و آيات فى القرآن كثيرة ووجدت انه سبحانه

عند بيان الخلق و القيمومة وساير انحاء الافاضة جميعا و كذا فى مرحلة العود كالموت والبرزخ والحشر وغير ذلك يعلل ذلك كله باسماء مناسبة فى المفهوم ولعلك تظفر بذلك فى ازيد من خمسماة آية حتى ان ذلك موجود فى مرحلة الاعتبار كالتكليف .

واذا تاملت فى روابط الاسماء و ما دونها اهتديت بخصوصيات الاسماء على كثير من شئون التنزلات و كذا العكس فتظفر بعلوم لا تقدر قدرها ان كنت ممن اتاك الله كفلين من رحمته وجعل لك نورا تمشى به .

و هذا اعنى علم الاسماء من مختصات هذا الكتاب الالهى و لم نظفر فيما ينقل الينا من الكتب السماوية على شىء من ذلك .

و كذلك السنة فان الادعية الماثورة عن النبى (ص) و اهل بيته (ع) على كثرتها مملوة بالاسماء والصفات وقليل من الادعية المفصلة لا يوجد فيه اللهم انى اسئلك باسمك الذى فعلت به كذا و اسئلك بمجدك الذى فعلت به كذا وبنور وجهك الذى اضاء له كلشىء و باسمائك التى ملات اركان كلشىء وامثال ذلك .

و كذلك الاسئلة بالاسماء المناسبة كالرازق فى طلب الرزق والغفور فى طلب المغفرة ونحو ذلك .

بل هذا المعنى كالمفطور للانسان فلست ترى انسانا يسئل الشفاء فيدعو فيقول يا مميت يا منتقم اشف هذا المريض بل انما يقول يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا شافى يا معافى وما يناسب ذلك و اذا تتبعت مواردها متاملا وجدت ان هذا المعنى على بهائه وسنائه من ضروريات هذا الذين

المقدس غيران الاشتغال عمايعنى بمالايعنى ربماصرف الناس عن التحقق به والفور في مزاياه

ومن جوامع الاخبار فى ذلك مافى الكافى والتوحيد مسندا عن ابراهيم بن عمر عن الصادق (ع) قال ان الله تبارك و تعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفى عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غيرمستور فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معاليس منها واحد قبل الاخر فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها و حجب واحدا منها و هو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة التى اظهرت فالظاهر هوالله وتبارك وسبحان وسخر لكل اسم من هذه اربعة اركان فذلك اثناعشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارء المصور الحى القيوم لاتاخذه سنة ولا نوم العليم الخبير السميع البصير العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارى المنشئ البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيي المميت الباعث الوارث فهذه الاسماء وماكان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلثماة وستين اسما فهى نسبة لهذه الاسماء الثلثة وهذه الاسماء الثلثة اركان و حجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة وذلك قوله عزوجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى.

و هذا الخبر الشريف صريح فى ان المراد بالاسم المخلوق غير اللفظ وانه مجرد لاجسماني ولامثالى .

و يظهر منه ان المراد بالاسم الواحد المخزون هو مقام الاحدية اذ هو المحجوب بهذه الاسماء الثلثة التى هى الله وتبارك وسبحان وهى الهوية والجمال والجلال اذ الخلق محتاجون فى تحقق اعيانهم ولوازمها الى هذه الجهات الثلث من الهوية وصفات الثبوت وصفات السلب واما اذا لوحظ الخلق بالنسبة الى مقام الاحدية ففيه ارتفاع موضوعهم كما لا يخفى .

ثم انظر الى قوله (ع) ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما فعلا منسوبا اليها اى الى الاسماء حيث ذكر ان الخلق لله و للفعل نسبة اليها وهذه هى الوساطة والظهور .

وقال فى آخر الخبر فهى نسبة لهذه الاسماء الثلثة وهذه هو الترتب والوساطة بين الاسماء انفسها .

و قوله (ع) فاظهر منها ثلثة اشياء لفاقة الخلق اليها اشارة الى وساطة الاسماء بالنسبة الى مادونها .

ومن ذلك مافى التوحيد مسندا عن عبدالملك بن عنترة الشيبانى قال جاء رجل الى اميرالمؤمنين (ع) فقال يا اميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فقال يا اميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلاتسلكه فقال يا اميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر فقال سرالله فلا تتكلفه فقال يا اميرالمؤمنين اخبرنى عن القدر قال فقال

اميرالمؤمنين (ع) اما اذا ابيت فانى سائلك اخبرنى اكانت رحمةالله العباد قبل اعمال العباد ام كانت اعمال العباد قبل رحمةالله قال فقال له الرجل بل كانت رحمةالله للعباد قبل اعمال العباد فقال اميرالمؤمنين(ع) قوموا فسلموا على اخيكم فقد اسلم وقد كان كافرا قال و انطلق الرجل غيربعيد ثم انصرف اليه فقال له يا اميرالمؤمنين ابا لمشية الاولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط فقال له اميرالمؤمنين (ع) و انك لبعد فى المشية اما انى سائلك عن ثلث لايجعل‌الله لك فى شىء منها مخرجا اخبرنى اخلق‌الله العباد كما شاء او كما شائوا فقال كما شاء قال فخلق الله العباد لما شاء او لما شائوا فقال لما شاء قال ياتونه يوم القيمة كما شاء او كما شائوا قال ياتونه كما شاء قال قم فليس اليك من المشية شىء الخبر.

فقداثبت صلوات‌الله عليه القدر و هو تاثير ما للحق سبحانه فى نظام الموجودات بسبق الرحمة على‌الاعمال اى تقدم الصفة على‌النظام فلخصوصيات الصفات اقتضائات فى خصوصيات النظام و لو لا ذلك لكانت الصفات متاخرة عن الموجودات و باقتضائها فيكون الموجود الخارجى سابقا على الصفة الالهية.

ثم اكد (ع) هذا المعنى وشيده فى آخرالخبر بان‌المشية الالهية غالبة على كل حال وغايته حاصلة على اى تقدير و ان الارادة لاتتخلف عن‌المراد والمغيا واقع على طبق الغاية لامحـ.

وهذا اعنى عدم التخلف انما هو فى‌الروابط العامة الالهية و اما الخاصة كالرحمة الخاصة و الرزق الخاص و نحو ذلك فربما تتخلف

اذا نسبت الى كل الموجودات فافهم .

و الى هذا يمكن ان يشير ما فى علل الشرايع مسندا عن جميل عن ابيعبدالله (ع) قال سئلته عن قول‌الله و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون قال خلقهم للعبادة قلت خاصة ام عامة قال لابل عامة الخبر .

واعلم ان آخر الخبر الشريف من شواهد ما مر فى آخر الفصل السابق ان صفات‌الفعل متقدمة على الموجودات لها وجود ما فى مرتبة الاسماء الذاتية والا لم‌يكن الاتصاف بالحقيقة على مالايخفى .

هذا اجمال مايدل على وساطة الاسماء والصفات بينه‌تعالى وبين الموجودات والاخبار فيه كثيرة .

و اما مايدل على وجود العالمين المتوسطين اعنى عالم التجرد التام وعالم المثال فاشياء كثيرة من‌الكتاب والسنة غيران مورد كثير منها العود اعنى اخبارالبرزخ ومابعده وهى‌من‌شواهد ماقصدنا اثباته باعتبار تطابق المبدء والمعاد .

و مما يدل على ذلك قوله‌تعالى **وان من‌شىء الاعندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** الاية تدل‌بعمومها على‌ان‌لجميع‌موجودات عالمناهذا وجودات مخزونة عنده‌تعالى ذات‌سعة غيرمحدودة ولامقدرة اذ ظاهرها ان التقدير انما يحدث مع التنزيل و ليس التنزيل بالتجافى و تخلية المحل بالنزول لقوله تعالى **ماعندكم ينفدو ماعندالله باق** الاية و هذه الاية اذا ضمت الى قوله تعالى **كل‌شىء هالك الا وجهه** وقوله‌تعالى **كل‌من عليها فان و يبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام**

الايات افادت ان ماعندالله وجهله سبحانه ثم قولهتعالى **وكلشيء عنده بمقدار** الايه تفيد ان لله سبحانه في كل شيء وجها .

وبعبارة اخرى ان في كلشيء وجهاالهيا ووجهاكونيا خلقيا وهذا الوجه حيث انه بمقدار فهو محدود مثالى وقد افاد قوله تعالى **وان من شيء الا عندنا** الايه وجها آخر غيرمحدود ولامقدر .

فتبين ان لعالمنا هذا وجهاالهيا مقداريا باقياقبله وهو عالم المثال ووجها الهيا مجردا عن المقادير باقيا وهو عالم العقل والتجرد .

وان العوالم الثلث متطابقة غير متفاوتة الا بالشرف و الخسة قال تعالى **كما بداكم تعودون** وقال تعالى **وان الدار الاخرة لهي الحيوان** الاية .

وتبين ايضاانالخلقة بنحو التنزلمن غيرتجاف ويؤيد هذهالمعانى آيات كثيرة في القرآن الكريم .

ومما يدل على ذلك جملة اخبار الطينة واخبارالسعادة والشقاوة واخبار الذر والميثاق واخبار جنة آدم (ع) .

ففيالبحار نقلاعن كتاب تاويلالاياتالطاهرة مسندا عن ابيحمزة الثمالى عن ابيجعفر (ع) قال قال اميرالمؤمنين(ع) انالله تبارك وتعالى احد واحد تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق من ذلكالنور محمدا وخلقنيوذريتى ثمتكلم بكلمةفصارت روحافاسكنهالله في ذلك النور و اسكنه في ابداننا فنحن روحالله وكلمته و بنا احتجب عن خلقه فمازلنا في ظلة خضراء حيث لاشمس ولاقمر ولاليل ولانهار

ولاعين تطرف نعبده ونقدسه ونمجّده ونسبحه قبل ان يخلق الخلق الخبر.

وهذا المعنى وهو سبق خلقهم عليهم السلام على كل خلق سابق ولاحق مستفيض اومتواتر في الاخبار ولايتم معناها الا مع التجرد التام ويؤيدها ويؤكدها اخبار أُخر في الطينة وخلق الارواح قبل الأجساد.

ومنها مافي العلل وتفسير العياشي مسندا عن عبدالله الجعفي وعقبة جميعا عن ابيجعفر (ع) قال ان الله عزوجل خلق الخلق فخلق من احب مما احب وكان مما احب ان خلقه من طينة الجنة وخلق من ابغض مما ابغض وكان مما ابغض ان خلقه من طينة النار ثم بعثهم في الظلال قلت واى شيء الظلال فقال الم تر الى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء ثم بعث منهم النبيين فدعوهم الى الاقرار بالله وهوقوله عزوجل ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولن الله ثم دعوهم الى الاقرار بالنبيين فانكر بعض واقر بعض ثم دعوهم الى ولايتنا فاقر بها والله من احب وانكرها من ابغض وهوقوله وماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل الحديث.

وما في تفسير القمي مسندا عن ابن مسكان عن ابيعبدالله (ع) في قوله تعالى **واذاخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى** قلت معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر احد من خالقه ورازقه فمنهم من اقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه فقال الله وماكانوا ليؤمنوا بماكذبوا به من قبل.

ونحوه في تفسير العياشي عن زرارة قال سالت اباجعفر (ع) عن

قول‌الله واذاخذ ربك من بنى آدم الى انفسهم قال اخرج‌الله من‌ظهر آدم ذريته الى يوم القيمة فخرجوا كالذر فعرفهم نفسه و اراهم نفسه و لولا ذلك ماعرف احدربه وهوقوله ولئن‌سئلتهم من خلق‌السموات والارض ليقولن‌الله الحديث.

وهذا المعنى مروى فى المحاسن وكتب الصدوق وغيرها ومن الضرورى بعد تسلم الاخبار ان هذا الموقف لم يكن فى نشأة العلم الربوبى بل‌بعد ثبوت‌الخلق وانه كان قبل نشأةالطبيعة اذ نشأة‌كل واحد منا الطبيعية مشاهدة بالعيان معلومة و قد صرح عزوجل فى‌الاية بان هذا البعث والاخذ متعلق‌بظهوربنى آدم لا آدم‌فقط ويشهد لذلك تفسيره (ع) الظلال بما عرفت مع‌اثباته المعاينة و من المعلوم ان‌المعاينة لاتتحق الا مع‌الانقطاع عما سواه وهذا فى غير نشأة الطبيعة لبنى‌آدم.

و كذا استشهاده (ع) فى‌خبر زرارة بقوله تعالى ولئن سئلتهم من خلق السموات الايه المشعر برؤيتهم ملكوت السموات والارض وكذا تفسير آية و ماكانوا ليؤمنوا الاية فى رواية ابن‌مسكان هذا و انت ترى انه اثبت فى الروايات فى هذا الموقف اقرار و انكار و خير ما وشر ما وعالم التجرد التام والنور البحت لاشر فيه فى جانب النزول البتة فهذا الموقف بعد عالم التجرد وقد ثبت انه قبل نشأة الطبيعة فتعين انه عالم المثال فليتامل.

و منها مافى تفسير القمى فى جنة آدم انها كانت من جنان الدنيا التى تنتقل اليها ارواح المؤمنين بعد موتهم الخبر و ما فى اخبار اخر

من تفسير الشجرة المنهى عنها آدم وانها كانت شجرة الولاية وغيرذلك .

فصل ٣

هو كالخاتمة اما مر قد ثبت فى الكتاب والسنة قبل نشأة الانسان والطبيعة امور أُخر وهى الحجابات والقلم واللوح والعرش و الكرسى والسموات السبع والملئكة والشياطين والمطلوب بعد مامر الكشف عن معانيها بحسب تفسير بعضها لبعض فنقول :

اما الكلام فى الحجب والسرادقات فاعلم ان الاخبار تكاثرت فيها وفى القرآن الكريم ايضا شىء كثير يستفاد منه ذلك قال سبحانه ان الله لايخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء و قال تعالى و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء الاية يفيد ان الموجودات معلومة عنده غير غائبة عنه سبحانه فلاحجاب يحجب الحق عن معلوماته فالخلق غير محتجب عنه سبحانه بشىء واما حجابه تعالى اى احتجابه عن خلقه فقد قال تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور و حيوة كل احد الدنيا وجوده الدنيوى بلواحقه وغرورها بجعلها الانسان مشغولا بنفسها وقد قال تعالى وماهذه الحيوة الدنيا الا لهو و لعب و ان الدار الاخرة لهى الحيوان و قال سبحانه وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور الايات واللعب هو الاشتغال بفعل لغاية خيالية لاحقيقة له فى الخارج ، واللهو مايصرف عن غيره و يشغل اللاهى بنفسه ، فدل على ان الحيوة الدنيوية وهو الوجود الدنيوى انما

هو خيال يصرف الانسان عن غيره وهو الحقيقة التي هي الحيوة الاخروية وقد بين ذلك واشير اليه في آيات كثيرة :

قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا و وجدالله عنده فوفيه حسابه .

وقال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور .

وقال تعالى و جعلنا من بين ايديهم سدا و من خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون الاية .

واكثر المؤمنين وان كانوا يشاركون هؤلاء في المحجوبية عنه تعالى الا انه تعالى وعدهم وعدا حسنا بكشف الحجاب بالستر على ذنوبهم فقال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة و اجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاية فهذا هو الحجاب عن الله سبحانه و هو نفس وجود الانسان و قد عمم حكم هذا الحجاب بالنسبة الى ساير الاشياء في قوله سبحانه لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الاية فصدر الاية و ان كان في الناس حيث حكم بالبروز في هذا اليوم لله و هم بارزون دائما و ليس ذلك الا بظهور الامر لهم بارتفاع الوسائط بعد خفائه قبل هذا اليوم كما حكى سبحانه ذلك عنهم بقوله و لو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون الاية الا ان ذيل الاية لمن الملك اه تعميم لجميع الخلق كقوله تعالى ولله ملك السموات والارض

وقوله ولله مافي السموات والارض وقال تعالى وما من دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون الاية

و بالجملة فحكم الحشر جار على جميع الموجودات و عنده ارتفاع الحجاب وانتباه الجميع عن نومة الغفلة باثبات الملك لله وحده وقال تعالى اولم يكف بربك انه على كلشيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط اه فاثبت الحجاب مع الحكم بعدمه فقدتبين من جميع ذلك ان نفس وجود الخلق حجاب لهم عن الحق سبحانه فلاحجاب بينه وبينهم الاانفسهم وهذا هو المتحصل عن الاخبار.

ففي الارشاد و الاحتجاج عن الشعبي عن اميرالمؤمنين (ع) في كلام له ان الله اجل من ان يحجب عن شيء او يحتجب عنه شيء.

و مثله في خطبة له (ع) لاحجاب بينه و بين خلقه الخطبة و هذا يدل على انه سبحانه مشهود لكل موجود كما في قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كلشيء شهيد الاية.

وكما عن كتاب اثبات الوصية للمسعودي عن علي (ع) في خطبه له فسبحانك ملات كلشيء وباينت كلشيء فانت لايفقدك شيء الخطبه.

وكما في التوحيد مسندا عن حماد بن عمرو النصيبي قال سالت جعفر بن محمد (ع) عن التوحيد فقال واحد صمد ازلي صمدي لا ظل له يمسكه و هو يمسك الاشياء باظلتها عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل الحديث.

و يظهر من هنا ان هذا الشهود يجامع الجهل ايضا كمن يرى ولايعرف.

ويدل عليه ايضا مافى العلل مسندا عن ابى حمزة الثمالى قال قلت لعلى بن الحسين (ع) لاى علة حجب الله عزوجل الخلق عن نفسه قال لان الله عزوجل بناهم بنية على الجهل الحديث.

وهذا يدل زيادة على مامر على ان هذا الجهل ذاتى اى ان العلم ليس الا له و به سبحانه فافهم كما يشير اليه قوله سبحانه ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء.

وقريب ممامر الاخبار المستفيضة كمافى التوحيد مسندا عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن موسى بن جعفر (ع) ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لااله الا هو الكبير المتعال الحديث ومثله عن النبى وعلى والرضا(ع).

ومن هنا يتبين ان الحاجب هو ذوات الاشياء بوجوداتها المستعارة وان الذوات حاجبة غير حاجبة اى ان الشهود انما يتحقق بالغفلة عن الذات.

ويظهر ايضا ان كل حاجب للشىء عن الحق سبحانه فهو غير خارج عنه بل داخل فى ذاته اى من مراتب وجوده.

وهذا هو الذى يدل عليه الخبر المشهور المروى عن طرق العامة ان لله تعالى سبعين الف حجاب من نور او ظلمة لو كشفت لاحترقت سبحات وجهه مادونه اوماانتهى اليه بصره الحديث اذ الاحتراق والاحراق هيهنا ليس من جنس احراق النار و احتراق الحطب بتبديل الحطب

بجنس النار والترميد وانما هو افناء الذات من حيث المشاهدة كما فى خطبة الاشباح لعلى (ع) بعد بيان تسبيح الملائكة قال (ع) ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الاسماع سبحات نور تروع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها الخطبه .

وحيث ان هذا الاحتراق متعلق بذات الشىء فباحتراق مرتبة من مراتب الذات تفنى الذات ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام .

وفى خبر المعراج المروى فى الكافى و تفسير العياشى فيماسأله النبى ليلة المعراج جبرائيل عن البحار التى شاهدها فوق السماء السابعة فقال يعنى جبرئيل هى سرادقات الحجب التى احتجب الله تبارك وتعالى بها ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش كل شىء الخبر .

ويظهر من هنا من حيث نسبة الهتك الى الاشياء وهو انما يتحقق بالحجاب مثل قوله ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه ان ذات كل شىء من جملة الحجب .

ويظهر ايضا ان بعض الموجودات ربما يحتجب عن بعض كالعرش بالبحار ويشهد له ايضا مافى خطبته (ع) لذعلب حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لاحجاب بينه وبين خلقه الخطبه كما لا يخفى .

يظهر من خبر حدوث الاسماء المنقول سابقا ان الاحتجاب موجود فى مرحلة الاسماء والصفات ايضا و ان بعض الاسماء يحتجب ببعض .

وفى التوحيد مسندا عن الصادق (ع) قال الشمس جزء من سبعين جزئا من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزئا من نور العرش

و نور العرش جزء من سبعين جزئا من نور الحجاب و نور الحجاب جزء من سبعين جزئا من نور الستر الحديث وفى هذه الرواية اشارة ما الى التنزلات ايضا .

فظهر من جميع ما مر ان ذات كل شيء حجاب بالنسبة الى نفسه وكذا الموجودات بعضها بالنسبة الى بعض اذا كان من مراتب الذات داخلة فى الذات فكل مرتبة من الوجود اعنى ظهوره حجاب بالنسبة الى مادونها و كذانفس المرتبة بالنسبة الى نفسها فالحجابات هى التعينات الوجودية فيتعدد الحجابات فى كل شيء بعدد المراتب التى يتقدم بها ذاته هذا .

واعلم ان الاخبار مختلفة اختلافا فاحشا فى تعدادالحجب وهذا هوالذى منعنا عن ايرادها و استقصاء ذكرها فيهذه الرسالة و ان احتمل حملها على اختلاف اعتباراتها كما هو كثير فى موارد الروايات ظاهر للمتتبع .

واما الكلام فى العرش فاعلم ان ثبوت العرش من ضروريات دين الاسلام وقد تكرر ذكره فى القرآن المجيد وتواترت الاخبار من طرق العامة والخاصة فيه .

اقول اذا رجعنا الى ماعند العقلاء وجدنا ان عرش الملك معتبر عندهم لمعنى ما وهو ان الملك عندهم حيث انه انسان بيده ازمة مملكته المدنية وقد اعتبروا فى لوازم الحيوة حال صاحبها و الملك لاختصاصه بحفظ الازمة اعتبر لوازم حيوة مختصة به ومنها مجلسه فاختص به العرش

و هو مستقره و محل صدور احكامه و قضائه و هذا هو حقيقة العرش والكرسي اعم منه يوجد لغير الملك كما يوجد له الا انه مع ذلك مجلس فيه اختصاص ما .

ومن هنا تعرف ان مفهوم هذا اللفظ يعطي انه موجود نسبته الى الموجودات مطلقا او عالم الاجسام فقط نسبة عرش الملك الى المدنية و نسبته الى الحق سبحانه نسبة عرش الملك الى الملك فهو مرتبة من الوجود هي مجلى جميع صفات الحق سبحانه مما للموجودات اليه حاجة كمستقر الملك و هي محل صدور تفاصيل احكام الموجودات فهو ظاهر الوجود المنبسط الشامل للمجرد والمثالي و المادي .

و الى هذا المعنى و هو محلية صدور الاحكام يشير قوله تعالى **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر** الاية وقوله تعالى **الله الذي خلق السموات و الارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع** الاية .

والايات في نسق هاتين الايتين كثيرة واردف الاستواء على العرش بالتدبير[1] ونفي المولى والشفيع غيره تعالى وهو كالتفسير له فالعرش يرتبط به نظام الوجود بما انه نظام بين الموجودات .

و يدل على ارتباط ذوات الموجودات ايضا به و سبعة على هذا

١- التدبير هو الاتيان بالامر و هو الامر و بالشيء عقيب الشيء فتدبير الامر منه سبحانه هو تفصيل امره و ايجاده منه

النظام قوله تعالى وهوالذى خلق السموات و الارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء الاية .

وفى حديث القمى وكان عرشه الماء على الهواء والهواء لايحد ولم يكن يومئذ خلق غيرهما والماء عذب فرات الحديث .

ثم من المعلوم ان الحاجة الى العرش فى امرين : احدهما صدور الاحكام وهو الذى يشتمل عليه الايات السالفة .

والثانى العلم بمايصدر منها ويشتمل عليه آيات اخرى قال تعالى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء و ما يعرج فيها وهو معكم اينماكنتم والله بما تعملون بصير الاية .

وحيث ان هذاالنظام نازل من هناك ومعلوم حاضر هناك فهوهناك ثابت باق و وجه الهى كما مر سالفا فهناك وجوه جميع الموجودات و وجوداتها الشريفة تفصيلا كما فى قوله تعالى و ان من شيء الا عندنا خزائنةالايه وح يعوداليه معنى قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الاهو الاية بوجه ويتحد بوجه مع الكتاب المبين و سيجيء كلام فيه .

والى تتميم هذه المعانى يشير قوله تعالى الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم الاية و قوله تعالى و ترى الملئكة حافين من حول العرش الاية و قوله تعالى و الملك على ارجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الاية . ١

---

١ - فان كل تفصيل لايتم الا باجمال سابق عليه فالحملة هم حفظة الاجمال ومن حول العرش وعلى ارجاء السماء ملائكة يحفظون تفاصيل الامر منه .

و يشير الى ما مر ما فى رواية حنان بن سدير من تفسير العرش العظيم بالملك العظيم .

وفى التوحيد ايضا مسندا عن سلمان الفارسى (رض) فيمااجاب به على (ع) الجاثليق فقال على (ع) ان الملئكة تحمل العرش و ليس العرش كما تظن كهيئة السرير ولكنه شىء محدود مخلوق مدبر و ربك مالكه لاانه عليه ككون الشىء على الشىء الخبر .

وحيث انه شامل للموجودات ففيه تفاصيل وجوداتها واليه يشير ما فى كتاب روضة الواعظين عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال فى العرش تمثال ماخلق الله فى البر والبحر قال و هذا تاويل قوله تعالى وان من شىء الاعندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وماورد فى تفسير دعاء يامن اظهر الجميل وستر القبيح الدعاء .

وحيث انه منبسط على المجرد و المادى فهو مجرد ففيه فعليات جميع الموجودات السافلة حاضرة عند الحق سبحانه و للحق سبحانه بتمام وجوداتها فهو من مراتب العلم فهوالعلم الفعلى بالوجودات الذى يحصل فيه الموجودات .

ومن هنا كان معظم الاخبار الواردة عن ائمة اهل البيت (ع) يفسر العرش بالعلم ففى الكافى مسندا عن البرقى رفعه قال سأل الجاثليق فقال اخبرنى عن الله عزوجل يحمل العرش او العرش يحمله فقال اميرالمؤمنين (ع) الله عزوجل حامل العرش و السموات و الارض وما فيهما ومابينهما وذلك قول الله عزوجل ان الله يمسك السموات والارض

ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا قال فاخبرني عن قوله و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فكيف ذاك وقلت انه يحمل العرش والسموات والارض فقال امير المؤمنين (ع) ان العرش خلقه الله تبارك وتعالى من انوار اربعة نور احمر منه احمرت الحمرة و نور اخضر منه اخضرت الخضرة و نور اصفر منه اصفرت الصفرة ونور ابيض منه ابيض البياض وهو العلم الذى حمّله الله الحملة وذلك نور من نور عظمته فبعظمته ونوره ابصر قلوب المؤمنين وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون وبعظمته ونوره ابتغى من فى السموات والارض من جميع خلائقه اليه الوسيلة بالاعمال المختلفة والاديان المتشتتة فكل شيء محمول يحمله الله بنوره و عظمته و قدرته لايستطيع لنفسه ضرا و لانفعا ولاموتا ولاحيوة ولانشورا فكل شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما ان تزولا والمحيط بهما من شيء وهو حيوة كلشيء ونور كلشيء سبحانه و تعالى عما يقولون علوا كبيرا قال له فاخبرني عن الله عزوجل اين هو فقال امير المؤمنين (ع) هو هيهنا وهيهنا و فوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله مايكون من نجوى ثلثة الاهو رابعهم ولاخمسة الاهو سادسهم ولاادنى من ذلك ولااكثر الاهو معهم اينما كانوا فالكرسى محيط بالسموات و الارض وما بينهما وماتحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وذلك قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه و ليس يخرج من هذه الاربعة شيء خلق الله فى

ملكوته وهو الملكوت الذى اراه الله اصفيائه و اراه خليله فقال و كذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات و الارض وليكون من الموقنين و كيف يحمل حملة العرش الله وبحيوته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا الى معرفته الخبر وهو من غرر الاخبار .

وقد فسر (ع) الحمل فى الرواية وهو قيام ذوات الوجودات بالله سبحانه بقوله (ع) لايستطيع الخ ومنه يظهر كيفية حمل الحملة العرش وهو قيامه بالحملة بتحميله سبحانه اياه لهم .

و قد اعتبر فى الرواية العرش و الكرسى واحدا باعتبار كونهما من العلم ولذا ورد حديث الحملة الاربع فى كل منهما ففى الخصال عن الصفار قال قال الصادق (ع) ان حملة العرش احدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم والثانى على صورة الديك يسترزق الله للطير والثالث على صورة الاسد يسترزق الله للسباع والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ونكس الثور راسه منذ عبد بنو اسرائيل العجل فاذا كان يوم القيمة صاروا ثمانية الخبر .

والروايات فى هذا المعنى مستفيضة وفى بعضها النسر مكان الديك ولعل هذا المعنى من جهة اختلاف المشاهدة كما هو معلوم عند اصحاب المشاهدة ويشهد له قوله و نكس الثور الخ فافهم .

وقد ورد مثله فى الكرسى ايضا ففى تفسير العياشى عن الاصبغ قال سئل اميرالمؤمنين (ع) عن قول الله وسع كرسيه السموات والارض فقال ان السماء والارض وما فيهما من خلق مخلوق فى جوف الكرسى

و له اربعة املاك يحملونه باذن‌الله الحديث .

و يظهر من هذه الاخبار اعنى اخبار الحمل ان فى ذلك المقام تفصيلا ما اى انفصالا للنوع عن‌النوع حيث يثبت انسانا وديكا وثورا و اسدا .

والنظر الصحيح فيهايعطى ان‌الكرسى مقام‌تفرق‌الانواع وتفصيلها من‌الوجود المنبسط وان‌الحملة الاربع له وللعرش باعتباره وامّاالعرش بالمعنى الذى استفدناه فهو مقام الكمون الذى يجتمع فيه التفاصيل و يظهر روابطها ولذا ورد ان الكرسى ظاهر العلم والعرش باطنه و فى التوحيد مسندا عن حنان بن سدير قال سألت اباعبدالله (ع) عن‌العرش والكرسى فقال ان للعرش صفات كثيرة مختلفة له فى كل سبب و صنع فى القرآن صنعة على حدة فقوله رب العرش العظيم يقول رب الملك العظيم وقوله‌الرحمن على‌العرش استوى يقول‌على‌الملك احتوى وهذا علم الكيفوفية فى‌الاشياء ثم‌العرش فى‌الوصل متفرد عن‌الكرسى لانهما بابان من اكبرابواب الغيوب وهماجميعا غيبان وهما فى‌الغيب مقرونان لان الكرسى هو الباب الظاهر من الغيب الذى منه مطلع البدع و منها الاشياء كلها والعرش هو الباب الباطن الذى يوجد فيه علم‌الكيف‌والكون والقدر والحد والاين والمشية وصفة الارادة وعلم الالفاظ و الحركات والترك وعلم العود والبدا فهما فى‌العلم بابان مقرونان لان ملك العرش سوى ملك الكرسى و علمه اغيب من علم الكرسى فمن ذلك قال رب العرش العظيم اى صفته اعظم من صفة الكرسى وهما فى‌ذلك مقرونان

قلت جعلت فداك فلم صار فی الفضل جار الكرسی قال (ع) انه صار جاره لان علم الكيفوفية فيه وفيه الظاهر من ابواب البداء وانيتها وحد رتقها و فتقها فهذان جاران احدهما حمل صاحبه فی الصرف و بمثل صرف العلماء و ليستدلوا على صدق دعواهما لانه يختص برحمته من يشاء وهو القوى العزيز الخبير .

قوله (ع) وفيه الظاهر اه ای فی الكرسی ووجهه ظاهر مماقدمنا.

و قوله (ع) احدهما حمل صاحبه اه يمكن ارجاع الضمير الى كل منهما بوجه فان الظاهر يحمل الباطن بوجه كالعكس لكن لايوجد فی الروايات شیء يوجد فيه حمل العرش الكرسی وقد يوجد العكس.

وقوله (ع) وبمثل صرف العلماء اه ظاهره البناء للمجهول و ان كان البناء للمعلوم ايضا صحيحا و التصريف بالامثال انما هو سترا للاسرار الالهية .

وقوله (ع) وليستدلوا على صدق دعواهما اه الظاهر ان الضمير للعرش والكرسی وذلك ان فی التمثيل اعطاء الدليل فافهم وماعده (ع) من اقسام العلوم فيها قابل الاستفادة من الايات التی ورد فيها ذكرهما .

والى ماهر يشير قول علی (ع) على ما فی الاحتجاج فی جواب من سئله عن بعد مابين الارض و العرش فقال (ع) قول العبد مخلصا لااله الاالله .

وفی الفقيه و العلل و المجالس للصدوق روی عن الصادق (ع) انه سئل لم سمی الكعبة كعبة قال لانها مربعة فقيل له ولم صارت مربعة

قال لانها بحذاء البيت المعمور و هو مربع فقيل له و لم صار البيت المعمور مربعا قال لانه بحذاء العرش وهومربع فقيل له ولم صارالعرش مربعاقال لان الكلمات التى بنى عليها الاسلام اربع سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر الحديث .

و هذه الكلمات الاربعة كما ترى اولها يتضمن مرحلة التنزيه والثانية مرحلة التشبيه والثالثة مرحلة التوحيد والرابعة التوحيد الاعظم وقد ورد عن الصادق (ع) ان معنى الله اكبر الله اكبر من ان يوصف .

وفى العلل عن علل ابن سنان عن الرضا (ع) علة الطواف بالبيت ان الله تبارك وتعالى قال للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا انهم اذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فاحب الله عزوجل ان يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع فى السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع فى السماء الدنيا بيتا يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثم امر آدم فطاف به فجرى ذلك فى ولده الى يوم القيمة الخبر .

والاخبار فى هذا المعنى كثيرة ومنها يظهر ان نسبة العرش الى عالمه نسبة الكعبة الى عالمنا الدنيا وقد مر فى الكلام على الحجب رواية ان الشمس جزء من سبعين جزئا من نور الكرسى و نور الكرسى جزء من سبعين جزئا من نور العرش الخبر .

ومنه يظهر ان نسبة العرش الى حومته كنسبة الشمس الى عالمنا

الدنيا حيث ان لها تدبير اجسام مافى حومتها ونظامها بما دبرها العليم الخبير.

فقدتبين من جميع مامر انالعرش هوباطن عالم التجرد وهوعالم العقول الطولية من الوجود المنبسط والكرسي هوظاهره وهوعالم العقول العرضية وما دونه.

تتمة

وانت بعدالاحاطة بمامر تعرف معنى ماوردفي المقام من متفرقات الاخبار ففى التفسير.

وفى حديث آخر حملة العرش ثمانية اربعة من الاولين و اربعة من الاخرين فاماالاربعة من الاولين فنوح وابرهيم وموسى وعيسى واما الاربعة من الاخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين (ع).

وفى روضة الواعظين روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده (ع) الى ان قال وان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لايستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة اقول و هذه المعانى مروية بطرق كثيرة اخرى.

وورد ان آية الكرسي و آخر البقرة وسورة محمد من كنوز العرش

وورد ان صاد نهر يخرج من ساق العرش.

وورد ان العرش سقف الجنة.

وورد ان العرش يرتج عند بكاء اليتيم .

و ورد ان الافق المبين قاع بين يدى العرش فيه انهار تطرد فيه من القدحان عدد النجوم .

وورد ان روح بعض الائمة على العرش ينظر الى زواره .

وورد ان قلب المؤمن عرش الرحمن .

وورد فى الحديث القدسى ماوسعنى ارضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن الى غيرذلك من متفرقات الروايات .

واعلم ان مايعتقده الناس من كون العرش جسما اعظم ما يكون كهيئة السرير فوق الافلاك او انه الفلك التاسع المحدد للجهات تطبيقا بهيئة بطلميوس فلم تجدله شاهدا يركن اليه من الروايات بل بعض الروايات فى مقام تكذيبه كما مر فيما مر .

واما الكلام فى القلم و اللوح فهما ايضا من ضروريات الاسلام تكرر ذكرهما فى القرآن وتواترت بهما اخبار العامة والخاصة قال سبحانه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى السماء و لا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما فى البر و البحر و ما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل فى كتاب مبين الايات .

مزج سبحانه بين علمه و بين الكتاب فافاد ان علمه عين الكتاب

الذی هو مبین و قال تعالی و کلشیء احصیناه فی امام مبین الایة و سیاق الایات یعطی ان هذا العلم علم بالجزئیات و اشخاصها فلو کان کتابة هذا الکتاب بالتخطیط و التسطیر نظیر الکتب التی بیننا لم یحتو الا علی المفاهیم التی هی کلیات دون الجزئیات اذالمفهوم و لو تعین بای تعین فرض یقبل الانطباق علی امور کثیرة متماثلة و یشیر الیه قوله سبحانه الم تر ان الله یعلم ما فی السموات و ما فی الارض ما یکون من نجوی ثلثة الا هو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم ولا ادنی من ذلک ولااکثر الاهو معهم اینما کانوا الایة وقال تعالی قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا کتاب حفیظ الایة فوصفه بانه حفیظ و انه عنده و قد اخبر سبحانه بان ماعنده باق لاینفد فهذا الکتاب شامل لجمیع جزئیات الموجودات و کلیاتها بوجود باق محفوظ لا یتبدل و لایتغیر کما قال سبحانه یمحوالله مایشاء و یثبت وعنده امالکتاب.

ثم انه سبحانه اثبت فیهذه الایات کتابا واحدا سماه فی موضع بالکتاب المبین وفی آخر بام الکتاب وفی آخر بالکتاب الحفیظ والکتاب المکنون و الکتاب المسطور و اللوح المحفوظ ثم قال تعالی کلا ان کتاب الابرار لفی علیین ومااذرئک ماعلیون کتاب مرقوم یشهده المقربون وقال سبحانه کلا ان کتاب الفجار لفی سجین و ما ادریک ماسجین کتاب مرقوم ویل یومئذ للمکذبین الایات فاثبت سبحانه کتابا للسعادة و کتابا آخر للشقاوة ثم قال تعالی یوم ندعوا کل اناس بامامهم وقال تعالی کل امة تدعی الی کتابها الایه فاثبت لکل امة کتابا

على حدة ثم قال تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه و نخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا الايه فاثبت لكل انسان كتابا عليحدة ثم قال سبحانه ما خلقنا السموات و الارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى وقال تعالى لكل اجل كتاب الايه فاثبت لكل موجود من الموجودات كتابا واحدا بشخصه ثم قال سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الايه فاثبت ان اعمالهم بنحو الاستنساخ من ام الكتاب وان ساير الكتب فروع ماخوذة منه وهذا هو تنزل الموجودات من مرحلة الغيب الى حيز الشهادة فهذا حديث الكتب والالواح.

ثم ان الله سبحانه افاد بذلك لنا ان بينه سبحانه و بين الوجودات امرا سبيله سبيل الكتاب يكتبه الملك منا ليكون ماخذ الصدور احكام مملكته وبرنامجا لتفصيل اجرائاته فى مقام العمل فهناك مايجرى مجرى المداد والقلم والكتاب ولم يرد فى القرآن ذكر من المداد و القلم غير قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون على مايفسره بعض الروايات وقوله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم الايه.

ولعل ذلك لشدة طريقية المداد و القلم فى المطالب كما هو المعمول ايضا فان الذكر انما يقع على الكتاب دون القلم والمداد واما ذكر الكتاب فكثير كما لايخفى وهو موجود واحد منبع لفيضان الفيوضات فهو ملك بلاشك وكيف لا وهو مصدر الفيوضات و منشاء الخيرات و البركات و الادراكات فهو دراك فعال فهو حى فهو ملك اذ هو الموجود الحى

العالم الفعال الذى يتوسط بين الحق والخلق و ان كان كل ماله فلمبدعه تعالى .

اقول والاخبار ايضاييين هذاالبيان ويفسرها على هذه‌الاعتبارات و قد ظهر من رواية حنان السابقة ان هذه امثال ضربت للناس و ما يعقلها الا العالمون و الاشارة الى هذا المعنى كثير فى الكتاب و السنة .

وفى الاحتجاج عن هشام بن الحكم انه سال الزنديق اباعبدالله فقال اوليس توزن الاعمال قال لا ان الاعمال ليست باجسام و انما هى صفة ماعملوا وانمايحتاج الى‌وزن‌الشىء من جهل عدد‌الاشياء ولايعرف ثقلها وخفتها وان‌الله لايخفى عليه شىء قال فما معنى الميزان قال العدل الحديث .

وهذه‌الرواية تعطى ميزاناكليا وان ماورد عنهم فى‌امثال ذلك‌بانه لاتمام الحجة جواب مطابق لظواهر المعارف واما ممثلات هذه‌الامثال فلها معان تحت هذه المعانى غير ان‌السنخية اللازمة بين‌المثل والممثل لابد من وجودها وعلى‌اى‌حال فاذا رجعنا الى ماعندنا من‌الامور وجدنا ان‌المدادوالقلم واللوح معتبرة عندنا‌لحفظ‌الاشارة الى‌الاعيان‌الخارجية فى النقش .

وبعبارة مجازية مراتب‌الوجود عندالناس ثلث‌الوجودالخارجى والوجود الذهنى ، والوجود الكتبى ، و كل من هذه‌الثلث يحكى عما قبله والحوادث المكتوبة موجودة فى مقام الاجمال فى القلم و فى مقام

التفصيل فى اللوح وبنظر ادق من ذلك الاجمال و التفصيل كلاهما فى المداد و القلم حافظ لاجماله مفيض لتفصيله هذا فاذا ثبت فى الوجود مداد و قلم و لوح مسطور فيه نظام الوجود كان القلم مرتبة من مراتب الوجود موجودا فيها الموجودات بنحو الاجمال و البساطة مفيضا للتفصيل وكان اللوح مرتبة اخرى موجودا فيها تفاصيل الموجودات و كان المداد مرتبة ثابتا فيها الاجمال و التفصيل معا وهو الوجود المنبسط على مادون الاسماء .

و هذه المراتب حيث انها مجردة الوجود ازيد من نوع واحد فيها فمعها الحيوة و العلم على ماتقرر فى محله فاذا لو حظت المراتب كانت متحدة اتحادا ما بالعرش واذا لوحظت الحدود و المهيات كانت املاكا ثلثة .

والى المعنى الاول يشير ما فى تفسير القمى فى قوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ قال (ع) اللوح المحفوظ له طرفان طرف على العرش وطرف على جبهة اسرافيل الخبر وما سياتى فى رواية الاقصر.

ويدل على المعنى الثانى مافى تفسير القمى مسندا عن هشام عن ابيعبدالله (ع) قال اول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما كان وماهو كائن الى يوم القيمة .

اقول وهذا المعنى مروى بطرق العامة ايضا و فى معانى الاخبار مسندا عن ابرهيم الكرخى قال سالت جعفربن محمد عن اللوح والقلم فقال هما ملكان .

وفيه ايضا مسندا عن سفيان عن ابيعبدالله (ع) عن ن فقال هونهر في الجنة قال الله عزوجل اجمد فجمد فصار مدادا ثم قال عزوجل للقلم اكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ ماكان وماهو كائن الى يوم القيمة فالمداد مداد من نور والقلم قلم من نور واللوح لوح من نور قال سفيان فقلت له يابن رسول الله بين لى امر اللوح و القلم و المداد فضل بيان و علمني مما علمك الله فقال يابن سعيد لولا انك اهل للجواب ما اجبتك فنون ملك يؤدى الى القلم وهو ملك والقلم يؤدى الى اللوح وهو ملك واللوح يؤدى الى اسرافيل واسرافيل يؤدى الى ميكائيل وميكائيل يؤدى الى جبرئيل وجبرئيل يؤدى الى الانبياء والرسل قال ثم قال لى قم ياسفيان فلا آمن عليك .

وفي تفسير القمي عن ابيه عن ابن ابي عمير عن عبدالرحيم الاقصر عن ابيعبدالله (ع) قال سئلته عن ن والقلم قال ان الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد ثم قال لنهر في الجنة كن مدادا فجمد النهر و كان اشد بياضا من الثلج و احلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب قال يا رب ما اكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة فكتب القلم في رق اشد بياضا من الفضة و اصفى من الياقوت ثم طواه فجعله في ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد و لا ينطق ابدا فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها اولستم عربا فكيف لاتعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب اوليس انما ينسخ من كتاب آخر من الاصل وهوقوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الحديث .

اقول وروى هذاالمعنى فى تفسيرالعياشى والعلل ومعانىالاخبار قوله خلق القلم من شجرة فى الجنة اد يستدعى سبق الجنة على خلق القلم وقد مرت الروايه ان القلم اول مخلوق و لا منافاة بنائا على مايعرفه اهله ان من مراتب الجنة سالايطلق عليه لفظ الخلق وقرب منه قوله(ص) اول ماخلق الله نور نبيك ياجابر مع ماورد ان طينتهم مأخوذة من الجنة والناس فى غفلة عن هذاالمعنى (١)

ومقتضى الرواية ان المداد اما مع القلم واما قبله ولم نجد رواية تدل على ان اول ماخلق الله المداد غير ما فى الخصال عن الباقر (ع) قال ان لرسول الله (ص) عشر اسماء خمسة فى القرآن وخمسة ليست فى القرآن فاماالتى فى القرآن محمد واحمد وعبدالله ويس ون الحديث مع مافى الخبر المشهور اول ماخلق الله نور نبيك يا جابر هذا.

ويمكن بيان وجه لنظى اه وهو ان المعتبر فى الوساطة عندالناس القلم واللوح فاماالمداد فهو فان فيها منقول عنه غير منظور اليه استقلالا وقد مر هذا الوجه فافهم.

وقوله فى رق اشد بياضا من الثلج اه تعبير عن اللوح والرق الجلد وقد مر تعبير آخر عنه فى رواية سفيان بانه لوح من نور وله تعبير آخر فى حديث القمى فى نزول اسرافيل على رسول الله (ص) قال جبرئيل ان هذا اسرافيل وهو حاجب الرب واقرب خلق الله منه و اللوح بين عينيه من ياقوته حمراء الحديث.

وقد اختلف التعبير عن القلم ايضا تارة بانه من شجرة الخلد فى

١ـ وان كانت الطينة ادنى مرتبتها من النور منه.

الجنة وتارة بانه قلم من نور وعن المداد تارة بانه نهر فى الجنة اشد بياضا من الثلج واحلى من الشهد وتارة بانه مداد من نور وعن الجميع بان المداد واللوح والقلم املاك ثلثة ولعمرى هذا الاختلاف فى التعبير وامثاله من اوضح الدليل على انها امثال مضروبة بحسب اختلاف الجهات او الافهام فهب ان هذه صنايع لفظية وتشبيهات شعرية ارتكبها ائمة الاسلام لتزئين اللفظ بتسمية اشياء باللوح والقلم والمداد و الكتاب و الميزان و امثال ذلك فما معنى تذيله بانه كان اشد بياضا من الثلج و احلى من الشهد و نحو ذلك فهل هذا الا انها امثال مضروبة و استار دونها اسرار و الله الهادى .

وقوله (ع) ثم طواه فجعله فى ركن اه اشارة الى اتحاده بالعرش كما مر فى حديث القمى .

و قوله (ع) ثم ختم على فم القلم اه اشارة الى حتمية القضاء المكتوب فيه كما فى التوحيد وتفسير القمى عن النبى (ص) قال سبق العلم وجف القلم ومضى القضاء وتم القدر بتحقيق الكتاب و تصديق الرسل و بالسعادة من الله لمن آمن و اتقى و بالشقاء لمن كذب و كفر الحديث ولا منافاة بين كون هذا النظام فى مرتبة من مراتب وجوده محتوما غير قابل للتغير وفى مرتبة آخر قابلا له فان الاجمال وقبول التغير من لوازم مرتبة القوة و الامكان من الاستعدادات المتفرقة و اما المراتب العليا فمقدسة عن شوب القوة والامكان والى الله الرجعى .

و قوله (ع) اولستم عربا اه اشارة الى تنزل وجود الاعمال من

مراتب الغيب الى مراتب الشهادة فان الظاهر من الاخبار ان اعمال بنى آدم الواقعة تنسخ اولا عن اللوح المحفوظ فيجىء به الملكان الى هذا العالم ثم يصعدان به الى اللوح فيقابل به .

ففى كتاب سعد السعود فى رواية انهما اذا ارادا النزول صباحاً ومسائا ينسخ لهما اسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك فاذا صعدا صباحا ومسائا بديوان العبد قابله اسرافيل بالنسخ التى انتسخ لهما حتى يظهر انه كان كما نسخ منه الخبر .

وفى الوسائط من الملئكة الكتاب بين اسرافيل والملكين اخبار آخر منها مافى كتاب محاسبة النفس لابن طاوس مسندا عن امير المؤمنين (ع) فى حديث البيت المعمور فيه كتّاب اهل الجنة عن يمين الباب يكتبون اعمال اهل الجنة و كتّاب اهل النار عن يسار الباب يكتبون اعمال اهل النار باقلام سود الخبر .

و فى المحاسن و العلل مسندا عن حبيب السجستانى قال قال ابو جعفر (ع) انما سميت سدرة المنتهى لان اعمال اهل الارض تصعد بها الملئكة الحفظة الى محل السدرة قال و الحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون مايرفعه اليهم الملئكة من اعمال العباد فى الارض فينتهى بها الى محل السدرة الخبر .

و فى تفسير القمى عن الباقر (ع) قال السجين الارض السابعة وعليون السماء السابعة الخبر .

اقول وهذه الاخبار بظاهرها مختصة بكتّاب اعمال بنى آدم ويدل

على الاعم من ذلك ما فى تفسير القمى مسندا عن حماد عن ابيعبدالله(ع) انه سئل الملائكة اكثر ام بنو آدم فقال(ع) والذى نفسى بيده لملائكة الله فى السموات اكثر من عدد التراب فى الارض وما فى السماء موضع قدم الا وفيها ملك يسبحه ويقدسه ولافى الارض شجر ولامدر الا وفيها ملك موكل بها ياتى الله كل يوم بعملها والله اعلم بها الخبر.

اقول والاحاطة بما قدمنا من الاصول يغنى عن الاطالة فى بيانها على ان البناء على ايثار الاختصار.

ثم اعلم ان الاخبار تكاثرت فى ثبوت المحو والاثبات فى الحوادث الخارجية و هو البداء و قد نطق به القرآن قال تعالى يمحوالله ما يشاء و يثبت وعنده ام الكتاب الاية وهذا يوجب ثبوت الواح و كتب اخرى بعد اللوح المحفوظ يتطرق اليها التغير وحيث ان الوجود لاينقلب عما هو عليه بالضرورة فالمكتوب فيهذه الالواح من الحوادث وجوداتها الناقصة التى فى ضمن مقتضياتها فيوجب ذلك اجمالا واحتمالا لايتعين وجوداتها التامة فيها وهذا الاجمال غير الاجمال الذى سبق فى المداد والقلم فانه فيهما بمعنى بساطة الوجود وشدة صرافتها بخلاف ماهيهنا فانه بواسطة شوب المادة و الاستعداد بوجه ومنه يعلم ان هذه الالواح مادية طبيعية واما المثالية والمجردة منها فينبغى ان يتصور على ماصورناه فى رسالة افعال الله هذا.

ومثل هذا المحو والاثبات ثابت فى كتب الاعمال بالكتاب والسنة كمحو السيئة و اثبات الحسنة و حبط الاعمال بواسطة بعض الذنوب

و الخطايا و المغفرة و الشفاعة و الله اعلم .

واما الكلام فى السموات و الارض فالكتاب و السنة مملوان من ذكرهما اقول والمحصل من ذلك ان فى الوجود سبع سموات ، وان السماء الدنيا هى التى فيها هذه النجوم والكواكب المحسوسة وهى تسبح فيها و المجرة شرجها كانها عروة كيس تجمع راسها ، وان هذا الجو مكفوف مجتمع ، وان فى الوجود سبع ارضين مخصوصة فى الكتاب العزيز بالذكر فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن احدها ارضنا ونحن من الارض وهى فى الجو وهى مدحية مبسوطة ليست بالموجودة دفعة ولها حركة ما ، و ان فى الوجود عوالم كثيرة لاتحصى قدانقرض منها عدد كثير وعدد كثير منها باق بعد .

هذا هو الذى يتحصل من الكتاب و السنة للذهن الخالى الغير المتقلد بالتقليد قال الله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب و قال تعالى وكل فى فلك يسبحون .

وفى كتاب الاحتجاج و غيره عن امير المؤمنين (ع) و قد سئل عن المجرة قال شرج السماء الخبر .

وفى النهج قال (ع) اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف الذى جعلته مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة و قال تعالى الذى خلق سبع سموات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن وقال تعالى والارض بعد ذلك دحيها وقال تعالى

والارض مددناها والقينا فيهارواسي وقال تعالى والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هوالذى جعل لكم الارض ذلولافامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه و اليه النشور الى ان قال اولم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن مايمسكهن الاالرحمن الاية .

وقد نطقت الاخبار ان الله عوالم كثيرة فيهاخلائق كثيرون مكلفون وان الله خلق الف الف عالم والف الف آدم انتم فى آخرهم وغيرذلك مما يخرجنا استقصائها الى الاطناب .

اقول و اما ان غير السماء الدنيا و الارض من بقية السموات و الارضين ماهي فى حقيقتها فلايظهر تمام الظهور .

و الذى ينبغي ان يقال هو انه تواترت النصوص كتابا و سنة ان هذه السموات السبع مملوة من الملئكة وان منهم سدنة لابوابها ومنهم حفظةلها ومنهم ملائكة متعبدة متنسكة راكعة اوساجدة اوقائمة اووالهة و منهم سيارة تنزل بالامرالالهى او تعرج بالاخبار و الكتب او تصعد بالارواح والاعمال سمائا سمائا الى مافوق السماء السابعة وهناك سدرة المنتهى تنتهى اليها اعمال بنى آدم وعندها جنة المأوى و بحارالانوار والحجب وانمن الملئكة من راسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة و ان من ارواح الانبياء و الاولياء من هو ساكن فى السماء الى غير ذلك .

واذ سيجيء ان هذه كلها موجودات غير مادية بل هى بين اجسام لطيفة مفارقة للمادة مثالية او جواهر مجردة تجردا تاما فح حقيقة الامر على أحد وجهين :

اما ان يكون تمكنهم فى هذه الاماكن كتمكن نار البرزخ فى البرهوت وجنة البرزخ فى وادى السلام و بين قبر النبى و منبره و مثل كون القبر روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النيران وهو وجود امر فى باطن امر .

و اما ان تكون هذه السموات امورا برزخية كما يظهر من اخبار آخر .

لكن ظاهر الاخبار ان فى عالمنا المادى ارضون وسموات مادية وعلى كلا التقديرين يثبت سماء وارض من غير مادة .

ومما هو ظاهر الدلالة على ذلك مافى كتاب الغارات باسناده عن ابن نباتة قال سئل اميرالمؤمنين (ع) كم مابين السماء والارض قال (ع) مدالبصر ودعوة المظلوم الخبر .

وروى مثله بسند آخر وفى آخره لانقول غير ذلك .

والجمع بين الحكمين مع كون احدهما حكم المادى و الاخر حكم غيرالمادى من جهة اتحادهما فى الحقيقة و كون النسبة بينهما نسبة الظاهر والباطن وهذا كثير فى الاخبار الحاكية عن شئون السماء وغيرها كالجنة والنار وقال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون و ما فى علل الشرايع فى حديث عن الصادق (ع) فهكذا الانسان خلق من شان الدنيا و شان الاخرة فاذا جمع الله بينهما صارت حيوته فى الارض لانه نزل من شان السماء الى الدنيا فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت تردّ شان الاخرى الى السماء فالحيوة فى الارض والموت فى السماء

وذلك انه يفرق بين الارواح والجسد فردت الروح والنور الى القدس الاولى وترك الجسد لانه من شان الدنيا الحديث .

فيظهر مما مر انه كما ان فى عالمنا المادى ارضا وسماءا كذلك فوق هذا العالم سماء و هى التى تعرج اليها الارواح الطيبة السعيدة و تتنعم فيها و هى جنة البرزخ و ارض و هى التى تهبط اليها الارواح الخبيثة الشقية و تتعذب فيها و هى نار البرزخ و الارواح فى هاتين حتى تفنى بفناء المثال وتقوم الناس لرب العالمين هذا .

ومن هنا انك اذا راجعت الاخبار التى فيها ان الملئكة بعد قبض ارواح السعداء يعرجون بها الى السماء الى الله سبحانه ثم يؤمر بها الى الجنة لايوجد فيها مايحكى عن انها يهبط بها الى الارض ثم تدخل الجنة مع ان جنة البرزخ بمقتضى الاخبار فى الارض وفى القبر .

ويشهد لما مر ايضا ما فى البصاير مسندا عن جابر عن ابيجعفر (ع) قال سئلته عن قول الله عزوجل و كذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات و الارض قال فكنت مطرقا الى الارض فرفع يده الى فوق ثم قال لى ارفع راسك فرفعت راسى فنظرت الى السقف قد انفجر حتى خلص بصرى الى نور ساطع حار بصرى دونه قال ثم قال لى راى ابرهيم ملكوت السموات والارض هكذا الخبر .

وما عن الصادق (ع) قال اذا كان ليلة القدر نزلت الملئكة والروح الى السماء الدنيا فيكتبون مايكون من قضاء الله فى تلك السنة الحديث مع ما ورد ان الروح بعد ما نزل الى الارض مسدداً لرسول الله (ص)

لم يعرج بعدو هو مع اهل البيت يسددهم الخبر .

و يظهر منهما ان احاطة السماء الاولى بالارض من قبيل احاطة الباطن بالظاهر لاكما يقولون من احاطة الفلك .

واما الكلام فى الملئكة فوجودهم من ضروريات الاسلام ويمكن ان يقال ان الامر كك فى الجملة فى ساير الملل و قد استفاضت الاخبار بانهم اكثر خلق الله اصنافا وافرادا واستقصاء اصنافهم تفصيلا خارج عن العهدة لكن يجمعهم اقسام ثلث :

القسم الاول الملئكة المهيمون وهم الوالهون فى عظمة الله سبحانه لايشعرون بشيء ولا بانفسهم .

ففى البصاير عن ابيعبدالله (ع) قال ان الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الاول جعلهم الله خلف العرش لوقسم نورواحد منهم على اهل الارض لكفاهم ثم قال (ع) ان موسى لما سأل ربه ماسئل امر واحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا الحديث .

وانت بعد التدبر فى قوله فلما تجلى ربه للجبل الآيه و الروايات التى فى موردها تقضى بان هذه الملئكة فانون فى الله سبحانه لايشعرون بغيره وليس لهم الاالله سبحانه .

وقوله (ع) جعلهم الله خلف العرش يومى اليه اه فان العرش هو عالم التدبير والقضاء والقدر اليه ينتهى التفاصيل والاحكام فلااثر خلفه من ذلك البتة .

وفى الخبر ايضا ان العالين قوم من الملائكة لايلتفتون الى غير الله

ولم يؤمروا بالسجود لادم ولم يشعروا انالله خلق العالم ولاآدم .

القسم الثانى الملئكة المتعبدون المتنسكون ففىالنهج فى خطبة له (ع) ثم فتق مابين السموات العلى فملاهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لايركعون و ركوع لاينتصبون و صافون لايتزايلون و مسبحون لايسأمون لايغشاهم نوم العيون ولاسهو العقول ولافترة الابدان ولاغفلة النسيان الخطبة وهذا المعنى مروى مستفيضا .

القسم الثالث الملائكةالعمالة الموكلون بالعالم من حملةالعرش والكرسى و الموكلين بالسموات و الشمس و القمر و النجوم و الليل والنهار والجووالسحاب والامطار والرعد والبرق والصواعق والشهب والرياحوالارض والعناصروالبحار والجبالوالاودية والنبات والحيوان والانسانوالاعمال والازمانوالامكنةوالحيوة والرزق والموتوالبرزخ والحشر و الجنة و النار وغير ذلك حتى يظهر من بعض الاخبار عموم وساطتها لجميع جزئيات جهات العالم من الذوات و الاعيان وآثارها وقد تقدم بعضها فى الكلام على اللوح والقلم .

وهذاالقسم بنفسه طبقات مختلفة من آمرومامور ورئيسومرئوس فى كل عمل موكل به ومنهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل و عزرائيل.

واعلم ان اصناف الملائكة كلهم معصومون بنصالقرآن وتواتر الاخبار غيرمافى بعضاخبار قصة هاروت وماروت وقد ردته اخبارآخر وما فى خبرواحد عامى منقصة دردائيل وفى آخر منقصة فطرس وهى على انها آحاد مجملة .

والغرض فى المقام بيان ان هذه الأصناف موجودات مفارقة للمادة بين مثالي و مجرد تام و البرهان المذكور فى اول الرسالة يثبت هيهنا ان لكل من موجودات عالمنا المادى مرتبة من المثال ومرتبة من العقل هما فى طوله و هو المطلوب وفى الايات والاخبار شواهد على ذلك .

منها قوله تعالى **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله** و قوله تعالى **نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين** وقوله تعالى **ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى** .

ومن المعلوم ان هذا القلب ليس المراد به اللحم الصنوبرى المعلق عن يسار المعدة بل هو الذى يفهم ويعقل وهو النفس فنزوله على القلب لايستقيم الا مع كون وجود النازل مجردا فى الجملة كوجود المعنى .

وقوله تعالى **وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون** الايه و مثلها آيات آخر اذ ظاهرها ان انزال الملك بلباسه الملكى ووجوده الملكوتى ملازم لقضاء الامر و عدم الانظار و دخول الناس فى نشأة مابعد الموت حتى يتسانخوا و يتجانسوا مع الملائكة وتلك نشأة مفارقة للمادة فوجود الملائكة منها فهى مفارقة .

ومنها ماورد فى الارواح ففى البصاير مسندا عن الحلبى عن الصادق (ع) فى قوله تعالى يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى قال ان الله تبارك وتعالى احد صمد والصمد الذى ليس له جوف وانما الروح خلق من خلقه له بصر وقوة وتاييد يجعله الله فى قلوب الرسل والمؤمنين .

وفيه مسندا عن الحسن بن ابرهيم عن الصادق (ع) قال سئلته عن علم العالم فقال ان في الانبياء والاوصياء خمسة ارواح روح البدن وروح القدس وروح القوة وروح الشهوة وروح الايمان و في المؤمنين اربعة ارواح انما فقدوا روح القدس روح البدن وروح القوة و روح الشهوة وروح الايمان وفي الكفار ثلثة ارواح روح البدن و روح القوة و روح الشهوة ثم قال وروح الايمان يلازم الجسد مالم يعمل بكبيرة فاذاعمل بكبيرة فارقه الروح وروح القدس من سكن فيه فانه لايعمل بكبيرة ابدا.

وفي الكافي مسندا عن ابي بصير عن ابيعبدالله (ع) قال ان للقلب اذنين فاذاهم العبد بذنب قال له روح الايمان لاتفعل و قال له الشيطان افعل و اذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان الحديث يشير (ع) الى الزنا.

وفي الكافي مسندا عن حماد عن ابيعبدالله (ع) قال مامن قلب الا وله اذنان على احديهما ملك مرشد وعلى الاخرى شيطان مفتن هذايامره وهذا يزجره الشيطان يامره بالمعاصي والملك يزجره عنها وذلك قول الله عزوجل عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد الحديث.

قوله (ع) وذلك قول الله عزوجل اه يظهر منه ان مراده تعالى من قعودهما عن اليمين والشمال قعودهما عن يمين القلب وشماله اي النفس و سعادته و شقاوته و كونه ذا اذنين باعتبار سمعه و طاعته لآمر الخير و آمر الشر.

و قوله (ع) فی خبر ابی بصیر نزع منه اه ونظیر هذه العبارة فی انتزاع روح الایمان وارد فی الاخبار کثیرا یلوح منه ان لها اتحاد اما بالنفس فهی مقومات لجهات النفس.

ویظهر من ضم الخبرین الاخیرین ان روح الایمان مع ملك ویدل علیه مافی الکافی وتفسیر العیاشی عن الصادق (ع) مامن مؤمن الا ولقلبه اذنان فی جوفه اذن ینفث فیها الوسواس الخناس واذن ینفث فیها الملك فیؤید الله المؤمن بالملك فذلك قوله تعالی وایدهم بروح منه الخبر.

و کذا مافی الاخبار الکثیرة ان روح القدس ملك وربما اید المؤمن.

وبالجملة فمن المعلوم ان لیس فی قلوبنا حین الهم بالحسنة او السیئة الا خطرات تخطر وهی کلام نفسی لنا و هی بعینها کلام ملك او شیطان و الکلام واحد بعینه فمتکلمه واحد بعینه فلو کان الملك الذی یکلمنا امرا مادیا لکان اللازم اتحاد الاثنین و هو محال فلیس الا انه موجود مثالی و لا یلزم من ذلك الاتحاد المستحیل لکون احدهما فی طول الاخر فافهم وهذا الوجه ناهض فی مثالیة الشیطان المفتن ایضا.

ومنها ماورد مستفیضا فی اخبار البرزخ من وجود ملئکة موکلة بروح الانسان بعد موته فی البرزخ کمنکر ونکیر ومبشر وبشیر وملئکة جنته وناره والصاعدین بروحه وحیث ان البرزخ مثال فهی مثالیة.

و منها الاخبار الواردة فی غریب خلقهم و عجیب شانهم ففی نهج البلاغة فی خطبة له (ع) فی الملائکة و منهم الثابتة فی الارضین السفلی اقدامهم والمارقة من السماء العلیا اعناقهم والخارجة من الاقطار

ارکانهم و المناسبة لقوائم العرش اکتافهم الخطبة.

وفى تفسير القمى مسندا عن جابر عن ابیجعفر (ع) قال کان بینا رسول‌الله (ص) جالسا و عنده جبرئيل اذخانت من جبرئيل قبل السماء فانتقع لونه حتى صار كانه كركم ثم لاذ برسول‌الله (ص) فنظر رسول‌الله (ص) الى حيث نظر جبرئيل فاذا شيء قد ملاء بين الخافقين مقبلا حتى كان كقاب من الارض الى اذقال قال يعنى جبرئيل هذا اسرافيل حاجب الرب الخبر.

وفى التوحيد عن الصادق (ع) انه سئل عن قوله تعالى لقد رای من آیات ربه الكبرى فقال رای جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل له ستماة جناح قد ملاء مابين السماء والارض الحديث.

والروايات وردت اكثرمن ان‌تحصى فی‌نزولهم واختلافهم وان منهم سكنة الهواء والارض و الاماكن المقدسة الافاً الافاً وانهم ينزلون مع قطرات الامطار و مع كل شخص وكل عمل و فى ايلة القدر الوف من الملائكة لايحصى عددهم الاالله سبحانه.

ومساق هذه‌الاخبار والاثار يابى ان‌نقول ان‌لاختلاف موجودات عالمنا وتقلباتها وانقلاباتها تاثيرا فيهم فلايوطئون بالاقدام ولا يضغطون ولاتخرق حركات الاجسام ابدانهم مع‌انهم قد ملاؤا الفضاء و السطح مع‌ان‌الضرورة تقضى‌بالمزاحمة بين‌الماديات‌والجسمانيات ولايبصرون ولا يلمسون و لا يحس بهم و لا غير ذلك من احكام الماديات فليسوا بالاجسام المادية و انما للماديات نسبة اليهم هذا.

و ما ربما يقال ان الله سبحانه قادر ان يصرف الماديات عنها فلا تحس بها ولا تزاحمها ويجعل القوة على رؤيتهم والارتباط بهم فى بعض اشخاص الانسان كالانبياء (ع) فيختصوا برؤيتهم و كلامهم مثلا فكلام يشبه بظاهره كلام المسلّمين من المسلمين وبباطنه يهدم اساس الدين اذ لو جاز مثل هذا الخطأ العظيم فى الحس لم يثبت لنا نبى ولا كتاب ولا شرع ولا اعجاز ولحقنا بالسوفسطائية ولم يثبت توحيد حتى تصل النوبة الى الكلام فى الملائكة على ان الضرورة تدفعه.

وما اثبتنا فى محله من الخطاء فى الحس انما هو الخطاء فى الحكم الذى معه لا فى المحسوس الحاصل عند الحس فما نراه من صغر النجوم مثلا فالذى عند الحس من نقطة بيضاء هو هذا القدر وهو ضرورى بديهى والخطاء انما هو فى حكمنا ان النجم فى نفسه على هذا المقدار من الحجم على ما يثبته احكام الزوايا المثلثية من حجمها.

ومنها الاخبار الكثيرة الواردة فى عصمتهم الذاتى وقد قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون و قال تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون الاية فمن المعلوم ان لو كانت فيهم مادة و هى حاملة للقوة والامكان وافعالهم صادرة عن علم كان ذلك منهم اختياريا متساوى الوجود والعدم كالانسان ولم يكونوا مجبولين على الطاعة ولاستوجبوا بالطاعة مزيد الثواب مع ان العمالة منهم عمالة الى ابد الابدين من قبل وفى الدنيا والاخرة وفى الجنة والنار.

و منها ما ورد ان طعامهم التسبيح و شرابهم التهليل اى ان قوام وجودهم الخارجى بالتوحيد والتنزيه واما الحمد و التشبيه فلم يرد فيه نص غيرمافى قوله تعالى والملئكة يسبحون بحمده الاية ولم يرد ويحمدون ووجهه واضح عند العارف بالحقايق .

وفى رواية اخرى فى العلل لمحمد بن على بن ابرهيم سئل ابو عبدالله عن الملئكة يا كلون ويشربون وينكحون قال لا انهم يعيشون بنسيم العرش فقيل له فما العلة فى نومهم فقال (ع) فرقا بينهم وبين الله عزوجل لان الذى لاتاخذه سنة ولانوم هوالله الخبر .

وحديث نومهم وارد فى احاديث أخر منها ما فى اكمال الدين مسندا عن داود بن فرقد فى حديث حدثه بعض اصحابه عن الصادق (ع) فقال (ع) ما من حى الا و هو ينام خلاالله وحده عزوجل و الملائكة ينامون فقلت يقول الله يسبحون الليل و النهار لا يفترون قال انفاسهم تسبيح الخبر .

وقد مر فى اول الكلام قول على (ع) لايغشاهم نوم العيون الخطبة فلو صحت هذه الاخبار كان المراد من نومهم ماهو مثل قوله (ع) الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وماورد مستفيضا فى اخبار البرزخ كما فى الكافى مسندا عن سالم عن ابيعبدالله (ع) فى حديث ثم تؤخذ روحه فتوضع فى الجنة حيث راى منزله ثم يقال له نم قرير العين فلاتزال نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يبعث الحديث .

وجملة المعنى ان نسبة جنة الاخرة الى البرزخ وكذلك نسبة البرزخ

الى الدنيا كنسبة اليقظة الى النوم وكذا فى الملئكة نوم غير نوم العيون وغفلة العقول نسبته الى ماعليه الحق سبحانه نسبة النوم الى اليقظة فمن فقد شيئا فقد نام عنه و الحاصل ان تعيشهم بنسيم العرش و هو التسبيح والتهليل وقد عرفت ان العرش ماهو انما هو مشاهدة التوحيد و التنزيه فبه قوام وجودهم فحجاب المادة ليس مضروبا دونهم .

وفى كتاب الدرر والغرر للامدى عن المناقب و سئل يعنى عليا عليه السلام عن العالم العلوى فقال صور عارية من المواد خالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فاشرقت وطالعها فتلالات و القى فى هويتها مثاله فاظهر عنها افعاله الحديث وهيهنا مباحث اخر ربما تعرضنا لبعضها فى الكلام على الشيطان على حسب مايسوغه المجال .

واما الكلام فى الشيطان فهو ايضا من ضروريات هذا الدين بل ساير الملل و قد تواترت الاثار و تكرر فى القرآن اثبات خصوصيات عجيبة لهذا المخلوق والكلام الجامع فيه ان نقول كما ان الاسلام يثبت وراء الحس موجودات كثيرة موكلة بجميع جهات العالم تدعوا الى الخيرات و تهدى الى الحسنات و تفيض البركات و سمتها الملائكة فالملك موجود غير محسوس له مبدئية ما للخيرات و الحسنات والبركات كذلك يثبت وراء الحس موجودات اخرى موكلة بالانسان وغيره تدعوا الى الشرور و تهدى الى كل معصية و مخالفة يسميها الشيطان و ذريته فالشيطان موجود غير محسوس له مبدئية ما للشرور والمعاصى .

اقول اذا فرضنا معصية ما فهى مخالفة والمخالفة لايتحقق الامع

تصور موافقة فی محلها واطاعة والموافقة بالطاعة لاتكون بشباهة الفعل بالفعل بل بمطابقة الفعل لمايريده آمر بامر مثلا والامر اللفظی انما هو لايصال الامر الی المأمور لا لموضوعية له فی نفسه بالضرورة . و لذا كان الامر العقلی كالامر اللفظی والامر امر اعتباری اعتبر للتوصل الی وجود فعل مراد من الغير بالبعث و التحريك الاعتباری للمامور الی المامور به وارادة الفعل لاتكون الا بمحبة تامة فالذی يصدر عن الفاعل المطيع انما هوالذی يحبه الامر من حيث انه يحبه و الا لم يكن موافقة ای ان علم الفاعل فی ارادته الفعل انما تعلق بالفعل بما ان الامر يحبه ای بمحبة الامر مشاهدا تعلقها بالفعل ووجودها فی الفعل وحيث ان العلم متحد بالمعلوم فمنشأ الفعل ارادة الامر التی عند الفاعل فهذا الفعل انما تحقق بفناء ارادة الفاعل فی ارادة الامر و حيث ان الفعل اثر الفاعل ووجوده رابط غيرمستقل بالنسبة الی الذات فللذات وجود ما فی مرتبته ففناء الارادة فی الارادة يستلزم فناء ما للذات فی الذات فی هذه المرتبة فيختلف الفناء المذكور باختلاف الافعال فهناك فنائات مختلفة بالنسبة الی الافعال المختلفة والطاعات المتشتتة .

ومثل البرهان يثبت فی جانب المعصية ان المعصية لا تتحقق الا بانانية بالنسبة الی ذات الامر بوجه ما وهی خلاف الفناء ای الغفلة عن ذات الامر و توجه المامور الی ذات نفسه .

وحيث ان الكلام فی اطاعة الحق سبحانه ومعصيته ولاذات موجودة بالاستقلال الا ذاته فالتوجه الی ذات اخری غير متصورة هناك بل هی

الغفلة عن انه هو به لاعن هو البسيط فانه غير متحقق البتة .

فقد تحقق ان المعاصي بجميع انحائها لاتتحقق الا مع الغفلة عن الحق سبحانه و دعوى الانانية و تختلف اقسام هذه الدعاوى باختلاف اقسام الافعال التي هي معاص اختلافا شديدا فهذا هو المتحقق في مرتبتنا الطبيعية ولها بالضرورة مثل في مرتبة المثال نسبتها في الكليه والجزئية والمنشأية و التولد نسبة مافي عالم الطبيعة بمقتضى مامر من البرهان في اول الرسالة فهي موجودات متقدمة عليها بوجه احياء في انفسها لها مبدئية ما بالنسبة الى ما في عالم الطبيعة من ممثلاتها و هذا الموجود غير المحسوس الذي هو مبدء عام المعاصي مع المبادي الجزئية التي لها هو الذي نسميه بالشيطان و ذريته هذا ماسنح ببالي من البرهان على وجوده و لم اجد مجال المراجعة الى كتب القوم فما ادري هل سبقني اليه احد اوجاء ببرهان غير هذا ومنه يتبين معاني عامة ماورد في خصوصيات وجوده وذريته وحالاتهم و كيفيه وساوسهم وغير ذلك .

ومن البرهان يظهر وجه عدم سجدته لعنه الله لادم لانه غير خاضع لذات الانسان النورية التي هي خليفة الله في ارضه لان ذاته قائمه بالانانية وقد ورد في الخبر ان اول من قال انا ابليس وانه انما استحق اللعن بذلك قال تعالى اذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملئكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر و كان من الكافرين الايات ويظهر مما مر انه لم كما لم يسجد لادم لم يسجد لذريته ايضا وشاهد ذلك قوله تعالى ولقد

خلقنا كم ثم صورنا كم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الاية و كما انه لم يسجد هو لع لم يسجد ذريته ايضا ففى نهج البلاغة فى خطبة له (ع) فى صفة خلق آدم (ع) واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم و عهد وصيته اليهم فى الاذعان بالسجود له و الخشوع لتكرمته فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس وقبيله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة الخطبة ويستفاد هذا المعنى من قوله سبحانه انه يريكم هو وقبيله من حيث لاترونهم الاية.

و من البرهان يظهر ان المتخلص منه لع بالكلية لايتحقق الا مع الخلوص لله سبحانه قال سبحانه حكاية عن ابليس حين رجم وانظر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصوا لله بالبناء للمجهول فلا يبقى غاية لهم اما ذاتا او اسما او فعلا فقط الا الله سبحانه و هو الخلوص باحد وجوهه و ذلك لانه يرتفع موضوع الوسوسة ح و هو الانانية و الغفلة عن الحق سبحانه و ذلك قوله (ع) ان شيطانى اسلم على يدى و فى رواية قتلته و فى رواية عن الصادق (ع) على ان الشيطان لايتعرض بنا هذا واما وقوع الخطاء وهو مخالفة الامر الارشادى دون المولوى منه و ترك الاولى من الانبياء فقد صرح به القرآن الكريم وتواترت به الاخبار قال تعالى فى آدم و حواء فازلهما الشيطان الايه وكذا فى ساير الانبياء وكذلك وقوع الخطاء الخالى قال تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا الايه وقال تعالى حكاية عن فتى موسى و هو يوشع فى قصة الحوت و ما انسانيه الا

الشيطان ان اذكره الايه وقال تعالى حكاية عن ايوب (ع) انى مسنى الشيطان بنصب و عذاب.

و يتبين مما مر من الامثلة ان عمدة تصرفاته لع فى هذا العالم الطبيعى على ثلثة اقسام:

القسم الاول تصرفه فى الانسان بالوسوسة فى صدره والالقاء فى قلبه قال تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال تعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس و الخناس اسم للشيطان الموكل على الناس كما فى الاخبار و قد مر رواية الكافى فى هذا المعنى.

وهذا القسم هو الذى عصم منه المعصومون من الانبياء والاولياء و لذلك لو تحقق منه لع وسوسة لهم كان ذلك بالظهور و التجسم لهم كما ورد اخبار كثيرة فى قصص نوح وابرهيم واسمعيل وموسى وعيسى ويحيى ونبينا عليهم السلام فى هذا المعنى.

القسم الثانى تصرفه لع فى الانسان غير قلبه كاعضائه مثلا كما فى قصة ايوب ومرضه مرضا شديدا و هذا فى غير المعصومين من الاولياء مقدمة للقسم الاول وفيهم ينتج ايذائا.

القسم الثالث تصرفه لع فى غير الانسان من الامور الخارجة عنه قال تعالى قال رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض و لاغوينهم اجمعين والاخبار فى هذا الباب اكثر من ان تحصى.

كما فى الكافى باسناده عن على (ع) قال قال رسول الله (ص)

لاتؤوا منديل اللحم في البيت فانه مربض الشيطان ولاتؤوا التراب خلف الباب فانه ماوى الشيطان الخبر .

وفيه مسندا عن الصادق (ع) ان على ذروة كل جسر شيطانا فاذا انتهيت اليه فقل بسم الله يرحل عنك .

وفى اخبار كثيرة انه لع تصرف في العنب والكرمة والنخلة وفى اخبار كثيرة انه لع يتصرف في النطفة و المأكل و المشرب و الملبس والمسكن اذا لم يذكر اسم الله عليه .

وفي الكافي مسندا عن على قال قال رسول الله (ص) بيت الشيطان في بيوتكم بيت العنكبوت .

وفي الكافي ايضا مسندا عن احدهما (ع) قال لاتشرب وانت قائم ولاتبل في ماء نقيع ولاتطف بقبر ولاتخل في بيت وحدك ولاتمش بنعل واحدة فان الشيطان اسرع ما يكون الى العبد اذا كان على بعض هذه الاحوال الى غير ذلك من نظائرها التي وردت في الشريعة وهذا القسم ايضا مقدمة للقسم الاول من تصرفاته لع .

ومن البرهان المذكور يظهر ايضا ان الشياطين مفارقة الوجود للمادة و الوجوه المذكورة في تجرد الملائكة غير الوجه الاخير منها جار في الشياطين بعينها قال تعالى يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان الاغرورا وقال تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان وقال تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

و قال تعالى انه يريكم هو و قبيله من حيث لاترونهم و قال تعالى الشيطان سول لهم واملى لهم وقال تعالى كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك الايات و امثال الاخبار التى اوردناها فى الكلام على الملئكة واردة فى هذا المقام ولا نطيل بالايراد و البيان بل الاخبار الواردة هيهنا اوضح دلالة من هناك لان كثيرا من تصرفاته الواردة بتمثيل جسمانى مفسر هيهنا بخلافه هناك .

كما فى المحاسن عن الرضا عن ابائه عن على (ع) فى حديث فاما كحله فالنوم واما سفوفه فالغضب واما لعوقه فالكذب .

و فى الكافى مسندا عن ابيجعفر (ع) ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد فى قلب ابن آدم .

وعن النبى(ص) انالشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع .

و فى الخبر ان موسى (ع) رآه و عليه برنس فسئله عن برنسه فقال لع به اصطاد قلوب بنى آدم .

وفى مجالس ابن الشيخ مسندا عن الرضا عن ابائه ان ابليس كان ياتى الانبياء من لدن آدم الى ان بعث الله المسيح (ع) يتحدث عندهم و يسائلهم و لم يكن باحد منهم اشدا نسامنه بيحيى بن زكريا فقال له يحيى (ع) يا ابامرة ان لى اليك حاجة فقال له انت اعظم قدراً من ان اردك بمسئلة فاسئلنى ماشئت فانى غير مخالفك فى امر تريده فقال يحيى ياابامرة احب ان تعرض على مصائدك وفخوخك التى تصطادبها بنى آدم

فقال له ابليس حبا وكرامة وواعده لغد فلما اصبح يحيى قعد في بيته ينتظر الوعد و اغلق عليه الباب اغلاقا فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته فاذا وجهه صورة وجه القرد وجسده على صورة الخنزير واذا عيناه مشقوقتان طولا واذا اسنانه وفمه مشقوقات طولا عظما واحدا بلاذقن ولالحيه وله اربعة ايدبدان في صدره ويدان في منكبه واذا عراقيبه قوادمه واصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين احمر واصفر واخضر وجميع الالوان واذا بيده جرس عظيم وعلى راسه بيضة واذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب فلما تامله يحيى (ع) قال له ماهذه المنطقة التي في وسطك فقال هذه المجوسية انا الذي سننتها وزينتها لهم فقال له ماهذه الخطوط الالوان قال هذه جميع اصناع النساء لاتزال المرئة تصنع الصنيع حتى يقع مع اونها فافتن الناس بها فقال له فما هذا الجرس الذي بيدك قال هذا مجمع كل لذة من طنبور و بربط و معزفة و طبل و ناي و صرناي و ان القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فاحرك الجرس فيما بينهم فاذا سمعوه استخف بهم الطرب فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع اصابعه ومن بين من يشق ثيابه فقال له واي الاشياء اقر لعينك قال النساء هن فخوخي ومصائدي فاني اذا اجتمعت علي دعوات الصالحين و لعناتهم صرت الى النساء فطابت نفسي بهن فقال له يحيى (ع) فما هذه البيضة على راسك قال بها اتوقي دعوة المؤمنين قال (ع) فما هذه الحديدة التي ارى فيها قال بهذه اقلب قلوب الصالحين قال يحيى (ع) فهل ظفرت بي ساعة قط قال لا و لكن فيك

حصلة تعجبني قال يحيى (ع) فماهي قال انت رجل اكول فاذا افطرت اكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلوتك وقيامك باالليل قال يحيى (ع) فانى اعطى الله عهدا انى لااشبع من الطعام حتى القاه قال له ابليس وانا اعطى الله عهدا انى لاانصح مسلما حتى القاه ثم خرج فما عاد اليه بعد ذلك الحديث و هو مروى عن طرق العامة ابسط من ذلك و الروايات فى اقسام اغوائاته وتزييناته عند انواع المعاصى و الذنوب بتصويرات عجيبة فوق حد الاحصاء و كل ذلك يشهد انها تمثلات مثالية منه لع غير مادية .

و بما تقرر يندفع ماذكره بعضهم انا اذا عملنا سيئة فلا نجد فى انفسنا الا تصورا للفعل و تصديقا و جزما و ارادة و تحريكا للاعضاء بالعضلات ولم نجد اثر المؤثر آخر يسمى شيطانا فليس الا القوى المادية لميلها الى الشهوة و الغضب و الخواطر المنبعثة فالشيطان كناية عنها والوسوسة كناية عن الخواطر من حيث وقوعها فى طريق الشر وهذا الكلام يطرد فى جانب الملك و الهامه كما لايخفى .

ووجه الاندفاع ظاهر اذ الشيطان والملك فى طول الانسان الطبيعى لافى عرضه حتى يتوجه ماذكر .

ومن اجاب عنه بان فعل الشيطان والملك الذكر والتذكير فلايلزم ما اوردوه كانه غفل عن مأت او الوف من الاخبار و الاثار فى اقسام تصرفاته لع اوانه حمل جميعها على المجاز والاستعارة وساير الصنايع الشعرية وحاشا مقام ائمة الاسلام عن ذلك .

ومن البرهان المذكور يظهر كيفية وجود الملائكة اعنى العمالة منهم ويظهر ايضا ان ذات الانسان كالمؤلف من تصرفات ملكية اوشيطانية وليس له ذات مستقل منحاز .

و من البرهان المذكور يظهر مع ملاحظة الاصول المقررة فى محلها انه لع و جنوده و انكان لهم تقدم على هذه النشأة لتقدم المثال على السادة الا انلهم تاخراما وتعيناما بالمادة اذ تحقق المعصية بانواعها يحتاج الى تعين مادى .

ومن هنا ربما يظهر وجه معنى شمول الخطاب بالسجدة لادم(ع) لابليس لع مع انه لم يكن من الملائكة و الخطاب كان متوجها اليهم وانه كان فى السماء اذ لم يكن اذ ذاك ارض متعينة بل لم يكن الاسماء نورانية طاهرة وانما تعينت الارض بعد وقوع المعصية قال سبحانه قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزائكم جزائا موفورا و قال سبحانه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين الايه فارض آدم الارض الطبيعية وارض ابليس الارض السابعة والارض مع ذلك ارض واحدة اذ الاختلاف بالبطون والظهور لايوجب الاختلاف حقيقة كماهو ظاهر قوله تعالى اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي الاية .

ومن هنا ربما يظهر معنى ما ورد مستفيضا من ائمة اهل البيت عليهم السلام كما فى الكافى وتفسيرى القمى و العياشى بطرق متعددة ان ابليس كان مع الملائكة ولم يكن منهم و كانت الملائكة ترى انه منهم الخبر وذلك

لعدم ظهور معصيته و مخالفته اذ ذاك .

ومن هنا ربمايظهر معنى تولد ذريته قال تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونی وهم لكم عدو الايه .

وفی تفسیرالعیاشی عن جابر عن النبی(ص) فی حدیث فقال ابليس لع رب هذا الذی كرمت علی و فضلته وان لم تفضل علی لم اقو عليه قال لايولد له ولد الا و لد لك ولدان الحديث وهذا على سبيل التكثير

ویؤیده مافی تفسير العياشي مسندا عن الصادق (ع) فی حدیث فقال ابوعبدالله(ع) والذی بعث محمدا للعفاريت والابالسة على المؤمن اكثر من الزنابير على اللحم الحديث .

و فی الكافی مسندا عن ابان عن الصادق (ع) قال لابليس عون يقال له تمريح اذا جاء الليل ملاء مابين الخافقين الحديث وهو حديث غريب فی معناه .

و اعلم ان مثل هذا المعنى وارد فی الملائكة ايضا و ان لم يعبر عنه فی الاخبار بالذرية و التولد ففی الكافی مسندا عن ابيجعفر (ع) قال ان فی الجنة نهرا يغتمس فيه جبرئيل كل غداة ثم يخرج منه فينتفض فيخلق الله عزوجل من كل قطرة منه ملكا الحديث وهو مروی فی حديث المعراج من طرق العامة والخاصة وهذا المعنى كثير فی روايات العبادات ايضا .

واعلم ان هذه المقابلة بين الملك والشيطان يوضح معنى ماورد ان الملك مخلوق من النور والشيطان من النار قال تعالى خلقتنی من نار

الايه حكاية عنهلع وفي الكافي مسندا عن داودالرقي عن ابيعبدالله(ع) قال انالله عزوجل خلق الملائكة من نور الخبر.

تتمة

ومما يتعلق مجال الشياطين قضية رجمها بالشهب قال‌تعالى ولقد جعلنا في‌السماء بروجاوزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان‌رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين الايات.

و في المجالس عن الصادق (ع) كان ابليس يخترق السموات السبع فلما ولد عيسى حجب عن ثلث سموات و كان يخترق اربع سموات فلماولد رسول‌الله(ص) حجب عن‌السبع كلها ورميت‌الشياطين بالنجوم الحديث ومضمون الخبر مروى مشهور بين الفريقين.

و في‌العلل مسندا عن ابى‌بصير عن ابى‌عبدالله (ع) قال انما كان بلية ايوب التى ابتلى بها فى الدنيا لنعمة انعم‌الله بها عليه فادى شكرها وكان ابليس فى ذلك الزمان لا يحجب دون العرش فلما صعد عمل ايوب (ع) باداء شكر النعمة حسده ابليس لع الخبر.

و يظهر منه ان عروجه لع الى السموات لم يكن منحصرا فى سماع الاخبار عن الملائكة و قد ذكروا فى معنى هذه المسئلة بعض الوجوه منها ماذكره صدر المتألهين قده فى‌المفاتيح من‌اراده فليرجع اليه.

والذى يظهر من معناها بما يناسب البناء على ما مر من الاصول

انيقال ان السموات السبع والارضين السبع ماكانت منحازة فى زمن الانبياءالسابقين كل الانحياز ولاكانت شرايعهم مستوعبة للاعمال النازلة من السموات غير ما نزلت مما فوق السماء السابعة كاصل التوحيد و الولاية و النبوة و بعض مما دونها بحسب استعداد الامم الماضية فلما تولد المسيح عيسى بن مريم (ع) منع ابليس لع من ثلث سموات و هى السابعة و السادسة والخامسه و انحازت اذذاك ثلث من الارضين و استوعبت شريعته بتكميل شريعة موسى (ع) من الاعمال بنسبة ذلك ثم لما تولد محمد صلى‌الله عليه و آله منع لع ببركته (ص) من جميع السموات السبع وانحازت بذلك جميع الارضين السبع وقذفت الشياطين بالشهب وانقطعت الكهانة و استوعبت شريعته المقدسة جميع الاعمال النازلة من السموات السبع فافهم انكنت من اهله انشاءالله.

واعلم ان الشياطين غيرمنحصرة فى الجن بل ربما الحق بهم شياطين من الانس ايضا وهو الذى يقتضيه الاصول السابقة وهو الفناء فى الشيطان قال تعالى شياطين الانس والجن وقال تعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس.

و فى قصص الراوندى مسندا عن عبدالعظيم الحسنى (ع) عن على بن محمد العسكرى فى حديث ظهور ابليس لع لنوح (ع) فقال نوح (ع) تكلم فقال ابليس لع اذا وجدنا ابن آدم شحيحا او حريصا او حسودا او جبارا او عجولا تلقفناه تلقف الكرة فان اجتمعت لنا هذه الاخلاق سميناه شيطانا مريدا.

هذا آخر ما اردنا ايراده من هذه المباحث على مايسمح به الوقت ويسعه الباع والله المستعان واليه المصير والحمدلله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ٠

وكان الفراغ ليله الجمعة منتصف المحرم سنة ١٣٥٧

و فرغ عن كتابته في العشر الأوسط من شهر

الصفر سنة ١٣٦١ هجرية قمرية

ووقعت الكتابة في قرية شادآباد من اعمال بلدة تبريز

رسالة الانسان قبل الدنيا

هذه رسالة الانسان قبل الدنيا و هى الرسالة الاولى
من كتاب الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على اوليائه المقربين سيما محمد وآله الطاهرين .

هذه رسالة الانسان قبل الدنيا نشير منها الى ماجرى على الانسان قبل هبوطه و وقوعه فى ظرف الحيوة الدنيا على ما دبره العليم القدير على ماينتجه البرهان ويستفاد من ظواهر الكتاب والسنة و الله المعين .

فصل ١

قدتبين بالبرهان فى الفلسفة الاولى ان العلية تقتضى قيام المعلول فى وجوده وكمالاته الاولية و الثانوية بالعلة و ان ذلك كله من تنزلات العلة دون النواقص و الجهات العدمية .

وايضا ان عالم المادة مسبوق الوجود بعالم آخر غير متعلق بالمادة فيه احكام المادة و هو علته و بعالم آخر مجرد عن المادة و احكامها هو علة علته ويسميان بعالمى المثال والعقل وعالمى البرزخ و الروح.

ويستنتج من ذلك ان الانسان بجميع خصوصيات ذاته و صفاته وافعاله موجود فی عالم المثال من غير تحقق اوصافه الرذيلة وافعاله السيئة ولوازمه الناقصة و جهاته العدمية فهو كان موجودا هناك فی اهناء عيش واقرّعين فی زمرة الطاهرين وصفّ الملئكة المقدسين مبتهجا بمايشاهده من نور ربه ونورانية ذاته وتشعشع افقه ملتذا بمرافقة الابرار و مسامرة الاخيار لا يمسه فيها تعب ولا لغوب و لا يتكدر بكدورات النواقص و العيوب لاحجاب بينه وبين مايشتهيه ولاالم ولاملال يعتريه.

فصل ۲

وظواهر الكتاب و السنة تدل على ما مر قال تعالى الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ففرق سبحانه بين الخلق والامر فعلمنا ان الخلق غير الامر بوجه و ليس الامر مختصا بآثار اعيان الموجودات حتى تختص الاعيان بالخلق و آثار الاعيان بالامر لقوله سبحانه قل الروح من امر ربی فنسب سبحانه الروح وهو من الاعيان الى الامر ، وقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . افادان امره هو ايجاده بكلمة كن سواء كان عينا او اثر عين وحيث ليس هناك الاوجود الشیء الذی هو نفس الشیء تبين ان فی كلشیء امرا الهيا .

ثم قال سبحانه انا خلقناكم من طين لا زب وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه وغيرذلك من الايات المفيدة ان الخلق بالتدريج .

و قد قال سبحانه **و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر** و قال **ماخلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة** وقال **ما امر الساعة الا كلمح البصر** فافاد عدم التدريج فى الامر.

تبين بمجموع الايات ان الامر امر غير تدريجى بخلاف الخلق وانكان الخلق ربما استعمل فى مورد الامر ايضا.

و بالجملة ففيما يتكون بالتدريج و هو مجموع الموجودات الجسمانية و آثارها وجهان فى الموجود الفائض من الحق سبحانه وجه امرى غير تدريجى ووجه خلقى تدريجى و هو الذى يفيده لفظ الخلق من معنى الجمع بعد التفرقة.

وقد افاد قوله سبحانه **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن** الاية ان الامر سابق على الخلق و ان الخلق يتبعه ويتفرع عليه و هو الذى يفيده قوله سبحانه **بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون** فعمل الملئكة وهم المتوسطون فى الحوادث بواسطة الامر.

فتحصل من الجميع ان فوق عالم الاجسام و فيه نظام التدريج عالما آخر يشتمل على نظام موجودات غير تدريجية اى غير زمانية يتفرع كل موجود زمانى من مظروفات نظام التدريج على ما هنا لك من الموجودات الامرية و هى محيطة بها موجودة معها قائمة عليها كما يفيده (فالتدبير وهو الاتيان بالامر دبر الامر وعقيبه يصدر من العرش اولا ثم يتنزل الامر من سماء الى سماء و قد اوحى الى كل سماء ما يختص بها من الامر فان الامر كلمته سبحانه فالقائه الى شيء وحى منه اليه ولا يزال

يتنزل سمائا سمائا حتى ينتهى الى الارض ثم يأخذ فى العروج فهذا هو المتحصل من الايات) قوله سبحانه ثم استوى على العرش يدبر الامر وقوله سبحانه ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه و قوله سبحانه ثم استوى الى السماء الى ان قال تعالى فقضيهن سبع سموات فى يومين و اوحى فى كل سماء امرها و قوله سبحانه خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن الايات .

وهى مع ذلك تفيد ان الامر فى تنزله ذو مراتب فانه سبحانه اخبر عن ان التنزل بينهن فللتنزل نسبة الى كل واحدة منها لوقوعه من عال الى سافل حتى ينتهى الى آخرها فيتجاوزها الى الارض وهو قوله سبحانه يدبر الامر من السماء الى الارض وهذه حال الامر بعد تقديره بالقدر والمقادير ومحدوديته بالحدود والنهايات كما قال سبحانه وكان امر الله قدرا مقدورا وهناك وجود امرى غير محدود ولا مقدر ينبىء عنه قوله سبحانه وان من شىء الاعندنا خزائنه وما ننزله الابقدر معلوم الايه حيث افاد ان لكل شىء من الاشياء وجودا مخزونا عنده سبحانه و ان تنزله انما هو بقدر معلوم والاية حيث تفيد ان التنزل يلازم التقدير بالمقدار افادت ان الخزائن التى من كلشىء عنده سبحانه وجودات غير محدودة ولامقدرة فهى من عالم الامر قبل الخلق .

وحيث عبر سبحانه بلفظ الجمع المشعر بالكثرة فلابد ان يكون الامتياز بين افرادها بشدة الوجود وضعفه و هو المراتب دون الامتياز

الفردى بالمشخصات مثل الافراد من نوع واحد والا وقع الحد والقدر وقد انبأ سبحانه ان لاقدر قبل التنزل ففى هذا القسم من الموجود الامرى الغير المحدود ايضا مراتب واقعة.

وليس التنزل عن هناك كيفما كان بالتجافى وتخلية المكان السابق بالنزول الى اللاحق لقوله سبحانه **ماعندكم ينفدو ماعندالله باق الايه** وهذه الموجودات الغير المحدودة حيث لاحدلها ولابينها فهى موجودة جميعا بوجود واحد على كثرتها و مشتملة على جم الكمالات التى فى عالمها ولاخبر ولا اثر هناك عن الاعدام و النواقص التى تفيدها المادة والامكان او الحد والفقدان.

ولاتزال تتنزل عن مرتبة الى مرتبة حتى تشرف على عالم الاجسام وهى فى جميع مراحلها مشتملة على جمل الكمالات مبراة عن النواقص غير انها فى كل مرتبة بحسب مايقتضيه حال المرتبة من قوة الموجود و ضعفه ولاحجاب ولاغيبوبة بل اشعة الكل واقعة من الكل على الكل و منعكسة من الكل الى الكل فهى انوار طاهرة و لذلك وصف سبحانه الروح الذى هو من عالم الامر بالطهارة والقدس فقال **وايدناه بروح القدس** وقال قل(ص) **نزله روح القدس** وحكى سبحانه ذلك عن الملئكة فقال سبحانه **و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك و نقدس لك** الايه اى نظهر قدسك و طهارتك عن النواقص بذواتنا و افعالنا حيث ان ذواتنا بامرك و افعال ذواتنا بامرك كما يومى الى جميع

المرحلتين قوله سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بامره يعملون الايات فالاية الثانية فرع للاولى فهو اكرام ذاتي لهم هذا وليس في اعمالهم الا حيثية الامر اذ هو المصحح للثناء عليهم و اكرامهم منه سبحانه و الا ففي كل فعل من كل فاعل امر منه سبحانه كما يستفاد من قوله سبحانه ذلكم الله ربكم خالق كل شيء وقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون الايات فتخصيصه سبحانه عملهم بالذكر بانه بامره سبحانه ليس الا لان عملهم لا جهة فيه الا جهة الامر و كذلك ذواتهم ويشير اليه آيات اُخر كقوله تعالى قل كلا يعمل على شاكلته وقوله كما بدأنا اول خلق نعيده وقوله و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لا يخرج الا نكدا الى غير ذلك من الايات .

وايضا فان الملائكة لم يقل اتجعل فيها من يفسد الخ و لم يستفد صدور هذه المعاصى الا بالاستفادة من قوله انى جاعل فى الارض خليفة اه ان الخلافة و هى قيام الشيء مقام آخر و نيابته عنه تقتضى اتصاف الخليفة باوصاف الحق سبحانه و هى محمودة مقدسة لا يصح فى قباله دعويهم انا نسبح بحمدك و نقدس لك فلم يبق للاستناد الا الجعل فى الارض فمن ها فهموا انه سيؤثر فى افعاله و سيتلون بكدورة الارض وظلمات الطين ذاته ولذلك عبروا عن الخليفة بالموصول والصلة فقالوا من يفسد فيها ويسفك الدماء وهو الاسم فيكون مقابلته بدعويهم انا نسبح بحمدك و نقدس لك مقابلة بالاسم فهم طاهرون مقدسون فى اسمائهم اى ذواتهم من حيث الوصف و هو المطلوب فافهم .

ولنرجع الی ما کنافیه وبالجملة فعالم الامر عالم القدس والطهارة و سمی بالامر لکونه لایحتاج فی وجوده الی ازید من کلمة کن ومن هنا ربما یعبر سبحانه عنه بالکلمة کقوله و کلمته القاها الی مریم وروح منه کما یعبر عن القضاء المحتوم بالکلمة کقوله و کذلك حقت کلمة ربك علی الذین کفروا انهم اصحاب النار و قال ولقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین انهم لهم المنصورون و ان جندنا لهم الغالبون الایات والقضاء من عالم الامر عنه وقد اطلق علیه الامر کثیرا کقوله سبحانه اتی امر الله و قوله و کان امر الله مفعولا و قوله والله غالب علی امره الی غیر ذلك و قال سبحانه لا تبدیل لکلمات الله الایه اذ التبدیل فرع قبول التغیر الذی هو من لوازم المادة و القوة و عالم الامر کما عرفت مبری منها و قال سبحانه قل لو کان البحر مدادا لکلمات ربی لنفد البحر قبل ان تنفد کلمات ربی ولو جئنا بمثله مددا و قال سبحانه ولو ان ما فی الارض من شجرة اقلام والبحر یمده من بعده سبعة ابحر مانفدت کلمات الله الایه.

فتبین من جمیع ذلك ان عالم الامر مؤلف من عوالم کثیرة مترتبة بعضها لاتحدید ولاتقدیر لموجوداتها غیر انها معلولة له سبحانه بل هی موجودات طاهرة نوریة متعالیة دائمة غیر نافدة و لا محدودة و بعضها یشتمل علی موجودات نوریة طاهرة غیر نافدة لکنها محدودة و یشتمل الجمیع علی جمیع کمالات هذه النشأة الجسمانیة و لذایذها ومزایاها بنحو اعلی و اشرف غیر مشوب بنواقص المادة و اعدامها و کدوراتها

و آلامها و لا حجاب يحتجب الحق سبحانه به عنها كل ذلك بحسب وجودهم ومراتب ذواتهم .

ثم ان الحق سبحانه بين ان الروح من هذا العالم فقال تعالى **و يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا** ومما مر من البيان تعرف ان قوله سبحانه قل الروح من امر ربى يشتمل على بيان الحقيقة وليس استنكافا عن الجواب والبيان فبين سبحانه ان الروح موجود امرى غير خلقى كما يؤمى اليه قوله تعالى **ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين** فظهر بذلك انه مشارك مع ساير موجودات عالم الامر فى شئونهم واوصافهم واطوارهم ثم قال سبحانه **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** فبين ان الروح كان غير البدن وانه انما سكن هذه البنية بالنفخ الربانى وهبط اليه من مقامه العلوى ثم قال سبحانه **كما بدانا اول خلق نعيده** .

فبان بذلك ان هذا الطائر القدسى سيترك هذه البنية المظلمة بجذب ربانى كما سكنها اولا بنفخ ربانى و قد قال سبحانه **ما خلقنا السموات و الارض وما بينهما الا بالحق و اجل مسمى** ثم قال سبحانه **و قالوا ائذا ضللنا فى الارض ائنا لفى خلق جديد** زعما منهم انهم هم الابدان وهى تتلاشى وتضل فى الارض فقال سبحانه **بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون** الاية .

فبين سبحانه ان الذى يلقى الله تعالى ويتوفاه ملك الموت اى يأخذه

ويقبضه هو روحهم وهو نفسهم المدلول عليها بلفظ كم فما يحكى عنه الانسان بلفظ انا هو روحه وهو الذى يقبضه الله ويأخذه بعد مانفخه وهو غير البدن ثم قال سبحانه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال سبحانه فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فبين ان للروح مع ذلك اتحاد اما مع البدن فيهذه الحيوة الدنيا فهو هو ويشير اليه مافى العلل مسندا عن عبدالرحمن عن ابيعبدالله (ع) قال قلت لاى علة اذا خرج الروح من الجسد وجد له مسا وحيث ركبت لم يعلم به قال لانه نما عليها البدن (ص) وقال سبحانه ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقال سبحانه قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الاية .

فبين سبحانه انه ملك الروح بعد توحيده مع البدن واعطائه جوارح البدن واعضائه قوى سامعة وباصرة ومتفكرة عاقلة وتم له اذذاك جميع الافعال الجسمانية التى ما كان يقدر على شيء منها لولا هذا الاعطاء والجعل وهيأ سبحانه له جميع التصرفات الجسمانية فى عالم الاختيار وسخر له مافى السموات والارض وسخر له الشمس والقمر دائبين وسخر له الليل والنهار قال سبحانه مسخرات بامره فالتسخير والتدبير للامر وبالامر دون الخلق وانما للخلق وهو مجموع عالم الاجسام الالية والاداتية قال تعالى وآتاكم من كل ماسئلتموه وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها الاية .

فهذا اول الفروق التى يفترق بها الروح عن الملئكة وهما جميعا

من عالم الامر فالروح موجود مجرد محلى بحلل الكمالات الحقيقية مبرى عن القوة والاستعداد و المنقصة و العدميات منزه عن الاحتجاب بحجب الزمان والمكان ساير فى مراتب الامر ومدارج النور وهو مع ذلك يقبل ان ينزل عن عالمه الى هذا العالم فيتحد بالاجسام ويتصرف فى جميع الانحاء الجسمية والجهات الاستعدادية و الامكانية بالاتحاد من غير واسطة بخلاف الملئكة فانهم محدود و الوجود بعالم الامر لايجاوزون افق المثال .

ثم انه سبحانه قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار و هم فيها خالدون الايه .

فبين ان هبوطهم الى الارض يوجب انشعاب الطريق الى شعبتين شعبة السعادة وشعبة الشقاوة وتفرقهم فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم قال سبحانه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار .

فبين ان طريق الشقاوة فى الحقيقة هلاك وبوار فهناك منتهى سفرهم من عالم القدس واما طريق السعادة فهو الحيوة الجارية الدائمة قال تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقال سبحانه ماعندكم ينفد وماعند الله باق وقال سبحانه و ان الدار الاخرة لهى الحيوان و قد قال تعالى كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة .

فبين ان الفريقين يعودان على ماكانا عليه قبل النزول و الهبوط وتبين به ان اصحاب الشقاء يعيشون ويحيون بعدالعود عيشا فى صورة البوار وحيوة فى صورة الموت قال سبحانه ثم لايموت فيها ولا يحيى و ان اصحاب السعادة يعودون الى ماكانوا عليه من الحيوة الطيبة قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة وهوالذى يوجرون باعمالهم الناشئة عن ذواتهم السعيدة و يزيدهم الله من فضله ليجزيهم الله احسن ماعملوا و يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب فغاية هذاالسير والسرى والهبوط والنزول من فريق الروح هلاك بعضهم فى الدنيا ورجوع بعضهم الى مقامه الشامخ الاول مع مزايا اكتسبها قال تعالى قل الله خالق كلشىء وهوالواحدالقهار انزل من السماء ماءًفسالت اودية بقدرهافاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية اومتاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاءًا و اما ماينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال الايات .

وهذا هوالفرق الثانى بين الروح والملئكة فالروح بواسطة نزوله الى هذه النشأة و اقامته فيها يقع على مفترق طريقين و منشعب خطين غاية احدهما البوار و الهلاك و غاية الاخر التمكن فى معارج العليا و جنة الخلد ومقام القرب والملئكة بخلاف ذلك فليس لهم الاخط واحد وهو خط السعادة .

و اعلم انا قد فصلنا القول فى رسالة الافعال فى باب السعادة

و الشقاوة ان محتد هذه المعانى و منشعب السعادة و الشقاء قبل نشأة المادة هذا .

ثم انه سبحانه قال فى وصف المؤمنين اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فعلمنا ان هناك روحا آخر غير ما يشترك فيه جميع افراد الانسان يختص به المؤمنون وهو المسمى بروح الايمان و قال سبحانه فانزل الله سكينة على رسوله و على المؤمنين و الزمهم كلمة التقوى فعبر عنه بكلمة التقوى وبين ان هذا الروح يلازم التقوى .

وفى الكافى مسندا عن ابى بصير عن ابيعبدالله (ع) قال ان للقلب اذنين فاذاهم العبد بذنب قال له روح الايمان لاتفعل و قال له الشيطان افعل واذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان الحديث .

ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به فعبر عنه بالنور وبين ذلك فى آيات آخر .

ثم قال سبحانه يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق و قال سبحانه و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم الايات .

فبين ان هناك روحا آخر يختص به الرسل (ع) وهو نور يهتدى به الغير كما ان روح الايمان نور يهتدى به الانسان فى نفسه .

و قوله ماكنت تدرى الخ يبين ان هذا الروح مهيمن على روح الايمان حيث يفيد علم الكتاب و نور الايمان فظهران اختلاف الروحين انما هو بشدة الوجود وضعفه وليس بالاختلاف الشخصى .

و قوله و انك لتهدى الى صراط مستقيم اه اشارة الى ان بينه و بين الروح الانسانى اتحادا فالاختلاف بينهما ايضا بالشدة و الضعف دون الشخص فما هناك الا روح واحد .

ثم قال سبحانه **ينزل الملئكة بالروح من امره** و قال سبحانه **و هم بامره يعملون** الاية فبين بذلك ان الروح ارفع منزلة من الملئكة وانه يتحد معهم قائما عليهم كما يشير اليه قوله سبحانه **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك** وقال سبحانه **نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين** وقال سبحانه **قل نزله روح القدس** الايات.

فعبر سبحانه فى كلامه تارة بالروح و تارة بجبرئيل (ع) و هو يعطى الاتحاد الذى ذكرناه و انت تعلم ان هذا غير الاتحاد و الحلول المقدس عنه ساحة الوجود .

وفى البصاير مسندا عن الحسن بن ابراهيم عن الصادق (ع) قال سئلته عن علم المعالم فقال ان فى الانبياء والاوصياء خمسة ارواح روح البدن وروح القدس و روح القوة و روح الشهوة و روح الايمان وفى المؤمنين اربعة ارواح انما فقدوا روح القدس روح البدن و روح القوة وروح الشهوة وروح الايمان وفى الكفار ثلثة ارواح روح البدن وروح القوة و روح الشهوة ثم قال (ع) وروح الايمان يلازم الجسد مالم يعمل

بكبيرة فاذا عمل بكبيرة فارقة الروح و روح القدس من سكن فيه فانه لايعمل بكبيرة ابدا .

و فى تفسير العياشى عن الصادقين عليهماالسلام فى قوله تعالى يسئلونك عن الروح الايه انما الروح خلق من خلقه له بصر وقوة وتاييد يجعله فى قلوب المؤمنين و الرسل الحديث و فيه اشعار ما باتحاد الروحين .

ويؤيده مارواه العياشى ايضا فى الاية عن احدهما (ع) سئل عن الروح قال التى فى الدواب والناس قبل وماهى قال هى من الملكوت من القدرة .

وفى تفسير القمى عن الصادق انه سئل هذه الاية فقال خلق اعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله (ص) و هو مع الائمة هو من الملكوت .

وفى تفسير العياشى عنه (ع) انه سئل عنها فقال خلق عظيم اعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد (ص) ومع الائمة يسددهم وليس كلما طلب وجد الحديث ويستشم منه ان الروح المؤيد به الرسل (ع) ايضا ذومراتب .

وفى تفسير القمى عن الصادق (ع) ان الروح اعظم من جبرئيل وان جبرئيل من الملئكة و ان الروح هو خلق اعظم من الملئكة اليس بقول الله تبارك وتعالى تنزل الملئكة والروح .

وفى تفسير القمى عن الصادق (ع) وفى الكافى عن الكاظم (ع)

نحن والله الماذونون لهم يوم القيمة والقائلون صوابا قيل ماتقولون اذا تكلمتم قالا نمجد ربنا ونصلى على نبينا ونشفع بشيعتنا و لا يردنا ربنا الحديث يشير ان عليهما السلام الى قوله تعالى يوم يقوم الروح و الملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و قال صوابا الاية وفيه من الاشارة الى توحيد الارواح مالايخفى .

وهذا هو الفرق الثالث بين الملئكة والروح فالروح من الامر وهو ارفع درجة من الملئكة ومهيمن عليهم والله اعلم .

وقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا الاية مع كون الملئكة قائمة بالروح ومتحدا ذاتا و فعلا به كما مر يعطى انهم انوار الهية و ح فيتضح اتضاحا ما قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الايه و قوله سبحانه لهم اجرهم و نورهم الاية وقوله سبحانه مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى الى ان قال تعالى نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء و لنقتصر على هذا المقدار من الكلام والله الهادى .

خاتمة

تناسب مامر من الكلام قال سبحانه و اذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون

و علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملئكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا الاما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبئهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ماتبدون و ماكنتم تكتمون .

قوله سبحانه قالوا اتجعل فيها اه ظاهر فى انهم قايسوا خلافة خليفة الارض على خلافتهم السماوية وذكروا ان الخلافة السماوية خلافة تامة تظهر تنزه الحق سبحانه وقدسه بخلاف خلافة الارض فان فيها ظهور الفساد وسفك الدماء وبالجملة السيئات التى اخبر الحق سبحانه فى كتابه بانها ليست منه وذلك يوجب تغيرا فى حقيقة الخلافة و عدم بقائه على قدسه حتى يحكى كمال الحق بما يليق بقدس ذاته سبحانه و ذلك كان كالاستفسار منهم لكيفية هذه الخلافة مع هذه النواقص دون الاعتراض عليه وتخطئته سبحانه .

والدليل على ذلك قولهم انك انت العليم الحكيم اه وقوله تعالى قال انى اعلم مالا تعلمون اه بيان لنقص خلافتهم بان اسم العلم لم يظهر فيهم تمام الظهور وليس من قبيل الاسكات كما يقوله احدنا لمن ينكر شيئا من امره انى اعلم مالا تعلم .

ويشرح ذلك قوله سبحانه وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم اه يظهر من السياق ان هذه الاسماء كلها موجودات حية عالمة عاقلة وانهم عين الاسماء التى علمها سبحانه آدم (ع) كما ان الاسم عين المسمى

،

وان الذى علمه هو جميع الاسماء وهى حية عالمة فالمراد بالاسماء غير الالفاظ قطعا بل الذوات من حيث اتصافها بصفات الكمال وهى ظهوراتها التى يتفرع على ذواتها يدل عليه قوله انبئونى باسماء هؤلاء وقوله فلما انبئهم باسمائهم اه و ح[1] فينطبق على قوله سبحانه **وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** فهؤلاء الاسماء هى خزائن الغيب التى هى غير محدودة ولامقدرة وفيها كل شىء.

ويظهر من هنا ان هؤلاء الملئكة المخاطبين انما كانوا هم الذين لايرقى وجودهم عن عالم التقدير والحدود ويشير اليه قوله تعالى انى اعلم مالاتعلمون اه وقوله انى اعلم غيب السموات والارض اه.

و بهذا يتضح ما فى بعض الاخبار ان لله ملئكة لم يشعروا ان الله خلق عالما ولا آدم.

وما فى اخبار آخر ان الملئكة لما عرفوا خطأهم فى قولهم لاذوا بالعرش ثم قال سبحانه فى موضع آخر من كتابه **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو** و المفاتح هو الخزائن او مفاتيحها فعلم آدم انما هو علمه سبحانه المحجوب عن الملئكة وهذا لايتحقق بغير الولايه كما حقق فى محله فالذى صنعه سبحانه هو انه وضع فى جبلة آدم الولاية والتخلق بجميع الاسماء و الصفات فى جميع الاسماء و قد حجب عنه الملئكة

١- والشاهد على ذلك انه سبحانه كرر قوله انى اعلم مالاتعلمون بتبديله بقوله انى اعلم غيب السموات والارض اه فللسموات و الارض غيب كما ان لهما شهادة والاسماء التى علمها سبحانه آدم (ع) هم غيبهما فافهم منه

ولم يصيروا بعد انباء آدم اياهم الاسماء مثل آدم والا لم يصح الجواب الذى اجاب به سبحانه عنهم وهو واضح .

ثم اعلم انه سبحانه لم يذكر قصة هذه المخاطبة فى كتابه فى ازيد من موضع واحد من سورة البقرة بل بدل هذا التفصيل بنحو قوله سبحانه **واذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** اه فيظهر ان قوله ونفخت فيه من روحى اه يشتمل على اجمال مايفصله قوله سبحانه و علم آدم الاسماء الخ و يظهر منه حقيقة هذا الروح الذى نفخه سبحانه ووجه تخصيصه بنفسه بقوله من روحى اه ولم يرد فى القرآن اضافة الروح اليه سبحانه الا فى قصة آدم والباقى على غير هذا النحو من الاضافة كقوله سبحانه **فارسلنا اليها روحنا** و قوله **نزل به الروح الامين** و قوله **و ايدناه بروح القدس** الايات و قوله سبحانه **واعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون** اه يشعر بانه كان هناك امر ما مكتوم و قوله سبحانه بعد ذلك **واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى و استكبر وكان من الكافرين** الايه حيث عبر بقوله وكان من اه كالبيان لهذا الامر المكتوم و لذا ورد فى الروايات كما فى تفسير القمى وغيره ان المراد مما كانوا يكتمون ما كان يضمره ابليس من عدم السجدة لادم (ع) .

و قد بينا فى رسالة الوسائط ان هذه النشأة المتقدمة على الدنيا لايتمايز فيها السعادة والشقاوة وانما موطن التمايز ومبدئه الدنيا ولذلك فحال ابليس هناك حال ساير الملئكة و قد شمله الخطاب بالسجود كما

يفيده الاستثناء ثم تميز ابليس من الملئكة وصار رجيما و يستشعر ذلك من قوله سبحانه وقلنا يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة و كلامنها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الارض مستقر و متاع الى حين الى ان قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يا تينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون و الذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الايات .

فقوله قلنا اهبطوا منها الخ و قال سبحانه فى موضع آخر قلنا اهبطا اه .

وفى رواية القمى عن الصادق (ع) ولم يدخلها ابليس الحديث

و قال سبحانه بعد حكاية ابائه عن السجدة قال اخرج منها فانك رجيم اه يوجب اشكالا فى كيفية وسوسته لع فى الجنة وهو ممنوع من وروده ووسوسته لادم وهو معصوم وينحل الاشكال بما ذكرناه من عدم تميز السعادة والشقاوة قبل الهبوط فافهم .

ويظهر منه ان عصيان آدم لم يكن بالعصيان المنافى لعصمته (ع) وانما هو عصيان جبلى ذاتى وهو اختياره الهبوط الى الدنيا وهو ترك عالم النور والطهارة واختيار الظلمة والكدورة واليه يلمح قوله سبحانه فتكونا من الظالمين وهذا معنى قوله سبحانه وعصى آدم ربه فغوى الاية والدليل عليه قوله سبحانه بعده ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى

الايه و قد قال سبحانه **و الله لا يهدى القوم الظالمين** و لو كانت معصيته (ع) معصية فسق لكانت جنته دار اختيار فكانت من دار المادة والظلمة فكانت فى الارض دون السماء على ماسيجىء.

وقوله سبحانه قلنا اهبطوا منها الى قوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين اه سياق الكلام يعطى ان الهبوط انما كان من غير الارض وهو السماء الى الارض وهو ظاهر قوله فى موضع آخر **فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** الاية و يدل عليه قول على (ع) فى احتجاجه على الشامى حين سئله عن اكرم واد على وجه الارض فقال(ع) له واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء.

وفى النهج فى خطبة له(ع) يصف فيها قصة آدم (ع) ثم بسط الله سبحانه له فى توبته و لقيه كلمة رحمته و وعده المرد الى جنته فاهبطه الى دار البلية وتناسل الذرية الخطبة.

يشير(ع) بقوله ووعده اه الى قوله سبحانه فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع الخ وقوله ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى الايه.

ومن الممكن ان يكون قوله سبحانه قلنا اهبطوا منها جميعا الخ تلميحا الى ان ذرية آدم مشاركون مع ابيهم فى الخروج عن الجنة بعد دخولها.

ويؤيد ذلك بقوله تعالى فاما ياتينكم منى اه فان ابليس يائس من رحمته وقدقال فيه **قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين** اه فلايبقى للخطاب الا آدم وزوجته و الخطاب

لهم انما هو بالتثنية دون الجمع .

و ما فی بعض الروایات ان فی الهابطین حیة کان ابلیس القی وسوسته الیهما فی الجنة بواسطتها لایصحح الخطاب بالجمع فان الحیة وهی غیر مکلفة بتکلیف آدم وزوجته خارجة عن الخطاب قطعا فلیس الا ان الحکم لادم وزوجته وذریتهما وقدقال سبحانه فی موضع من کتابه ولقد خلقناکم ثم صورناکم ثم قلنا للملئکة اسجدوا لادم الایة .

وکیف کان فظاهر سیاق الایات ان دخولهما الجنة کان بعد تسویتهما والنفخ والسجود وهو المتحصل بل الصریح من الروایات .

و مما فی بعض الروایات و هی روایتان او ثلثة انه سبحانه نفخ فی خلق آدم یوم الجمعة وادخله الجنة بعد الظهر من یومه ذلک ومالبث فی الجنة الا ست ساعات من النهار اوسبعا حتی خرج منها .

و یظهر من الجمیع ان ذلک کان حالا برزخیا له و لزوجته (ع) وتمثل لهما الشجرة المنهیة فیها فاکلا منها و ظلما انفسهما و کان ذلک منهما هبوطا الی الارض وحیوة فیها وظهور سوآتهما .

وورد فی الخبر انها کانت شجرة الحنطة والسنبلة ، و ورد ایضا انها کانت تحمل جمیع الاثمار کسایر اشجار الجنة و ورد انها کانت شجرة علم محمد وآله وولایتهم .

وهذه التعبیرات جمیعها مستقیمة واضحة عند الممارس المستانس بالتعبیرات المتشابهة التی وردت فی الشرع .

وعلی ای حال کانت شجرة کان اصلها یستوجب الهبوط الی الدنیا

وحيث ان الغاية فيها هى التحقق بعلم الاسماء كلها كما يتبين من سابق الايات وهى الولاية فلذلك عبر عنها تارة بشجرة الحنطة وتارة بشجرة تحمل كل ثمرة وتارة بشجرة علم محمد وآله.

و يمكن ان يكون شجرة الحنطة و الانسان يعيش بها فيؤل الى تمثل الحيوة الدنيا له(ع) ويؤيده قضية ظهور السوآة و بدوها وورى عنهما و الله العالم.

و يمكن ان يكون الى ما مر الاشارة بقوله سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا الايه.

فقوله سبحانه انه كان ظلوما اه يحكى عن ظلم سابق و جهالة سابقة فموطن هذا العرض ان كان هو الوجود الدنيوى فالظلم فى نشأة سابقة و الامانة هى التكليف كما يفسره به بعض الروايات و انكان قبل الوجود الدنيوى فالظلم قبلها بطريق اولى والامانة هى الولاية كما يفسره بعض آخر من الروايات و كلاهما صحيحان فان الدنيا جارية على ما جرى عليه الامر قبلها من سعادة و شقاوة.

وقوله سبحانه بعده ليعذب الله المنافقين والمنافقات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات و كان الله غفورا رحيما الايه بيان لغاية عرض الامانة وقد قسم الانسان بقسمين مؤمن و منافق اشعارا بان الكل حاملون فمنهم من حمله ظاهرا و باطنا و منهم من حمله ظاهرا لا باطنا و معلوم ان ظاهر تلك النشاة باطن فيهذه النشأة و بالعكس فالكافر فى

هذه النشأة كافر فی ظاهره لكنه معترف بجبلته و فطرته فطرة الله التی فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و بالجملة فينطبق الايتان علی قضية اخذ الميثاق و قد شرحناها بعض الشرح فی رسالة الافعال وهی الرسالة الثالثة من كتاب التوحيد .

تم الكلام ولله الحمد وعلی رسوله وآله الصلوة والسلام

ليلة الاحد لعشرين خلون من شهر صفر الخير وهی

ليلة الاربعين المقدسة من سنة واحد وستين

و ثلثماة و الف قمرية من الهجرة

ووقعت الكتابة فی قرية شاداباد من اعمال بلدة تبريز

رسالة الانسان فى الدنيا

هذه رسالة الانسان فى الدنيا و هى الرسالة الثانية
من كتاب الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على اوليائه المقربين سيما محمد و آله الطاهرين .

هذه رسالة الانسان فى الدنيا نضع فيه اجمال القول فى مايصير اليه حال الانسان فى وروده فى دار الحيوة الدنيا بعد ما كان عليه قبل الدنيا مما عرفنا ملخصه فى رسالة الانسان قبل الدنيا والله سبحانه هو المستعان.

فصل ۱

اعلم ان المعانى التى عندنا و هى صور علومنا الذهنية على قسمين :

احدهما المعانى التى تقع على الموجودات الخارجية فى نفسها مطابقة بها ومعها بحيث انها فى نفسها كك سواء انتزعنا منها تلك المعانى وتعقلناها واوقعنا عليها هذه المعانى اولا وذلك كمعنى الارض والسماء و الكواكب و الانسان فان مطابقات هذه المعانى موجودة فى الخارج

فی نفسها سواء انتزعنا منها هذه المعانی و تعقلناها فی اذهاننا و اوقعنا المعانی المنتزعة علیها اولا وهذه المعانی هی التی نسمیها بالحقایق .

وثانیهما المعانی التی نوقعها علی الامور الخارجیة لکنها بحیث لواغمضنا و قطعنا النظر عن التعقل و التصور لم یکن لها فی الخارج تحقق ولالها وقوع وذلک کمعنی الملک مثلا فانه معنی به یتمکن المالک من انحاء التصرفات فی العین المملوک من غیر ان یزاحمه فیها احد من نوعه و کمعنی الرئاسة فانها معنی بها یتمکن الانسان الرئیس من ادارة الامور فی حوزة ریاسته وجلب طاعة مرئوسیه لکنا اذا تأملنا فی مورد هذین المعنیین لم نجد هناک فی الخارج الا انسانا و عینا خارجیة مثلا ولم یکن لولا تعقلنا وتصورنا فی الخارج عین و لااثر من معنی الملک والمالک والمملوک والرئاسة والرئیس و المرئوس و لذلک نری فی هذا القسم من المعانی من التغیر والتبدل والاختلاف بحسب اختلاف انظار العقلاء مالا یتحقق ذلک فی قسم الحقایق البتة فتری امة من الناس تعقد علی ملکیة شیء لاتعقد علیها آخرون ویذعن برئاسة انسان لایذعن بها فیه آخرون والحقایق لایمکن فیها ذلک فالانسان انسان عندالکل ودائما وسواء تعقلوا معنی انه انسان اولم یتعقلوا ذلک .

وهذه المعانی غیر الحقایق حیث انها لیست فی الخارج حقیقة ففی الذهن لکنها لیست متحققة فی الذهن بایجاده و اختلافه ایاها من غیر استعانة بالخارج فان الذهن یوقعها علی الخارج بتوهمها انها فی الخارج ووقوعها علی الامور الخارجیة علی وتیرة واحدة من غیر اختلاف

وتغیر من هذه الحیثیة فالکلام و هو الصوت المؤلف الدال علی معنی بالوضع کلام ولایصدق علیه الملك مثلا والرئاسة مثلا ولاغیرها ولو کانت بایجاد من الذهن من غیر ارتباط و استعانة من الخارج لکانت اما غیر صادقة علی الخارج اصلا واما واقعة علی جمیع ما فی الخارج لاستواء النسبة مع عدم الرابطة .

فثبت ان انتزاع الذهن ایاها انما هو بالاستعانة من الخارج ای من المعانی الحقیقیة التی عند الذهن و حیث ان هذا الارتباط لیس بالحقیقی لعدم تحققها فی الخارج فهو وهمی بتوهم الذهن انها هی المعانی الحقیقیة وهی اعطاء حد الامور الخارجیة لها فهذه المعانی تتحقق باعطاء الذهن حد الامور الحقیقیة لما لیس لها و وضعها فیما لیست فیه فهی معان سرابیة وهمیه مثلها بین المعانی مثل السراب بین الحقایق والاعیان و هذا القسم من المعانی هی التی نسمیها بالاعتباریات و الوهمیات و القسم الاول خارجیة حقیقیة و هذا القسم الثانی ذهنیة وهمیة غیر حقیقیة هذا .

ثم انا اذا اخذنا نتامل الموجودات الخارجیة الحقیقیة و رکزنا التأمل فی کل واحد واحد منها بالاخذ بمجموع دائرة وجوده من حین یظهر فی الوجود ثم یدیم بقائه و حیوته المختصة به حتی ینتهی الی البطلان والعدم ورددنا کل امر یرتبط به من حیث هو مرتبط الی داخل محیط هذه الدائرة المفروضة بحیث لایشذ منه شیء منها ولایدخله شیء غیرها وجدناهذا المجموع یسوی فی الوجود امرا واحدا حقیقیا وموجودا

متفرداكل جزء من اجزاء المجموع المفروض يرتبط بالاخرين بروابط خاصة بها قضية للوحدة الحقيقية الموجودة وهذا لاشك فيها ولاريب .

ثم اذا حللنا هذا الموجود الواحد على سعة دائرة وجوده وجدناه على كثرة اجزائه وجهاته ينحل الى امر ثابت فی نفسه كالاصل و امور أخر تدور عليه و تقوم به كالفروع تتفرع على الاصل و هذا الاصل هو الذی نسميه بالذات و هذه الفروع هی التی نسميها بالعوارض و اللواحق و نحو ذلك وهذا معنى سار فی كل موجود فی وعاء الوجود مثال ذلك الانسان فان فيك امرا تحكی عنه بلفظ انا وكل معنى غيره مرتبط به ومتفرع على هذا الذات المحكی عنه بانا هذا وهذا المجموع المؤلف من الذات والعوارض نسميه بالنظام الجزئی فی الموجود الجزئی و المجموع المؤلف من جميع هذه النظامات الجزئية التی فی ظرف الوجود نسميه بنظام الكل .

ثم نقول ان لكل موجود حقيقی نظاما حقيقيا خارجيا ذو اجزاء حقيقية فذاته من حين يظهر فی الوجود يصحب معه شيئا من عوارضه اللازمة و الغير اللازمة ثم يرد عليه سلسلة عوارضه واحدا بعد واحد ولايزال يستكمل بها حتى يتم ذاته فی عوارضه تماما وكمالا ان لم يعقه عائق فينتهی به الوجود المختص به و هو حيوته فيبطل وينعدم ببلوغه اجله فهو بحسب التمثيل كالشمس عند الحس تطلع من افق ثم تحاذی نقطة بعد نقطة وتجری حتى تغرب فی افق آخر .

و جملة الامر فی هذه النظامات ان لحوق العوارض بالذات

باقتضاءٍ ما من الذات لها بمعنى ان الذات لووضع وحده من غير مانع تبعه عوارضه بارتباط معها فى الذات وهذه كلها اصول كلية عامة بديهية او قريبة من البداهة.

ثم ان هذا الاقتضاء من الذات لعوارضه مقرونة فى الانسان بالعلم فهذا النوع يميز الملائم عن غير الملائم بالعلم و الادراك ثم يتحرك وينحو نحو الملائم ويهرب عن المنافر المنافى وبعض الانواع الاخر من الحيوان ايضا حاله حال الانسان و لسنا نعلم هل حال كل نوع من الموجودات الجسمانية حال الانسان لعدم وفاء الحس والتجارب وان قام بعض البراهين فى العلم الالهى على ان العلم سار فى جميع الموجودات.

وبالجملة حيث كان تميز الملائم عن غيره بالعلم والذات مقتض للملائم ومتابٍ عن غير الملائم والحركة الى الملائم عن ارادة وعلم والحركة عن غير الملائم عن ارادة وعلم تحقق هناك بالضرورة بالنسبة الى الملائم صورة علمية ذهنية مخصوصة و بالنسبة الى غير الملائم صورة اخرى مخصوصة وهما صورة اقتضاء الذات لامر وصورة تابيّها عن امر فللاقتضاء صورة وهى وجوب الفعل فى قولنا يجب ان يفعل كذا انتزعتها النفس عن نسبة الضرورة فى القضايا الحقيقية الخارجية ولعدم الاقتضاء صورة و هى حرمة الفعل او وجوب عدمها فى قولنا يحرم او يجب ان لايفعل كذا انتزعتها النفس عن نسبة الامتناع فى القضايا الحقيقية الخارجية وللمقتضى بالبناء للمفعول صورة ولعدم المقتضى المتابى عنه بالبناء للمفعول صورة اخرى و الظاهر ان النفس ينتزعها فيهما من نسبة

بعض اجزاء الشخص بالنسبة اليه او شخصه بالنسبة الى شخصه و من نسبة عدم شخصه او عدم بعض اجزاء شخصه بالنسبة الى شخصه وهذا هوالذى يوجب الحركة اليه او الهرب منه فافهم .

وهذا المقدار من الاعتبار كالمادة الاولى بالنسبة الى الاعتبارات التالية قاطبة ويسرى هذا الحكم ويتكثر اقسام الاعتبار و يختلف بتكثر حوائج الانسان واستقباله النواقص التى تصادف ذاته ويمكنك التحقق بما ذكرنا و اختبار الحال فى ذلك بالتدبر فى حال الطفل الانسانى وتدرجه فى الحيوة وكذلك باختبار حال بعض الحيوان مما الاجتماع فى نوعه محدود ساذج والتميز فى اوهامه سهل يسير .

ثم ان الانسان الفرد لايتم له وحده جميع كمالاته الملائمة لذاته لكونه فى جميع جهات ذاته محتاجا الى التكامل و تفنن احتياجاته الحيوية مع احتفاف كل واحد من كمالاته بمالايحصى من الافات ولذلك فهو بالفطرة مضطر الى الاجتماع والتعاون والتمدن مع امثاله والحيوة فيهم حتى يقوم كل فرد بجهة اوجهات معدودة من خصوصيات كمالاتهم بما يسعه طاقته ويعيشوا بنحو الاشتراك وهيهنا وقعت الحاجة الى التفهيم والتفهم فابتدء ذلك بالاشارة ثم كمل بالصوت ثم تمم ذلك بتمييز الاصوات المختلفة للمقاصد المختلفة .

و الدليل عليه ما نشاهده فى الحيوان العجم فان فيها دلالة على المقاصد بالاصوات و تعدادها كثرة وقلة بالنسبة الى اجتماعاتها كصوت النزاع وصوت السفاد وصوت التربية وصوت الاشفاق و غير ذلك مما

بينها وهذا الامر يكتمل ثم يكتمل حتى يصير اللفظ وجودا لفظيا للمعنى لايلتفت عند استماعه الا الى المعنى ويسرى الحسن والقبح من احدهما الى الاخر.

ثم ان اشتراك المساعى فى الحيوة واختصاص كل فرد بما يهيؤه يوجب اعتبار الملك فى المختصات و اصله الاختصاص و كذا اعتبار الزوجية و احتياج الكل الى مافى ايدى آخرين يوجب اعتبار التبديل فى الملك والمعاملات المتنوعة من البيع و الشرى و الاجارة و غيرها وحفظ النسبة بين الاشياء القابلة للتبديل من حيث القلة والكثرة والابتذال والعزة وغير ذلك يوجب اعتبار الفلوس و الدينار وهو شيء يحتفظ به نسبة الاشياء القابلة للتبديل بعضها مع بعض.

ثم ان هذه التقلبات الغير المحصورة لايخ من وقايع جزئية معتدلة واخرى يقع فيها الظلم والتعدى والاجحاف فالافراد فى اخلاقها مختلفة والطبايع الى التعدى وتخصيص المنافع بنفسها ومزاحمة غيرها مجبولة وحين اذ ذاك وقع الاحتياج الى قوانين يحفظ بها الاعتدال فى الاجتماع والى من يحفظ هذه القوانين والى من يعتضد به لذلك فينشعب اذ ذاك اعتبار الرياسة والرئيس والمرئوس والقانون وغير ذلك.

ويتفرع على ذلك اعتبارات أخر ولايزال يتبع بعضها بعضا حتى ينتهى الى غايات بعيدة طوينا الكلام عن شرحها لعدم وفاء المقام بذلك وقد فصلنا القول فى انواعها واقسامها فى كتاب الاعتبارات هذا.

و بالجملة فهذه الاعتبارات لاتزال تتكثر بكثرة مسيس الحاجة

حتى تنفذ وتسرى فى جميع جزئيات الامور المربوطة بالانسان الاجتماعى وكلياتها ويتلون الجميع بهذه الالوان الوهمية وتتلبس بهذه الملابس الخيالية بحيث ان الانسان الذى يتقلب بينها بواسطة الادراك و يقصدها ويتركها ويحبها ويكرهها ويرغب فيها وينفرعنها ويرجوها ويخاف منها ويشتاقها ويعافها ويلتذبها ويتالم منها ويختارها ويتركها بالحسن والقبح والوجوب والحرمة والنفع والضر والخير والشر بواسطة العلم والارادة لا يشهد منها الا هذه المعانى السرابية و لا يحس منها الا بهذه الوجوه فحيوة الانسان و هى حيوة اجتماعية مربوطة بهذه الاسباب محدودة بهذه الجهات متقلبة فيهذه العرصات لووقعت حينامافى خارجها كالحيتان خارج المياه بطلت وخمدت .

و انت اذا اجلت النظر و ادرت الفكر فى بعض الموجودات و نظامها الطبيعى كالمركبات النباتية مثلا رايت فرجار حيوتها فى ادامة بقائها يدور على التغذية والنمو و توليد المثل و رايت ذاتها يفعل هذه الافعال باقتضاء من نفسه من غير استعانة بالخارج عنه و يتمم و يستكمل هذه الجهات بافعال وانفعالات ذاتية طبيعية بجذب ودفع ويديم بهاامره حتى ينتهى الى البطلان ونظامه نظام طبيعى غيرمتوسط فى جريانه غيره واذا رجعت الى الانسان وجدت هذا النظام الطبيعى منه محفوفا بمعان ليس لها وجود فى الخارج وهمية باطلة لايحس الانسان الابها ولايماس الامور الطبيعية الا من وراء حجابها فالانسان لايريد ولا يروم فى دائرة حيوته الا اياها ولا ينسج الا بمنوالها لكن الواقع من الامر حين مايقع هو الامور الحقيقية الخارجية .

هذا حال الانسان فی نشأة المادة والطبیعة من التعلق التام بمعان وهمیة سرابیة هی المتوسطة بین ذاته الخالیة عن الکمالات وبین الکمالات الطاریة اللاحقة بذاته.

فصل ۲

قال الله سبحانه الذی اعطی کل شیء خلقه ثم هدی فاخبر سبحانه انه بعد اتمام ذات کلشیء هداه الی کماله المختص به هدایة یتفرع علی ذاته وهو اقتضائه الذاتی لکمالاته وایاه یفصل سبحانه بقوله الذی خلق فسوی و الذی قدر فهدی فهو سبحانه بعد خلق الشیء و تسویته قدر هناك تقدیرا و ذلك بتفصیل خصوصیات وجوده کما قال و کل شیء فصلناه تفصیلا واتبع هذا التقدیر والتفصیل بهدایته الی الخصوصیات التی قدرها له وذلك بافاضة الاقتضاء الذاتی منه لجمیع مایلزمه فی وجوده ویتم به ذاته من کمالاته وهذا هو النظام الحقیقی الذی فی کل واحد و فی المجموع من الموجودات و منها الانسان الذی هو احدها.

ثم ذکر سبحانه الانسان فقال لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم ثم رددناه اسفل سافلین الا الذین آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غیر ممنون فاخبر انه بعد تمامیة خلقه مردود الی اسفل سافلین واستثناء المؤمنین الصالحین حیث انه معقب بقوله فلهم اجر غیر ممنون اه والاجر بظاهره غیر متحقق فی الدنیا بعد یدل علی انقطاع الاستثناء

وانهم مرفوعون بعد الرد وقد قال سبحانه من کان یرید العزة فان العزة لله جمیعا الیه یصعد الکلم الطیب والعمل الصالح یرفعه وقال سبحانه وان منکم الا واردها کان علی ربک حتما مقضیا ثم ننجی الذین اتقوا ونذر الظالمین فیها جثیا وقال سبحانه یرفع الله الذین آمنوا منکم و قال سبحانه ولو شئنا لرفعناه بها و لکنه اخلد الی الارض واتبع هویه فحکم الرد شامل لنوع الانسان لایشذ عنه شاذ منهم وقد قال سبحانه ایضا قال اهبطوا بعضکم لبعض عدو ولکم فی الارض مستقر ومتاع الی حین و عقبه تفسیرا بقوله فیها تحیون و فیها تموتون و منها تخرجون و قال انما هذه الحیوة الدنیا متاع فبین ان الذی رد الیه الانسان هو الحیوة الدنیا وهو اسفل السافلین ثم وصف الحیوة الدنیا فقال سبحانه انما الحیوة الدنیا لعب و لهو و اللعب هو الفعل الذی لاغایة له الا الخیال و اللهو هو مایشغلک بنفسه عن غیره فاشار الی ان هذه الحیوة و هی تعلق النفس بالبدن و توسیطه ایاه فی طریق کمالاته شاغلة له بنفسه عن غیره وذلک لان ذلک یوجب ان یتوهم الروح انها عین البدن لاغیر وح ینقطع عن غیر عالم الاجسام و ینسی جمیع ماکان علیه من الجمال والجلال والبهاء والسناء والنور والحبور والسرور قبل نشأة البدن المادیة ولایتذکر ماخلفه من مقامات القرب و مراتب الزلفی والرفقة الطاهرین وفضاء الانس والقدس فیتقلب فی امد حیوته اللعب لا یستقبل شیئا ولا یواجهه شیء من محبوب او محذور الا لغایة خیالیة وامنیة وهمیة اذا بلغها لم یجد شیئا موجودا قال سبحانه

وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا والعمل مايعمله الانسان من شيء و قال سبحانه والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءا حتى اذا جائه لم يجده شيئا و وجدالله عنده فوفيه حسابه فبين ان اعمالهم و غاياتهم منها كالسراب بالقاع يقصده الظمان فلما بلغه لم يجد ماقصده ووجد مالم يقصده و ينكشف ح ان ما قصده كان غير مقصوده والله غالب على امره وهوالذى يشير اليه سبحانه بقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا و انا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فان الزينة هى الشيء الجميل المحبوب بنفسه وبذاته يصحبه شيء آخر ليكسب منه الحسن اى يقع فى القلب مع وقوع الزينة فيجلب الرغبة فتكون هى المقصودة والمتزين بها هو الواقع فجعل ماعلى الارض زينة لها ليقصدها القاصدون ويبلغوا الارض بقصدهم و هى غير مقصودة و قال سبحانه انما الحيوة الدنيا لعب و لهو وزينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الاموال و الاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما الاية .

فبين انها مؤلفة من امور خيالية تحتها امور حقيقية فالانسان بعد كمال خلقته يبدء بتكميل جهات الحيوة الدنيا بتحصيل مقصد بعد آخر وهو يريد تكميل مايظنه كمالا من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وليست الامور وهمية فاذا تممها و كملها بداله بطلانه وفنائه عند موته ووداعه للحيوة الدنيا .

ومن الممكن ان يكون قوله سبحانه فى ذيل الاية و فى الاخرة عذاب شديد و مغفرة من الله ورضوان الايه معطوفا على قوله فى صدر الاية لعب اه فيكون خبرا بعد خبر لقوله انما الحيوة الخ و يؤيد ذلك بعض التأييد الاية التالية لهذه الاية .(١)

وبالجملة فيتبين بذلك ان الحيوة الدنيا بجهاته المقصودة من اللعب واللهو و الزينة و غيرذلك امر موهوم و سراب خيالى و هى بعينها فى الحقيقة و باطن الامر عذاب و مغفرة و رضوان يظهر ذلك بظهور ان جهات الحيوة الدنيوية كانت باطلة موهومة كالحطام للنبات وهو قوله سبحانه ولو ترى اذالظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و تركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ومانرى معكم شفعائكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون فالابتان كماترى فى الموت وماينفصل الانسان عن حيوته الدنيا فيقول سبحانه فيها ان الانسان سيقبل راجعااليه سبحانه فردا كما خلق اول مرة ويترك الاعضاء والقوى

١- و قد نقل عن شيخنا البهائى رضوان الله عليه فى معنى الاية ان هذه الامور مترتبة بحسب مدارج عمر الانسان فهو يشتغل اولا باللعب وذلك فى اوان الصبى ثم باللهو و هو فى اوان البلوغ ثم بالزينة و هو عند كمال الشباب ثم بالتفاخر وهو عند منتصف العمر ثم بالتكاثر فى الاموال والاولاد وهو فى اوان الشيخوخة فهى مقسومة على مدارج عمر الانسان منه .

و الاسباب التی کان یعتقدها لنفسه ارکانا یعتمد علیها و اعضادا یتقوی بها واسبابا یتوصل بها ویطمئن الیها وسینقطع مابین الانسان وبینها ای الروابط التی کان الانسان یسکن الیها ویباهی بها من اعتباراته الوهمیة وحینئذ ذاك ضلال الکل وزوال الجمیع و فقدانها و مشاهدته عیانا انه کان مغرورا بذلك کله وقد قال سبحانه **فلا تغرنکم الحیوة الدنیا و لا یغرنکم بالله الغرور** و قال سبحانه **انما هذه الحیوة الدنیا متاع و ان الاخرة هی دار القرار** و قال سبحانه **وماالحیوة الدنیا الا متاع الغرور** والمتاع مایتمتع وینتفع به لغیره فالحیوة الدنیا انما یتوصل به لغرور الانسان بها لیلهی بها عن غیرها وهی کماله الاقصی فی مبدئه ومعاده وقال سبحانه **انما مثل الحیوة الدنیا کماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما یاکل الناس والانعام حتی اذااخذت الارض زخرفها و ازینت و ظن اهلها انهم قادرون علیها اتیها امرنا لیلا اونهارا فجعلناها حصیدا کان لم تغن بالامس**.

و الاخبار فی المعانی السابقة کثیرة جدا نقتصر منها بجملة من کلام امیرالمؤمنین علی (ع) قال (ع) فی بعض خطبه علی مافی النهج عبادالله انالدهر یجری بالباقین کجریه بالماضین الی ان قال (ع) فمن شغل نفسه بغیر نفسه تحیر فی الظلمات وارتبك فی الهلکات ومدت به شیاطینه فی طغیانه وزینت له سییء اعماله فالجنة غایة السابقین و النار غایة المفرطین الی ان قال (ع) وکان الصیحة قد اتتکم و الساعة قد غشیتکم و برزتم لفصل القضاء قد زاحت عنکم الاباطیل و اضمحلت

عنكم العلل و استحقت بكم الحقايق الخطبة .

وقوله (ع) فمن شغل الخ اشارة الى قوله تعالى عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم وقوله تعالى و الذين كذبوا بآياتنا صم و بكم فى الظلمات من يشاءالله يضلله و من يشاء يجعله على صراط مستقيم وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون الايات .

فالانسان لاحيوة له فى غير ظرف نفسه و لا معاش له دون وعائه وجوّه فاذا نسى نفسه ووقع فى غيرها وقع فى الضلال البحت و البوار وبطلت اعمال قواه فلا تعمل منه سمع ولالسان ولابصر فهوفى الظلمات ليس بخارج منها وصاركل ماقصده سرابا وكل ماصنعه بائرا هالكا فاذا برز الى اليوم الحق برز صفراليد خفيف العمل وقد زاحت عنه اباطيله واستحقت حقايقه والله ولى الامر كله .

والكلام ذوشجون وايثارالاختصار مانع عن الاطناب والتعرض بازيد من التلويح والاشارة على ماهو الداب فى هذه الرسالة واخواتها من الرسائل السابقة فالحق سبحانه خيردليل وهوالهادى الى سواءالسبيل

تمت والحمدلله والصلوة على محمد وآله رابع الربيع

الاول من سنة واحد وستين و ثلثماة و الف

هجرية قمرية على هاجرها التحية

ووقعت الكتابة فى قرية شادآباد من اعمال بلدة تبريز

رسالة الانسان بعد الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على اوليائه المقربين سيما محمد وآله الطاهرين .

هذه رسالة فى المعاد نشرح فيها بعون الله سبحانه حال الانسان بعد حيوته الدنيا على مايقوم عليه البرهان ويستخرج من الكتاب ويكشف عنه السنة غير انا آثرنا فيها الاختصار و الاقتصار على كليات المعانى فان المسلك الذى نستعمله من تفسير الاية بالاية والرواية بالرواية بعيد الغور منيع الحريم ووسيع المنطقة لايتيسر استيفاء الحظ منه فى رسالة واحدة يقاس فيها النظير بالنظير و الشبيه بالشبيه و الاطراف بالنسب ويوخذ بها الجار بالجار وستقف انشاءالله العزيز على صحة قولنا هذا.

ومن الانصاف ان نعترف ان سلفنا من المفسرين وشراح الاخبار اهملوا هذا المسلك فى استنباط المعانى واستخراج المقاصد فلم يورثونا فيه ولايسيرا من خطير فالهاجم الى هذه الاهداف والغايات على صعوبة منالها و دقة مسلكها كساع الى الهيجاء بغير سلاح والله المستعان .

فصل ١

فی الموت والاجل قال‌الله سبحانه ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمی[1] فبين ان كل موجود من السماء و الارض و ما بينهما وجوده محدود باجل سماه سبحانه ای قدره و عينه لايتعدی وجود عن اجله كما قال‌سبحانه ولكل امة اجل فاذاجاءاجلهم لايستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال سبحانه ماتسبق من‌امة اجلها وما يستاخرون.

والايات فيهذا المعنی كثيرة واجل‌الشیء هوالوقت الذی ينتهی اليه فيستقر فيه و منه اجل الدين و تسميته و بالجملة هو الظرف الذی ينتهی اليه الشیء ولذلك عبرعنه باليوم فی قوله سبحانه قل‌لكم ميعاد يوم‌لاتستاخرون عنه‌ساعة ولاتستقدمون ثم‌انه قال‌سبحانه هوالذی خلقكم من‌طين ثم قضی اجلا واجل مسمی عنده فاخبر بان الاجل المسمی عنده وقد قال سبحانه ماعندكم ينفد وماعندالله باق فاخبر

---

١ ـ والاية كما تری مثل‌نظائرها ساكتة عن ضرب‌الاجل لماوراء السموات و الارض وما بينهما مما هو خارج عنها و ليس فی كلامه سبحانه مايدل علی ابتداء خلق هذا النوع الاعلی فنائه و زواله بل ربما يستفاد العكس من قوله وان من شیء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدرمعلوم وقوله ماعندكم ينفد و ماعندالله باق بل‌نفس الايه اعنی قوله ماخلقنا السموات اه دالة علی ان‌الحق والاجل المسمی خارجان عن هذا الحكم و هما الواسطتان . منه

بان ما هو موجود عنده حاضر لديه لايتطرقه النفاد و لا يلحقه تغير و لا يعرضه كون ولافساد فلايعتوره الزمان وطوارق الحدثان فالاجل المسمى ظرف محفوظ ثابت يثبت فيه مظروفه من غير تغير ولانفاد وقال سبحانه **انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت و ظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس.**

فاخبر سبحانه بالاجل الذى لزينة الارض وانه يتحقق بالامر الالهى وكك الحيوة الدنيا فهناك امر الهى يتحقق به الاجل الدنيوى فالاجل اجلان او اجل واحد ذووجهين اجل زمانى دنيوى وامر الهى كما يومى اليه قوله سبحانه **ثم قضى اجلا و اجل مسمى عنده** فالاجل المسمى من عالم الامر و هو عنده سبحانه فلا حاجب هناك اصلا كما يفيده لفظ عند و اياه يفيد قوله سبحانه **من كان يرجو لقاءالله فان اجل الله لات** ولذلك ايضا عبر عنه بالرجوع الى الله و المصير اليه فى آيات كثيرة.

ثم ان هذا الرجوع وهو الخروج عن نشأة الدنيا و الورود فى نشأة اخرى هو الموت الذى وصفه سبحانه لامايترائى لظاهرا عيننا من بطلان الحس والحركة وزوال الحيوة وبالجملة فناءالشىء قال سبحانه **وجائت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** فوصفه بالحق فلايكونن باطلا وعدما وقال سبحانه **كلا اذا بلغت التراقى الى ان قال و التفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق** فيوم الموت يوم

الرجوع الى الله و السوق اليه .

ويدل على مامر مارواه الصدوق وغيره عن النبى (ص) ماخلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وانما تنتقلون من دار الى دار .

وفى العلل عن الصادق (ع) فى حديث فهكذا الانسان خلق من شان الدنيا وشان الاخرة فاذا جمع الله بينهما صارت حيوته فى الارض لانه نزل من شأن السماء الى الدنيا فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت ترد شان الاخرى الى السماء فالحيوة فى الارض و الموت فى السماء وذلك انه يفرق بين الروح و الجسد فردت الروح و النور الى القدس الاولى وترك الجسد لانه من شان الدنيا الحديث .

وفى المعانى عن الحسن بن على قال دخل على بن محمد على مريض من اصحابه وهو يبكى ويجزّع من الموت فقال له ياعبدالله تخاف من الموت لانك لاتعرفه ارايتك اذا اتسخت وتقذرت وتاذيت من كثرة القذر والوسخ عليك واصابك قروح وجرب وعلمت ان الغسل فى حمام يزيل ذلك كله اما تريد ان تدخله فتغسل ذلك عنك او تكره ان تدخله فيبقى ذلك عليك قال بلى يابن رسول الله قال (ع) فذلك الموت هو ذلك الحمام وهو آخر مابقى عليك من تمحيص ذنوبك و تنقيتك من سيئاتك فاذا انت وردت عليه وجاورته فقد نجوت من كل غم وهم واذى ووصلت الى كل سرور وفرح فسكن ذلك الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله .

وفى المعانى عن الجواد (ع) عن ابائه فى حديث قال و قال على

بن الحسين (ع) لما اشتد الامر بالحسين بن على بن ابيطالب (ع) نظر اليه من كان معه فاذا هو بخلافهم لانهم كلما اشتد الامر تغيرت الوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم وكان الحسين (ع) وبعض من معه من خصائصه تشرق الوانهم و تهدى جوارحهم و تسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض انظروا لايبالى بالموت فقال لهم الحسين (ع) صبرا بنى الكرم فما الموت الا قنطرة يعبر بكم عن البؤس و الضراء الى الجنان الواسعة و النعيم الدائمة فايكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر و ما هو لاعدائكم الا كمن ينتقل من قصر الى سجن وعذاب ان ابى حدثنى عن رسول الله (ص) ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء الى جنانهم وجسر هؤلاء الى جحيمهم ما كذب ولا كذبت.

و قال محمد بن على (ع) قيل لعلى بن الحسين (ع) ما الموت قال للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة وفك قيود واغلال ثقيلة والاستبدال بافخر الثياب واطيبها روائح واوطى المراكب وآنس المنازل وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل من منازل انيسة و الاستبدال باوسخ الثياب واخشنها اوحش المنازل واعظم العذاب.

وقيل لمحمد بن على (ع) ما الموت قال هو النوم الذى ياتيكم كل ليلة الا انه طويل مدته لاينتبه منه الا يوم القيمة فمن راى فى نومه من اصناف الفرح ما لا يقادر قدره و من اصناف الاهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح فى النوم ووجل فيه هذا هو الموت فاستعدوا له الحديث.

اقول و عده (ع) الموت من نوع النوم مستفاد من قوله سبحانه

الله يتوفى الانفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت و يرسل الاخرى حيث عد الامرين جميعا توفيا ثم عبر بالامساك دون القبض.

و كك عده (ع) كما فى ساير الاحاديث الموت وصفا للروح و انه يترك به الجسد و يمضى لسبيله هو المستفاد من قوله سبحانه الله يتوفى الانفس حين موتها حيث نسب التوفى وهو اخذ الحق من المطلوب بتمامه الى الانفس كما نسبه فى قوله سبحانه وهو الذى يتوفيكم الى لفظ كم و هو الامر الذى يعبر عنه الانسان بانا و قد شرحناه فى رسالة الانسان قبل الدنيا.

و بالجملة فالوارد فى النشأة الاخرى من الانسان نفسه و روحه و عليه يدل قوله سبحانه يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه والكدح هو السعى الى الشىء والانسان كادح الى ربه لانه لم يزل سائرا الى الله سبحانه منذ خلقه وقدره ولذلك عبر عن اقامته فى هذه الدار باللبث فى آيات كثيرة قال سبحانه قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين.

ثم انه سبحانه قال الله يتوفى الانفس حين موتها فنسب التوفى الى نفسه و قال سبحانه قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم فنسبه الى ملك الموت وقال سبحانه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون فنسبه الى الملئكة الرسل و مرجع الجميع واحد لما عرفت فى محله ان الافعال كلها لله و هى مع ذلك ذو مراتب

يقوم بكل مرتبة من مراتبها طائفة من الموجودات على حسب مراتبهم في الوجود .

والاخبار ايضا شاهدة بذلك ففى التوحيد عن الصادق قال (ع) قيل لملك الموت كيف تقبض الارواح وبعضها فى المغرب وبعضها فى المشرق فى ساعة واحدة فقال ادعوها فتجيبنى قال و قال ملك الموت ان الدنيا بين يدى كالقصعة بين يدى احدكم يتناول منها ماشاء و الدنيا عندى كالدرهم فى كف احدكم يقلبها كيف شاء .

وفى الفقيه عن الصادق (ع) انه سئل عن قول الله عزوجل الله يتوفى الانفس حين موتها و عن قول الله قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم و عن قول الله الذين تتوفيهم الملئكة طيبين و الذين تتوفيهم الملئكة ظالمى انفسهم وعن قول الله توفته رسلنا وعن قول الله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة وقد يموت فى الساعة الواحدة فى جميع الافاق مالايحصيه الا الله عزوجل فكيف هذا فقال ان الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت اعوانا من الملئكة يقبضون الارواح بمنزلة صاحب الشرطة له اعوان من الانس يبعثهم فى حوائجهم فتوفيهم الملئكة ويتوفاهم ملك الموت مع مايقبض هو ويتوفاه و يتوفاه الله عزوجل من ملك الموت .

وفى التوحيد عن اميرالمؤمنين (ع) مثله و زاد فى آخره و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم ان يفسره لكل الناس لان منهم القوى والضعيف ولان منه مايطاق حمله ومنه مالايطاق حمله الا من يسهل الله

له حمله واعانه عليه من خاصةاوليائه وانما يكفيك انتعلم انالله المحيى المميت وانه يتوفى الانفس على يدى من يشاء من خلقه من ملئكته وغيرهم الحديث .

اقول قوله (ع) وغيرهم ظاهره انه سبحانه ربما توفاها على يدى غير الملائكة من خلقه فهو معنى غريب ويمكن انيراد به بعض المقربين من الاولياء العالين درجة من الملئكة المتمكنين فى مقام الاسماء كالقابض والمميت ويمكن انيرادبه مايتوفاه سبحانه بنفسه من غير توسط الملائكة وانكان مرجع المعينين واحدا .

فقدروى فى الكافى عن الباقر (ع) كان على بن الحسيْن (ع) يقول انه يسخى نفسى فى سرعة الموت و القتل فيها قول الله تعالى اولم يروا انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها و هو ذهاب العلماء و الظاهر على ماذكره بعض العلماء انه (ع) اخذ الاطراف جمع طرف بتسكين الراء بمعنى العلماء والاشراف كما ذكره فى الغريبين .

و بالجملة فكما ان حال الانفس فى القرب من الله سبحانه على مراتب حقيقية فكك المتوفى لهامختلف بحسب ذلك فمن نفس يتوفاه الله بنفسه تعالى لاتحس ولاتشعر بغيره سبحانه ومن نفس يتوفاها ملك الموت لا تشعر بمن دونه كما يشير اليه الصادق (ع) بقوله فى الرواية السابقة مع مايقبض هو اه ومن نفس يتوفاها الملائكة عملة ملك الموت والمأخوذ المتوفى على كل حال هو النفس دون البدن كما مر وهو سبحانه اقرب الى النفس من نفسه وملائكته من عالم الامر وبامره يعملون والنفس ايضا

من هناك و لا حجاب في الامر بشيء من الازمنة و الامكنة فالتوفي من باطن النفس و داخلها دون الخارج عنها و عن البدن و قد قال سبحانه اذ فرغوا فلافوت و اخذوا من مكان قريب و قال سبحانه فلولا اذا بلغت الحلقوم و انتم ح تنظرون و نحن اقرب اليه منكم و لكن لاتبصرون ثم اذكانت النفس المتوفاة و هي الانسان حقيقة لاتبطل بالموت وقد سكنت في الدنيا و سكنت اليها و عاش في دار الغرور و استأنست بها فاول ما ينكشف لها حين الموت بطلان مافيها و انمحاء الرسوم التي عليها وتبدل الاعمال و الغايات التي فيها بالسراب بتقطع ظواهر الاسباب قال سبحانه ولو ترى اذالظالمون في غمرات الموت و الملئكه باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بماكنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و تركتم ماخولناكم وراء ظهوركم و مانرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقدتقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون.

فالانسان انما يختلط فيهذه الدار الدنيا بقسمين من موجوداتها و شئوناتها.

احدهما ما يزعم انه يملكه من زينة الحيوة الدنيا و زخرفها و يستعين به في آماله وامانيه واغراضه وغاياته.

والثاني مايرتبط به مما يزعمه شفيعا لايتمكن من بلوغ المآرب الابشراكته وتأثيره من ازواج واولاد واقارب واصدقاء ومعاريف اولي

القوة و الباس فاشار سبحانه الى بطلانهما بالجملة بقوله ولقد جئتمونا فرادى اه و الى زوال القسم الاول بقوله و تركتم ماخولناكم اه و الى زوال القسم الثانى بقوله ومانرى معكم شفعائكم اه والى سبب البطلان بقوله لقد تقطع بينكم اه والى نتيجته بقوله وضل عنكم اه.

و بالجملة فيبقى ما فى الدنيا فى الدنيا وتشرع من حين الموت حيوة اخرى للانسان فاقدة لجميع ما فى الدنيا و لذلك سمى الموت بالقيمة الصغرى فعن اميرالمؤمنين (ع) من مات فقد قامت قيامته.

ثم ان النفس اذا فارقت الجسد فقدت صفة الاختيار و التقوى على كلا طرفى الفعل والترك وح يرتفع موضوع التكليف قال سبحانه **يوم ياتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا** وعندذلك يقع الانسان فى احد الطريقين السعادة والشقاوة ويحتم له اما السعادة او الشقاء فيتلقى اما بشرى السعادة او وعيد الشقاوة قال سبحانه **ولو ترى اذالظالمون فى غمرات الموت والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون** الايه و قال سبحانه **الذين تتوفاهم الملئكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** و قال سبحانه **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون.**

وقوله كنتم توعدون مشعر بكون البشارة بعد الدنيا و هى الاخرة ومن المعلوم ان البشارة بالشىء قبل حلوله فالبشرى بالجنة قبل دخولها

وهى انما يكون بامر قطعى الوقوع فلا تتحقق فى الدنيا حتى الموت لبقاء الاختيار وامكان انتقال الانسان من احدى سبيلى السعادة والشقاوة الى الاخرى.

ومن هنا ماترى انه سبحانه فى قوله الا ان اولياءالله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة حيث اثبت فى حق المؤمنين انهم مامونون من الخوف والحزن وان لهم البشرى فى الحيوة الدنيا اثبت قبل ذلك الولاية فى حقهم وهى انيكون سبحانه هوالذى يلى امورهم من غيردخالة اختيارهم وانيةانفسهم فى التدبير وعند ذلك يصح البشارة لعدم امكان شقاء فى حقهم ماولى امرهم الحق سبحانه ولذلك غير السياق فى وصف تقويهم فقال وكانوا يتقون اه وكان حق ظاهر السياق ان يقول آمنوا واتقوا اشارة الى ان ايمانهم هذا مكتسبة بالتقوى بعد ايمان سابق عليها وهذا صفاء الايمان من شائبة الشرك المعنوى بالاعتماد على غيره سبحانه فهى فى مساق قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم وهذا هو الذى امتن سبحانه به فسماه نعمة فقال الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبناالله ونعم الوكيل فارجعوا الامر اليه سبحانه وسلبوا تدبير انفسهم واختيارها فقال سبحانه فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء فنفى مس السوء عنهم بنعمة افاضها عليهم وليست الا الولاية

بتوليه سبحانه امورهم ودفعه السوء عنهم بتدبيره و كفايته لهم وو كالته عنهم و مثله قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله مايشاء الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا فسمى ذلك نعمة ثم ذكر سبحانه انه سيلحق المطيعين باوليائه المنعمين بهذه النعمة فقال سبحانه و من يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فان المطيع من حيث ارادته لا ارادة له غير ارادة المطاع فالمطاع هو القائم مقام نفس المطيع فى ارادتها وافعالها فالمطاع وليه وكل من كان لانفس له الا نفس المطاع فهو ايضا ولى للمطيع اذليس هناك الاالمطاع ولذلك قرر سبحانه بعض اوليائه المقربين وليا لاخرين قال سبحانه انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة وهم راكعون و الاية نازلة فى اميرالمؤمنين على (ع) و ليس المراد بالولاية فى الاية هو المحبة قطعا لمكان انما وكون المورد مورد بيان الواقع لمكان قوله وليكم الله اه بخلاف قوله سبحانه و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون و قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض .

وبالجملة فعند ذلك يتضح وجه الحاقه سبحانه المطيعين باوليائهم فهو سبحانه ولى الجميع وبعضهم وهم الاقربون اليه اولياء لبعض آخر ممن دونهم و جميعهم لاخوف عليهم و لا هم يحزنون يبشرون بالجنة

و الرفقه الصالحة عند الموت .

وبدل ايضا على هذه المعانى اخبار كثيرة ففى الكافى عن سدير الصيرفى قال قلت لابى عبدالله (ع) جعلت فداك يابن رسول‌الله (ع) هل يكره‌المؤمن على قبض روحه قال‌لا والله اذااتاه ملك‌الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك‌الموت يا ولى‌الله لاتجزع فوالذى بعث محمداً لانا ابربك واشفق عليك من والد رحيم افتح عينيك فانظر قال ويمثل له رسول‌الله واميرالمؤمنين والحسن و الحسين و الائمة من ذريتهم فقال له هذا رسول‌الله واميرالمؤمنين وفاطمة والحسن‌والحسين والائمة رفقائك قال‌فيفتح عينيه فينظر فينادى روحه مناد من‌قبل‌رب‌العزة فيقول يا ايتها النفس المطمئنة الى محمد و اهل بيته ارجعى الى ربك راضية بالولاية مرضية بالثواب فادخلى فى‌عبادى وادخلى جنتى فمامن شيء احب اليه من استلال روحه واللحوق بالمنادى .

وروى‌العياشى فى‌تفسيره عن‌عبدالرحيم‌الاقصر قال‌ابوجعفر(ع) انما احدكم حين يبلغ نفسه هيهنا فينزل عليه ملك الموت فيقول اما ماكنت ترجوه فقد اعطيته و اما ماكنت تخافه فقد امنت منه و يفتح له باب الى منزله من‌الجنة ويقال له‌انظر الى مسكنك فى‌الجنة وانظر الى رسول‌الله و على والحسن والحسين رفقائك و هو قول‌الله الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى‌الاخرة .

و روى المفيد فى مجالسه عن الاصبغ بن نباتة حديث الحارث الهمدانى مع اميرالمؤمنين(ع) وفيه قال(ع) وابشرك ياحارث لتعرفنى

عندالممات وعند الصراط وعند الحوض و عند المقاسمة قال الحارث وماالمقاسمة قال مقاسمة النار اقاسمها قسمة صحيحة اقول هذا وليى فاتركيه و هذا عدوّى فخذيه الحديث و هو من مشاهير الاخبار رواه جمع من الرواة وصدقه بعض الأئمة بعده (ع).

وفى غيبة النعمانى عن اميرالمؤمنين فى حديث اما انه لايموت عبد يحبنى فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يحب ولا يموت عبد يبغضنى فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يكره الحديث.

وفى الكافى عن الصادق (ع) قال مامن احد يحضره الموت الا وكل به ابليس من شياطينه من يامره بالكفر ويشككه فى دينه حتى تخرج نفسه فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه فاذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة ان لااله الاالله وان محمداً رسول الله حتى يموت الحديث ومعناه مستفاد من قوله سبحانه **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة و يضل الله الظالمين** وقوله سبحانه **كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئى منك انى اخاف الله رب العالمين** فظاهر الاية ان قوله اكفر وقوله انى برئى من جنس واحد ووقت واحد وليس من لسان الحال فى شىء وهناك خطاب فافهم.

وفى تفسير العياشى عن ابيعبدالله (ع) قال ان الشيطان لياتى الرجل من اوليائنا عند موته عن يمينه وعن يساره ليصده عما هو عليه فيابى الله ذلك وكذلك قال الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة.

اقول والروايات عن ائمة الهدى فى هذه المعانى متظافرة متكاثرة رويها جم غفير من الرواة هذا كله مايفيده الكتاب والسنة والبرهان يفيده ايضا مما يدل على تجرد النفس وعدم انعدامها وبطلانها بانقطاع علاقتها عن البدن و سيجىء اشارة اليه فى الفصل التالى لهذا الفصل انشاءالله.

فصل ۲

فى البرزخ قدبين فى محله ان بين عالم الاجسام و الجسمانيات وبين اسمائه سبحانه عالمين عالم العقل وعالم المثال.

وان كل واحد من الموجودات يرجع بالضرورة الى مابدء منه.

وان العوالم آخذا من الجسمانيات الى ان ينتهى الى المبدء الاول ومبدع الكل مترتبة فى الكمال والنقص متطابقة فى الوجود ومعنى ذلك تنزل العالى الى مرتبة السافل وظهوره كالمرآة تنعكس فيه صور مايقابلها من الاضواء و الالوان و المقادير فتظهر منها على قدر ماتقبله و تطيقه و تتكيف بما فى المرآة من الكيفيات تماما ونقصا.

وان عالم المثال كالبرزخ بين العقل المجرد والموجودات المادية فهو موجود مجرد عن المادة غير مجرد عن لوازمها من المقادير والاشكال والاعراض الفعلية وبهذه المقدمات يتبين تفصيل حال الانسان فى انتقاله من الدنيا الى مابعد الموت هذا.

وينبغى لك ان تتثبت فى تصور معنى المادة وانها جوهر شانها قبول الآثار الجسمية و تحققها فى الاجسام مصحح الانفعالات التى يرد عليها

و ليست بجسم و لا محسوس و اياك ان تتصور انها الجسمية التى فى الموجودات الجسمانية فهذا هو الذى عزب عن جمع من علماء الظواهر فتلقوا ماذكره المتالهون من اصحاب البرهان على غير وجهه وحسبوا ان قولنا ان البرزخ لامادة له مثلا او ان لذايذه خيالية اوهناك لذة عقلية معناها انها وهمية سرابية غيرموجودة فى الخارج الا فى الوهم والتصور وذلك انحراف عن المقصود غلط من جهت المعنى .

و كيف كان فحال البرزخ ماعرفته و الكتاب و السنة يدلان على ذلك لكن الاخبار حيث اشتملت على جل الايات وضعنا الكلام فيها و تعرضنا للايات فى ضمنها .

ففى تفسير النعمانى باسناده عن امير المؤمنين (ع) قال واما الرد على من انكر الثواب والعقاب فى الدنيا بعد الموت قبل القيمة نقول الله عزوجل يوم يات لاتكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى و سعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير و شهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك انربك فعال لمايريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك يعنى السموات والارض قبل القيمة فاذا كانت القيمة بدلت السموات والارض .

ومثل قوله تعالى و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون و هو امر بين امرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والاخرة .

و مثله قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا و عشيا و يوم تقوم الساعة والغدو والعشى لايكونان فى القيمة التى هى دار الخلود وانما

يكونان فى الدنيا وقال‌الله تعالى فى اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة و عشيا والبكرة والعشى انما يكونان من‌الليل والنهار فى جنةالحيوة قبل يوم‌القيمة قال‌الله لايرون فيها شمسا ولازمهريرا و مثله قوله و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم‌الله من فضله الحديث .

اقول قوله سبحانه النار يعرضون عليها اريد به نار الاخرة و اما المعرض‌عليها فهو فى‌البرزخ ويدل على‌ذلك ذيل‌الاية وهوقوله سبحانه ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب و سيجئى نظير هذا التعبير فى الروايات انه يفتح له الى قبره باب من الحميم يدخل عليه منه اللهب والشرر فهناك نار مثال نار وعذاب مثال عذاب .

وقوله سبحانه فاما الذين شقوا ففى‌النار اريد به نارالبرزخ وبما ذكر يستصح الجمع بين الكون فى النار و المعرض عليها و مثله قوله سبحانه اذ الاغلال فى اعناقهم و السلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون فالسحب فى الحميم و هو الماء الحار مقدمة للاسجار فى النار وهو فى القيمة وهذه‌المعانى مروية فى‌تفسيرالعياشى ايضا .

وروى‌القمى‌والعياشى فى‌تفسيريهما والكلينى فى‌الكافى والمفيد فى الامالى باسانيدهم عن سويد بن غفلة عن اميرالمؤمنين (ع) قال ان ابن آدم اذا كان فى آخريوم من‌الدنيا واول‌يوم من‌الاخرة مثل له‌اهله وماله وولده وعمله فيلتفت الى‌ماله فيقول والله انى كنت عليك لحريصا

شحيحا فمالى عندك فيقول خذمنى كفنك ثم يلتفت الى ولده فيقول والله انى كنت لكم لمحبا وانى كنت عليكم لمحاميا فماذالى عندكم فيقولون نرديك الى حفرتك و نواريك فيها ثم يلتفت الى عمله فيقول والله انى كنت فيك لزاهدا و انك كنت على لثقيلا فماذا عندك فيقول انا قرينك فى قبرك ويوم حشرك حتى اعرض انا وانت على ربك فان كان لله وليا اتاه اطيب الناس ريحا واحسنهم منظرا وازينهم رياشا فيقول ابشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم قد قدمت خير مقدم فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح ارتحل من الدنيا الى الجنة و انه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يعجله فاذا دخل قبره اتاه ملكان وهما فتانا القبر يجران اشعارهما و يبحثان الارض بانيابهما و اصواتهما كالرعد القاصف و ابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك ومن نبيك ومادينك فيقول الله ربى ومحمد نبيى والاسلام دينى فيقولان له ثبتك الله فيماتحب وترضى وهو قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا الايه فيفسحان له فى قبره مدبصره ويفتحان له بابا الى الجنة ويقولان نم قرير العين نوم الشاب الناعم وهو قوله اصحاب الجنة خير مستقرا و احسن مقيلا واذا كان لربه عدوا فانه ياتيه اقبح خلق الله رياشا وانتنه ريحا فيقول له ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وانه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يحبسه فاذا دخل قبره اتياه ممتحنا القبر فالقيا عنه اكفانه ثم قالا له من ربك ومن نبيك ومادينك فيقول لاادرى فيقولان له مادريت ولاهديت فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة الا و تذعر بها ماخلا الثقلان ثم

يفتحان له بابا الى النار ثم يقولان له نم بشر حال فهو من الضيق مثل مافيه القنا من الزج حتى ان دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الارض وعقاربها وهو امها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر الخبر.

اقول قوله(ع) وهو قول الله يثبت الله الخ يشير الى قوله سبحانه **الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها فى السماء توتى اكلها كل حين باذن ربها و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله مايشاء.**

فقد بين سبحانه ان من الكلمات ماهى ثابته الاصل قارة تفيد آثارها فى جميع الاحوال و وصفها بالطيب و قد ذكر فى موضع آخر انها تصعد اليه و يرفعها العمل الصالح حتى تصل الى السماء فقال سبحانه **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا**، ثم بين الطريق اليها فقال **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**، ثم بين سبحانه ان هذه الكلمة الطيبة الثابتة الاصل يثبت الذين آمنوا به فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة والقول يتصف بالثبات وافادته باعتبار الاعتقاد والنية ففى الاخرة مورد يثبت فيه الانسان اويضل بالقول الثابت وعدمه و اذ ليس هناك اختيار و استواء لطرفى السعادة و الشقاوة فثباته و تثبيته انما هو

بالسؤال وهو واضح عند التدبر وقد اخبر سبحانه ان هذاالقول الثابت والشجرة الطيبة تؤتى اكلها ومنافعها كل حين باذن ربها فالاية تدل على وقوع الانتفاع به فى جميع الاحوال وكل المواقف ففى الجميع سؤال وفى الاية الشريفة مزايا معان آخر .

و يمكن ان يستشم من تمسكه (ع) بالاية انه (ع) جعل البرزخ من تتمة الحيوة الدنيا وهو كك بوجه .

وقوله (ع) وهو قوله اصحاب الجنة الخ يشير الى قوله سبحانه وقال الذين لايرجون لقائنا لولا انزل علينا الملائكة اونرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم و عتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين و يقولون حجرا محجورا و قدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا .

والايات فى البرزخ وهى من اصرح الايات فيه والمقيل هو النوم للقيلولة ومن المعلوم ان لانوم فى جنة القيمة الا ان البرزخ وان لم يكن فيه شيء من منامات الدنيا لكنه بالنسبة الى القيمة نوم بالنسبة الى اليقظة ولذلك وصف سبحانه الناس بالقيام للساعة .

ولذلك وصف (ع) الحال بانه يفتح للميت باب الى الجنة ويقال له نم قرير العين او باب الى النار ويقال له نم بشر حال و هذا المعنى كثير الورود فى الاخبار فلم يصرح خبر بوروده الجنة بل الجميع ناطقة انه يفتح له باب الى الجنة ويرى منزله فيها ويدخل عليه منها الروح

ويقال له نم قرير العين نم نومة العروس وقد مر الحديث عن الباقر (ع) حيث سئل ما الموت فقال هو النوم الذى ياتيكم كل ليلة الا انه طويل مدته لاينتبه منه الا يوم القيمة الخبر .

فماالبرزخ الا مثالا للقيمة واليه التلميح اللطيف بقوله (ع) كما فى عدة اخبار آخر ايضا ثم يفسح له فى قبره مد بصره اه .

فماالمثال الاالقدر الذى يفهم من الممثل فما بعد مدالبصر شىء و قوله سبحانه يوم يرون الملائكة لابشرى اه يراد به اول يوم يرونهم هو بقرينة قولهم لولا انزل علينا الملائكة اه وهوالبرزخ و فيه البشرى وعدم البشرى .

واعلم انالذى تشعر به الاية هوالسؤال عن المؤمنين والظالمين واما المستضعفون والمتوسطون فمسكوت عنهم وهوالذى يتحصل من الروايات ففى الكافى عن ابى‌بكر الحضرمى قال قال ابوعبدالله (ع) لايسئل فى القبر الا من محض الايمان محضا او محض الكفر محضا والاخرون يلهون عنهم .

اقول والاخبار عنهم (ع) فى هذا المعنى مستفيضة متكاثرة .

وفى تفسير القمى مسندا عن ضريس الكناسى عن ابيجعفر (ع) قال قلت له جعلت فداك ما حال الموحدين المقرين بنبوة محمد من المذنبين الذين يموتون و ليس لهم امام و لا يعرفون ولايتكم فقال اما هؤلاء فانهم فى حفرهم لايخرجون منهافمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فانه يخد له خد الى الجنة التى خلقهاالله بالمغرب فيدخل عليه

الروح فی حفرته الی یوم القیمة حتی یلقی الله فیحاسبه بحسناته وسیئاته فهؤلاء الموقوفون لامر الله قال وکذلك یفعل بالمستضعفین والبله والاطفال واولاد المسلمین الذین لم یبلغوا الحلم الخبر.

اقول یشیر (ع) بقوله فهؤلاء موقوفون الی قوله تعالی **و آخرون مرجون لامر الله اما یعذبهم و اما یتوب علیهم و الله علیم حکیم** وبالجملة فغیر المستضعفین ومن یلحق بهم مسئولون ثم منعمون اومعذبون باعمالهم.

ولنرجع الی ماکنا فیه روی المفید فی الامالی عن الصادق (ع) فی حدیث قال فاذا قبضه الله الیه صیر تلك الروح الی الجنة فی صورة کصورته فیاکلون ویشربون فاذا قدم علیهم القادم عرفهم بتلك الصورة التی کانت فی الدنیا.

و فی الکافی عن ابی ولاد الحناط عن الصادق (ع) قال قلت له جعلت فداك یروون ان ارواح المؤمنین فی حواصل طیور خضر حول العرش فقال لا المؤمن اکرم علی الله من ان یجعل روحه فی حوصلة طیر لکن فی ابدان کابدانهم.

وفیه ایضا عن الصادق (ع) ان الارواح فی صفة الاجساد فی شجر فی الجنة تعارف و تسائل فاذا قدمت الروح علی الارواح تقول دعوها فانها اقبلت من هول عظیم ثم یسئلونها ما فعل فلان و مافعل فلان فان قالت لهم ترکته حیا ارتجوه و ان قالت لهم قد هلك قالوا قد هوی هوی الخبر.

و هذا المعنى وارد فى اخبار كثيرة لكنها باجمعها فى المؤمنين واما حال الكافرين فسيأتى .

و فى الكافى عن الصادق (ع) قال ان المؤمن ليزور اهله فيرى مايحب ويستر عنه مايكره و ان الكافر ليزور اهله فيرى مايكره و يستر عنه ما يحب .

وفيه ايضا عن الصادق (ع) قال مامن مؤمن ولا كافر الا وهو ياتى اهله عند زوال الشمس فاذا راى اهله يعملون بالصالحات حمدالله على ذلك واذا راى الكافر اهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة .

و فيه ايضا عن اسحق بن عمار عن ابى الحسن الاول (ع) قال سالته عن الميت يزور اهله قال نعم فقلت فى كم يزور قال فى الجمعة و فى الشهر و فى السنة على قدر منزلته فقلت فى اى صورة ياتيهم قال فى صورة طاير لطيف يسقط على جدرهم و يشرف عليهم فاذا رآهم بخير فرح وان رآهم بشر وحاجة حزن و اغتم .

اقول والروايات فى هذه المعانى كثيرة مروية واما تصوره بصورة الطاير فهو تمثل .

ويمكن ان يستشعر هذا المعنى بقوله سبحانه **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم و لا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله و فضل و ان الله لايضيع اجر المؤمنين** فالاستبشار تلقى البشارة

و الفرح بها و قوله يستبشرون بنعمة اه بيان لقوله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا اه فالايات تفيدانهم يستبشرون و يفرحون بما يتلقون ممن خلفهم من النعمة والفضل و انتفاء الخوف و الحزن عنهم و هو الولاية وانهم يعملون الصالحات والله لايضيع اجر المؤمنين فيحفظ حسناتهم ويعفو عنهم سيئاتهم ويفيض عليهم بركاته فيرون منهم ذلك كله فافهم .

وقريب منه قوله سبحانه **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .**

و فى الكافى عن ابى بصير عن الصادق (ع) فى حديث سؤال الملكين قال فاذا كان كافرا قالا من هذا الرجل الذى خرج بين ظهر انيكم فيقول لاادرى فيخليان بينه وبين الشيطان الخبر .

وروى هذا المعنى ايضا فى حديث آخر عن بشير الدهان ورواه العياشى فى تفسيره عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) وهوقوله سبحانه **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى ان قال تعالى حتى اذا جائنا قال يا ليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين .**

واعلم ان البرزخ عالم اوسع من عالم الدنيا لكون المثال اوسع واوسط من الجسم المادى و قد عرفت معنى المادة فالوارد من تفصيله بلسان الكتاب والسنة كليات واردة على سبيل الانموذج دون الاستيفاء .

و اعلم ان تعيين الارض فى الاخبار محلا لجنة البرزخ و ناره

ومجيء الاموات لزيارة اهليهم وغيرذلك منزل على عدم انقطاع العلقة المادية بكمالها وهو كك كما مر .

وقدورد فی‌اخبار ان جنةالبرزخ فی‌وادی‌السلام وان نارالبرزخ فی‌وادی‌برهوت وان صخرة بيت‌المقدس مجتمع‌الارواح وفی‌روایات آخر مشاهدة الائمة للارواح فی امکنة مختلفة وروی ذلك فی کرامات الصالحين بما هو فوق حد الحصر وكل ذلك امور جايزة تكشف عن علقة لشرافة مكان اوزمان اوحال .

فصل ۳

فی نفخ الصور قال سبحانه و **يوم ينفخ فی الصور ففزع من فی السموات ومن فی الارض الا من شاءالله** و قال سبحانه **و نفخ فی الصور فصعق من فی السموات و من فی الارض الا من شاءالله ثم نفخ فيه اخری فاذا هم قيام ينظرون** وقد ورد فی‌رواية عن‌السجاد (ع) ان النفخات ثلث نفخةالفزع ونفخة الصعقه ونفخةالاحياء ويمكن تنزيل‌ذلك الی‌ماسياتی من‌معنی قوله سبحانه ماينظرون الاصيحة واحدة تاخذهم و هم يخصمون الايه و الله اعلم فالنفخة نفختان نفخة للاماتة ونفخةللاحياء ولم‌يرد فی كلامه سبحانه مايمكن ان‌يفسر به معنی‌الصور من حيث اللفظ وهو فی‌اللغة القرن و ربماكان يثقب وينفخ فيه ولاورد فی النفخة الاولی الا الايتان فی سورة النمل والزمر الاانه سبحانه عبر عن معناه فی مواضع آخر بالصيحة وبالزجرة وهی‌الصيحة وبالصاخة

و هى الصيحة الشديدة و بالنقر قال سبحانه ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدنيا محضرون و قال سبحانه فانما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة وقال سبحانه فاذا جائت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه الايات و قال سبحانه فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير و قال سبحانه و استمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج .

فمن هنا يعلم ان مثل الصور مع نفختيه مثل مايصنع فى العساكر المعدة للحضور الى غاية فينفخ فى الصور مرة ان اسكنوا و تهيؤا للحركة وينفخ ثانية ان قوموا وارتحلوا واقصدوا غايتكم فالصور موجود حامل لصيحتين صيحة مميتة وصيحة محيية و هو ذان لم نجد له تفسيرا وافيا من الكتاب الا انه معبر بلفظة فيه فى اثنى عشر موردا اوازيد فلامح هو ذومعنى اصيل محفوظ وقد عبر عنه بالنداء ايضا ولايكون النداء الا ذا معنى مقصود ووصفهم سبحانه بسمع الصيحة بالحق ولايسمع الا الموجود الحى و قد اخبر بصعقتهم فليس الا ان اتصافهم بالحيوة و الموجود عين استماعهم وسمعهم اذ اسماعهم للصيحة المحيية لهم بعد اتصافهم بالحيوة غيرمعقول فليس الاكلمة الهية يميتهم ويحييهم وقدقال سبحانه هوالذى يحيى و يميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فالنفختان كلمتان الهيتان كلمة مميتة و كلمة محيية لكنه سبحانه لم يعبر بالموت وانما عبر بالصعقة ولعل ذلك لان الموت يطلق على خروج الروح

من البدن وقد شمل حكم النفخة من فى السموات والارض وفيها الملائكة و الارواح و فى قوله سبحانه فى وصف اهل الجنة لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى تلميح الى ذلك .

نعم وقع فى قوله سبحانه حكاية عن قول اهل النار ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل لولم تكن التثنية للتكرار او التغليب اطلاق الموت على صعقة النفخة ثم انه سبحانه قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فافاد شمول حكم البرزخ على الجميع فالمراد بمن فى الارض فى آيتى الفزع والصعقة ليس من على ظهر الارض ممن هو فى قيد الحيوة الدنيا قبل البرزخ بل الذين قال فيهم سبحانه و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون و قال الذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث و قال سبحانه قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون وقال سبحانه ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء و لا يدخلون الجنة الى ان قال و بينهما حجاب فهؤلاء اهل الارض وان حلوا البرزخ واما من فى السموات فهم الملائكة وارواح السعداء وقد قال سبحانه و فى السماء رزقكم و ما توعدون وقال لكم ميعاد ما يوم وقال وعدالله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات اه وقال واجل مسمى عنده وقال اليه يصعد الكلم الطيب وقال

يرفع الله الذين آمنوا وقال تعرج الملائكة و الروح اليه الى غير ذلك من الايات.

و عليهذا فالايات الدالة على وقوع الصيحة على اهل الأرض و فناء الدنيا و خرابها منزلة على انطواء نشأة الدنيا و انقراضها و اهلها كقوله تعالى ماينظرون الاصيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلايستطيعون توصية ولاالى اهلهم يرجعون وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت و قوله سبحانه كل من عليها فان فهناك صيحة ينطوى بها بساط الدنيا و ينقرض اهلها ونفخ يموت به اهل البرزخ ونفخ تقوم به القيمة ويبعث به الناس . نعم قوله سبحانه ماخلقنا السموات والارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى و قوله و اجل مسمى عنده قد جمع الجميع تحت الاجل فلاموت حتف انفساوقتلا و لا بصيحة ولا بنفخ صور الا باجل .

واما قوله سبحانه فى آيتى النفخ الا من شاءالله فالاستثناء الذى فى قوله سبحانه ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض الا من شاءالله فيفسره ما بعده من الايات و هى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون و من بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون لكن الحسنة اريدت بها المطلقة لمكان الامن و قرينة مقابلتها بالسيئة و الايعاد عليها فالمختلط عمله منهما لايأمن الفزع لمكان السيئة فالامن من الفزع طيب ذاته وطيب اعماله من السيئات وقد عد سبحانه سيئات

الاعمال خبائث فقال و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم و قال ايضا الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات و قد عد من الرجس الكفر و النفاق و الشرك فقال واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون وقال انما المشركون نجس وعد من الشرك بعض مراتب الايمان فقال و ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فطيب الذات من الشرك ان لايؤمن بغيره سبحانه و لا يطمئن الا اليه اى لايرى له سبحانه شريكا فى وجوده و اوصافه و افعاله و هو الولاية و اليه يرجع معنى قوله سبحانه الذين تتوفيهم الملائكة طيبين اى من حيث الذات بالولاية يقولون سلام عليكم والسلام هو الامن .

فقد ظهر بما وجهنا به معنى الاية ان الحسنة فيها هى الولاية و به يشعر قوله سبحانه قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور .

و فى تفسير القمى فى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها قال (ع) الحسنة والله ولاية اميرالمؤمنين والسيئة والله اتباع اعدائه .

وفى الكافى عن الصادق عن ابيه عن اميرالمؤمنين (ع) قال (ع) الحسنة معرفة الولاية و حبّنا اهل البيت و السيئة انكار الولاية و بغضنا اهل البيت ثم قرء الاية الحديث .

وبما مر من البيان يتبين الحال فى الاية الاخرى وهى قوله سبحانه

و نفخ فی الصور فصعق من فی السموات و من فی الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون فظاهر الاية ان الذين صعقوا من النفخة هم الذين قاموا لله يوم يقوم الناس لرب العالمين وهم المحضرون لقوله سبحانه ان كانت الاصيحه واحدة فاذاهم جميع لدنيا محضرون و قد استثنى سبحانه من المحضرين عباده المخلصين اذ قال فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين ثم عرفهم سبحانه بقوله حكاية عن ابليس حين رجم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فبين ان لاسبيل للشيطان اليهم ولايتحقق اغوائه فيهم، و قد ذكر ايضا ان اغوائه انما هو بالوعد حيث قال سبحانه و قال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فاخلفتكم الى ان قال فلاتلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم واستنتج من ذلك كما ترى ان اللوم راجع الى انفسهم و ان الذنب راجع الى الشرك و انهم بمقتضى شقائهم الذاتي ظالمون و ان الظالمين لهم عذاب اليم فالمخلصون هم المخلصون عن الشرك بذاتهم لايرون لغيره سبحانه وجودا و لا يحسون لغيره اسما و لا رسما و لا يملكون لانفسهم نفعا و لا ضرا ولاموتا ولاحيوة ولا نشورا و هذا هو الولاية.

و بالجملة فاولياء الله سبحانه هم المستثنون من حكم الصعقة و الفزع لا يموتون بالنفخة حين يموت بها من فی السموات و الارض

وقدقال سبحانه يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقال والسموات مطويات بيمينه فبين سبحانه طيها و بلوغها اجلها يومئذ بمن فيها و بذلك يظهر ان المخلصين المستثنين ليسوا فيها بل مقامهم فيما وراء السموات والارض وهم مع ذلك فى الجميع قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه فهم من الوجه وقال سبحانه فاينما تولوا فثم وجه الله فهم المحيطون بالعالم باحاطته سبحانه و قد بينه سبحانه بوجه آخر بعد ما بين ان اهل الجنة فى السماء واهل النار فى النار بقوله وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم وسياتى كلام فيه فى غير هذا المقام .

و من هنا يظهر انهم فى فراغ و امن من ساير الامور الجارية و الشدائد و الاهوال الواقعة بين النفختين قال سبحانه فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض و الجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة والدك هو الدق تقول دككت الشيء اذا ضربته وكسرته حتى تسوى به الارض وقال تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة و قال سبحانه يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيبا مهيلا و قال سبحانه ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد و قال سبحانه و اذا الجبال سيرت و قال و تكون الجبال كالعهن المنفوش و قال فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر وقال اذا الشمس

كورت وقال **واذا الكواكب انتثرت** و قال **واذا العشار عطلت** و قال **واذا البحار سجرت** و هذه الايات بظاهرها قريبة الانطباق باشراط الساعة ومقدمات القيمة وخراب الدنيا وانقراض اهلها .

و اعلم ان هذا هو المصحح لعد الساعة تالية للدنيا و بعدها كما ان الموت هو المصحح لعد البرزخ بعدالدنيا والا فكما ان المثال محيط بعالم المادة و هوالدنيا فكك نشأة البعث محيطة بالدنيا و البرزخ على مايعطيه البرهان السابق واللاحق ومع الغض عن الاحاطة ايضا فانطواء بساط الزمان و انقطاع الحركات بين النشأتين يوجب انقطاع النسبة الزمانية ويبطل بذلك قبل و بعد قطعا هذا .

و اعلم ان هناك آيات اُخر قريبة السياق من الايات المذكورة آنفا غير انها تعطى نحوا آخر من المعنى قال سبحانه **وسيرت الجبال فكانت سرابا** فان تسيير الجبال بنقل امكنتها وجعلها كثيبا مهيلا و كالعهن المنفوش لاينتهى الى كونها سرابا و ذلك ظاهر و قال سبحانه **و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شيء** فان ظرف ترى اما حال الخطاب او حال النفخ كما يؤيده وقوع الاية بعد آية النفخ فتنطبق على زلزلة الساعة وهى التى بها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى وهى لاتلائم قوله تعالى تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب فانها تدل على ان الجبال ح على ظاهر كيفيتها الجسمانية من الابهة و العظمة والاستقرار والتمكن مع انها من غير هذه الحيثية غير مستقرة بل سارية

ومن الدليل عليه قوله صنع الله الذى اتقن كل شىء فانه لا يلايم فناء الجبال و اندكاكها بل يشعر بانها فى صنعها متقنة غير هينة الفساد و لا يسيرة الانفكاك فهو سير لاينافى استحكام اساسها و اتقان وجودها فى محله بل اندكاك فى عين الاستحكام فكونها سرابا يجتمع مع اتقان صنعها وبقاء هويتها و وجودها.

فصل ۴

فى صفات يوم القيمة وقيام الأشياء له سبحانه قال تعالى يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم وقال مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير وقال يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا وقال ولا يكتمون الله حديثا وقال والامر يومئذ لله الى غير ذلك من الايات وقد اشتملت على توصيف يوم القيمة باوصاف غير مختصة به ظاهرا فان الملك والقوة والامر لله دائما والموجودات بارزة له غير خافيه عليه و لا عاصم و لا ملجأ منه سبحانه دائما لكنه سبحانه قال ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العقاب اذ تبرء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب فاخبر بتقطع الاسباب وانقطاع الروابط يومئذ فافاد ان جميع التأثيرات والارتباطات التى بين الموجودات فى نظامها الموجود فى عالم الاجسام والجسمانيات ومايتلوه ستقطع و تزول فلا

يؤثر شيء منها فى شيء ولايتأثر شيء عن شيء و لا ينتفع و لا يستضر شيء بشيء و لو كان الظرف ظرفها و اليوم يومها لما تخلف شيء من احكامها و لم تزل عن مستقرها الا ببطلان الذوات و انقلاب المهيات ومن المحال ذلك ولاتبديل لكلمات الله فاذن المرفوع الزايل هو وجوداتها السرابية وهى وجوداتها القائمة بالحق سبحانه الثابتة به الباطلة فى انفسها فلاتبقى الا نسبتها الى الحق سبحانه و تبطل بقية النسب و اذ هى باطلة فى نفسها فهو انكشاف بطلانها لانفسه وظهور حقيقة الامر وهو ان لاوجود الا له سبحانه ولاتأثير لغيره فلاملك الا له ولامالك الاهو وهو قوله سبحانه ملك يوم الدين وقوله يوم لايملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ويشهد لما ذكرنا من انكشاف بطلان الوجودات السرابية والاسباب الظاهرية لانفس بطلانها قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الى ان قال لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون الايات حيث ذكر بطلان الاسباب عند الموت مع انها فى محلها لم تزل وانما هو انكشاف بطلانها .

وفى نهج البلاغة فى خطبة له(ع) وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كك يكون بعد فنائها بلا وقت ولامكان ولاحين ولازمان عدمت عند ذلك الاجال و الاوقات و زالت السنون و الساعات فلا شيء الا الواحد القهار الذى اليه مصير جميع الامور .

وفى الاحتجاج عن هشام بن الحكم فى خبر الزنديق فيما ساله عن الصادق (ع) الى انقال ايتلاشى الروح بعد خروجه من قالبه ام هو باق بل هو باق الى وقت ينفخ فى الصور فعند ذلك تبطل الاشياء فلا حس و لا محسوس ثم اعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها و ذلك بعد اربعماة سنة ليست فيها الخلق و ذلك بين النفختين .

وفى تفسير القمى عن الصادق (ع) فى حديث ثم يقول الله عزوجل لمن الملك اليوم فيرد على نفسه لله الواحد القهار .

وفى التوحيد عن امير المؤمنين (ع) فى حديث و يقول الله لمن الملك اليوم ثم تنطق ارواح انبيائه ورسله وحججه فيقولون لله الواحد القهار .

وفى تفسير القمى عن السجاد (ع) فى حديث قال فعندذلك ينادى الجبار بصوت جهو ري يسمع اقطار السموات والارضين لمن الملك فلا يجيبه مجيب فعند ذلك ينادى الجبار مجيبا لنفسه لله الواحد القهار الحديث .

اقول فانظر الى بياناتهم (ع) وهم لسان واحد كيف جمعت بين فناء السموات والارض وتحققها وزوال السنين والساعات وثبوتها وعدم مجيب لندائه سبحانه غير نفسه ووجود المجيب ثم انظر الى قوله سبحانه فى جوابه لندائه نفسه لله الواحد القهار ومكان الاسمين وتدبر فى اطراف الكلام تعرف صحة مااستفدناه آنفا .

ثم انه اذا زال الوجود المستقل عن الاشياء وعادت الثبوتات الى

تحققات وهمية سرابية وبطلت عامة التسبيبات والتشبثات وهو قوله سبحانه مالكم من الله من عاصم وقوله مالكم من ملجاء يومئذ ومالكم من نكير وقوله ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه وقوله يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا وقوله لابيع فيه و لاخلال وقوله و لا تنفعها شفاعة و قوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين وقولهم بل لم نكن ندعوا اه يقولون انا قبل يوم القيمة لم ندع غير الله ولم نعبد له شريكا فهو ظهور كونهم فى الدنيا مغرورين بسرابها ولعبها وقد كان باطلا بالحقيقة فقال سبحانه كذلك يضل الله الكافرين.

وقريب منه قوله سبحانه ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم و شركائكم فزيلنا بينهم و قال شركائهم ماكنتم ايانا تعبدون وقوله تبرانا اليك ماكانوا ايانا يعبدون و مرجع الجميع الى قوله سبحانه ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم و ابائكم ما انزل الله بها من سلطان وقوله ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون.

ثم انه اذا بطلت الاسباب بينهم وهى المراتب المترتبة المقدرة فى الوجود و التأثيرات التى بينها ظهر حكم الباطن و من المعلوم ان الظاهر ظاهر بالباطن فاتحد ح الغيب والشهادة اذ كل شىء فهو فى نفسه و وجوده شهادة و انما الغيب معنى نسبى يتحقق بفقدان شىء لشىء و غيبوبته عنه اما حسا اوغيره.

و بالجملة بسبب و بارتفاع الاسباب يرتفع كل حجاب يحجب

شيئا عن شيء و هو قوله سبحانه يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء و قوله و برزوا لله جميعا و قوله فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ومن هذا الباب قوله يوم تبلى السرائر وقوله افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير و قوله يوم لا ينفع مال و لا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

و يمكن ان ينزل على ما هيهنا ما ورد من الايات و الاخبار فى بروز الارض .

و فى الكافى عن الصادق (ع) فى قوله تعالى يوم لاينفع اه قال القلب السليم الذى يلقى ربه و ليس فيه احد سواه قال وكل قلب فيه شرك او شك فهو ساقط و انما ارادوا بالزهد فى الدنيا تفرغ قلوبهم للاخرة .

اقول و قوله سبحانه كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا ينافى ما ذكرناه فانه كما سيجيء ينفى التشريف الذى يقع للمؤمنين وتصديق لماقضى به سبحانه ان الجزاء بالاعمال وان لكل نفس ماكسبت وعليها مااكتسبت وقد حجب هؤلاء انفسهم فى الدنيا عنه سبحانه فلابد من ظهور مصداقه يوم القيمة وذلك كقوله سبحانه يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون .

ثم ان بطلان الاسباب و زوال الحجب وظهور الباطن الذى هو

محيط بالظاهر مقوم له قائم عليه يعطى كون الساعة محيطة بهذه النشاة ومافيها ومايتلوها فالظاهر موجود للباطن حاضر عنده دون العكس وهو قوله سبحانه و يقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا وقوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقوله واخذوا من مكان قريب وقوله و ما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء .

ومن هذا الباب قوله سبحانه و لولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم فالسبق الى الشىء يوجب حيلولة فقولك سبقت الى مكان كذا يوجب وجود شىء آخر سبقته وحلت بينه و بين المكان قبل ان يصل اليه فسبقة كلمة سبحانه الى اجل مسمى و هو قوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين يعطى انه محيط بهم قريب لولا السد الذى سده سبحانه تجاهه لغشيهم فصل القضاء فافهم .

و من هذا الباب قوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها و قوله كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون و قوله و قال الذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث .

ثم ان مامر من ظهور الباطن وبطلان الظاهر يوجب ظهور الحق سبحانه يومئذ وارتفاع حجب المهيات وانتهاك استار الهويات وبلوغ

الكل الى غاية الغايات من سيرهم ومنتهى النهايات من كدحهم ورجوعهم وهو قوله سبحانه يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهاها و قوله سبحانه و ان الى ربك المنتهى وقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله واليه ترجعون وقوله و اليه تقلبون وقوله و اليه المصير وقوله الا الى الله تصير الامور و آيات اخرى فى هذا المعنى و قوله و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عندالله وقوله يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات و الارض لا تاتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفى عنها قل انما علمها عندالله ولكن اكثر الناس لايعلمون فهم لزعمهم انها امر زمانى فى سلسلة متصلة بزمانهم سئلوا توقيتها فصرفهم سبحانه بما يقرب من افهامهم ثم لما الحوا فيه اجابهم بان علمها لا يبرز من عندالله و يابى بذاته عن الطلوع لغيره سبحانه لا انه يقبل الحصول للغير وانما اخفى اخفائا كما لمصلحة اوغيرها كما فى معلوماتنا ولذلك عقبه سبحانه بقوله ولكن اكثر الناس لايعلمون.

ثم ان حجب المراتب والهويات حيث ارتفعت يومئذ ولم يحتجب شىء عن شىء فالوعاء وعاء النور وقد تبدلت الهويات فصارت متنورة وهو قوله سبحانه وفتحت السماء فكانت ابوابا وقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار وقوله والارض جميعاً قبضته يوم القيمة و السموات مطويات بيمينه الى ان قال

واشرقت الارض بنور ربها وقوله و ان الدار الاخرة لهی الحیوان و قوله و اذا الارض مدت و القت مافیها و تخلت و قوله و اخرجت الارض اثقالها.

و فی تفسیر القمی عن السجاد (ع) فی حدیث فی قوله سبحانه تبدل الارض غیرالارض قال (ع) یعنی بارض لم تکتسب علیهاالذنوب بارزة لیس علیها جبال و لا نبات کما دحیها اول مرة و یعید عرشه علی الماء کما کان اول مرة مستقلا ۱ بعظمته و قدرته الحدیث.

وما ذکرناه فی الاستفادة عن الایات فی تنورالموجودات لاینافی آیات اُخر تنفی النور عن الکافرین کقوله سبحانه ومن لم یجعل الله له نورا فماله من نور و قوله و نحشره یوم القیمه اعمی و قوله یوم یقول المنافقون و المنافقات للذین آمنوا انظرونا نقتبس من نورکم و قد قال سبحانه فی المؤمنین یسعی نورهم بین ایدیهم و بایمانهم الایة و لهم اجرهم و نورهم الایة وقوله سبحانه کمن مثله فی الظلمات لیس بخارج منها وقوله اولیائهم الطاغوت یخرجونهم من النور الی الظلمات فان ذلک ظهور ظلمات اکتسبتها انفسهم فی الدنیا ولابدان یبدولهم فی الاخرة فتلک ظلمة مع نور قدحرم المشرکون

۱ـ قوله (ع) مستقلا بعظمته وقدرته تفسیر لکون عرشه علی الماء وله شواهد من الکتاب تدل علی ان الماء اشارة الی منبع کل حیوة و قدرة و عظمة ان تحمل نقوش الخلقة ظهرت الموجودات واذا انمحت عاد العرش علی الماء فافهم والله الهادی منه.

عن افاضتها و كتبهالله للمؤمنين و قد مر نظير هذا المطلب فی ارتفاع الحجب بين الانسان وبين ربه .

ومن هذا الباب قوله سبحانه كذبوا على انفسهم وقوله سبحانه فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون وقوله سبحانه فيحلفون له كما يحلفون لكم .

وهناك روايات ايضا فی ان المشركين يكذبون يوم القيمة فهذه كما ذكرنا فی غيرها ايضا ظهور للمعصيةالتی اقترفوها فی الدنيا يومئذ ولاينافی عدم قابلية اليوم للكذب فكل مايعمله الانسان من عمل اويكسبه من فضيلةاورذيلةلابد وان يظهر يوم القيمة وقدقال سبحانه ولا يكتمون الله حديثا وسيجیء فی فصل الاعراف مايتم به هذاالبيان ويتبين به ان الامر واحد فی نفسه لكنه للمؤمنين رحمة و كرامة و للكافرين نقمة و عذاب فاحسن التدبر فيه فانه دقيق .

فصل ۵

فی قيام الانسان الى فصل القضاء حيث ان المعاد رجوع الاشياء بتمام ذاتها الى مابدء منها وهو واجب بالضرورة كما مرت الاشارة اليه فمن الضروری ان يكون ذلك بتمام وجودها فما وجوده ذو مراتب و جهات متحدة بعضها مع بعض يرجع الى هناك بتمام وجوده بالضرورة فلحوق بدن الانسان بنفسه فی المعاد ضروری غير ان النشأة متبدلة الى نشأةالكمال الاخير والحيوةالتامة فالبدن كالنفس الحية حی نورانی هذا .

ويشير الى ذلك مافى الاحتجاج عن الصادق فى كلامه مع الزنديق قال (ع) ان الروح مقيمة فى مكانها روح المحسن فى ضياء و فسحة و روح المسيء فى ضيق و ظلمة و البدن يصير ترابا منه خلق و ما تقذف به السباع و الهوام من اجوافها مما اكلته و مزقته كل ذلك فى التراب محفوظ عند من لايعزب عنه مثقال ذرة فى ظلمات الارض و يعلم عدد الاشياء ووزنها وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب فى التراب فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطر النشور فتربو الارض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب اذا غسل بالماء و الزبد هو اللبن اذا مخض فيجتمع تراب كل قالب فينتقل باذن القادر الى حيث الروح فتعود الصور باذن المصور كهيئتها و تلج الروح فيها فاذا قد استوى لاينكر من نفسه شيئا الخبر.

اقول وقوله (ع) فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطر النشور اه ورد فى هذا المعنى عدة روايات منهم (ع) ايضا وهو مستفاد من تمثيله سبحانه البعث والاحياء باحياء الارض بعد موتها قال سبحانه **و احيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج** وقال سبحانه **و ترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و انبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق و انه يحيى الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لاريب فيها و ان الله يبعث من فى القبور.**

فالايات كما ترى تعطى ان للانسان المادى او لبدنه فقط تبدلات حتى يصل الغاية التى غياها سبحانه له ومثلها قوله سبحانه **و ضرب لنا**

مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة و هو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون يفيدان الذى جعل الشجر الاخضر بالتدريج والتصرف بعد التصرف نارا يضاد الخضرة قادر على ان يجعل العظام الرميم حية وفي هذا المجرى قوله سبحانه نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ومثله قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا.

و المراد بتبديل الامثال ورود خلق بعد خلق قال تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد و قال كل يوم هو فى شان و ليس المراد بها الامثال المصطلح عليها فى العلوم العقلية و بالاتحاد النوعى و الاختلاف الشخصى فان مثل الشىء بهذا المعنى غير الشىء فلا يتم الحجة على منكرى الحشر ح بقوله او ليس الذى خلق السموات و الارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم اذ خلق مثلهم على ذلك ليس اعادة لهم بالضرورة بل المراد بخلق مثلهم وتبديل امثالهم التبدلات فيهم بحيث لا تخرج عن انفسهم كما انه سبحانه فى مثل هذا النظم بدل المثل بالعين فقال اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى وقال سبحانه ليس كمثله شىء فالمراد بمثل الشىء نفس الشىء وهو نوع من التلطف فى الكلام.

فهذا كله يتضمن تبدلات الابدان وورودها طورا بعد طور وركوبها طبقا عن طبق حتى تنتهى الى الساعة فتلحق بالانفس قال سبحانه

واذا القبور بعثرت وقال افلا يعلم اذا بعثر ما فی‌القبور فعبر بكلمة ما ثم قال فانما هی زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة و هذا هو لحوق الابدان بالارواح كما تری وللارواح مع ذلك سيرا فی مسيرها وحركة فی طريقها قال سبحانه من‌الله ذی المعارج تعرج الملائكة و الروح اليه فی يوم كان مقداره خمسين الف سنة فبين ان الروح كالملائكة تعرج اليه سبحانه فی معارجه و المعراج السلم و مثله قوله سبحانه رفيع الدرجات ذوالعرش يلقی الروح من امره علی من يشاء من عباده و قد جمع سبحانه اهل السعادة و الشقاء جميعا فی قوله ولكل درجات مما عملوا و قوله و للاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلا و قال سبحانه فی اهل الجنة كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذی رزقنا من قبل و اتوا به متشابها و قال فی اهل النار ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا اذ قداخبر سبحانه ان‌لاوقود لجهنم غير اهلها فخبوها نفاد من فيها بالاحراق.

فصل ۶

فی الصراط قال سبحانه ان‌الذين كفروا وظلموا لم يكن‌الله ليغفر لهم ولاليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقال احشروا الذين ظلموا و ازواجهم و ماكانوا يعبدون من دون‌الله فاهدوهم الی صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لاتناصرون فاخبر تعالی ان‌للجحيم صراطا يهدی‌الظالمون اليها مع ازواجهم وهم‌الشياطين

كما يدل عليه قوله سبحانه فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا الى ان قال و ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .

والصراط كما يدل عليه هذه الايات صراط على الجحيم او فيها اذ قد اخبر سبحانه بالورود و النجاة و الترك في هذه الايات و بالملاء الحتمي في قوله ولوشئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة و الناس اجمعين .

وهذا الصراط الممدود على جهنم ممر الخلايق اجمعين من بر وفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا ولقد كرر سبحانه في هذه الايات لفظ الظلم و مثله قوله سبحانه الذين طغوا في البلاد و الطغيان الافراط في الظلم و الاستكبار فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد و قال سبحانه ان جهنم كانت مرصادا .

والظلم اما بتفريط في جنب الناس واما بتفريط في جنب النفس واما بتفريط في جنب الله وهو الولاية التي لاولياء الله و الجميع يحصل باتباع الهوى و الشيطان واصله الاغترار بزينة الحيوة الدنيا و الاخلاد الى هذه الاوهام التي نسميها مجموعا بنظام التمدن وهو التناصر بالاوهام غير الحقايق ولعل هذا هو المسئول عنه في قوله سبحانه وقفوهم انهم مسئولون مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون .

ومن ما ربظهر معني ماورد من الروايات في الباب ففي تفسير القمي

فی قوله تعالی وجیء یومئذ بجهنم الایه عن الباقر (ع) قال لما نزلت هذهالایة وجیء یومئذ بجهنم اه سئل عن ذلك رسول‌الله(ص) فقال(ص) اخبرنی الروح الامین انالله لااله غیره اذا برزالخلایق وجمع الاولین و الاخرین اتی بجهنم تقاد بالف زمام آخذ بکل زمام مأة الف یقودها من الغلاظ الشداد لها هدة و غضب و زفیر و شهیق و انها لتزفر زفرة فلولا انالله اخرهم للحساب لاهلکت‌الجمیع ثم‌یخرج منهاعنق فیحیط بالخلایق البر منهم و الفاجر ماخلق‌الله عبدا من عبادالله ملکا ولانبیا الا ینادی رب نفسی‌نفسی وانت یانبی‌الله تنادی امتی امتی ثم‌یوضع علیها الصراط ادق من‌الشعر واحد من حدالسیف علیه ثلثة قناطر فاما واحدة فعلیها الامانة والرحم والثانیة فعلیها الصلوة والثالثة فعلیها رب‌العالمین لااله غیره فیکلفون الممر علیها فیحبسهم الرحم و الامانة فان نجوامنها حبستهم الصلوة فان نجوا منها کان المنتهی الی رب‌العالمین وهو قوله ان ربك لبالمرصاد فمتعلق بید وتزل بقدم و یستمسك بقدم و الملائکة حولها ینادون یا حلیم اعف واصفح وعد بفضلك و سلم سلم و الناس یتهافتون فی النار کالفراش فیها فاذا نجی ناج برحمة الله مر بها فقال الحمد لله و بنعمته تتم الصالحات و تزکو الحسنات و الحمدلله الذی نجانی منك بعدایاس بمنه وفضله ان ربنا لغفور شکور و روی الکلینی فی‌الکافی والصدوق فی الامالی مافی معناه.

وفی‌العلل عن‌الصادق (ع) فی تفسیرقوله انهم مسئولون قال(ع) لایجاذبه قدما عبد حتی یسئل عن اربع عن‌شبابه فیما ابلاه و عن عمره

فيما افناه وعن ماله من اين جمعه وفيما انفقه وعن حبنا اهل البيت .

و روى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع) والصدوق فى الامالى و العيون عن النبى (ص) ان المسئول عنه ولاية اميرالمؤمنين (ع) .

و فى المجمع عن النبى (ص) قال يرد الناس النار ثم يصدرون باعمالهم فاولهم كلمع البرق ثم كمرالريح ثم كمحضرالفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه .

و عنه (ص) تقول النار للمؤمن يوم القيمة جزيا مؤمن فقد اطغأ نورك لهبى .

وعن النبى (ص) ايضاانه سئل عن قوله تعالى وان منكم الاواردها الايات فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قدوعدنا ربنا ان نرد النار فقال قد وردتموها وهى خامدة .

اقول وبالتامل فيما قدمنا وفى ماسيجىء فى الشفاعة يتضح معنى هذه الاحاديث والله الهادى .

فصل ۷

فى الميزان قال سبحانه **و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون** بين سبحانه ان الوزن حق ثابت يوم القيمة ثم قال فمن ثقلت موازينه و من خفت موازينه و لعل الجمع باعتبار عددالزنات والثقل فى الحسنات والخفة فى السيئات مع

ان ظاهر الامر يقتضى العكس كما قال والعمل الصالح يرفعه ويرفع الله الذين آمنوا و قال ثم رددناه اسفل سافلين بناءا على ما بينه سبحانه من بوار السيئات وبقاء الحسنات قال تعالى فاما الزبد فيذهب جفاءا واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض فالثقل انما هو للحسنات دون السيئات و فى قوله سبحانه اولئك الذين خسروا انفسهم اه اشارة الى ذلك .

ثم انه سبحانه قال و نضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ففسر الموازين بالقسط وهو العدل فى مقابلة الظلم وبين وجه الثقل فى الحسنات والخفة فى السيئات .

و فى التوحيد عن اميرالمؤمنين (ع) فى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه اه قال (ع) انما يعنى الحسنات توزن الحسنات و السيئات و الحسنات ثقل الميزان و السيئات خفة الميزان .

و فى الاحتجاج عنه (ع) هى قلة الحسنات وكثرتها الحديث و يتبين بما مر معنى قوله سبحانه اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا اذلامعنى لوضع الميزان والوزن مع الحبط .

وبه يتبين ان الوزن بالميزان يوم القيمة يختص بالاعمال غير المحبطة و لذلك فالاية لاتنافى قوله سبحانه فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون و من خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى

جهنم خالدون تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون الم تكن آياتی تتلی علیکم فکنتم بها تکذبون قالوا ربنا غلبت علینا شقوتنا و کنا قوما ضالین .

وبمامر يظهر معنىماورد عنهم(ع) منالروايات : ففیالاحتجاج عن الصادق (ع) حيث سأل عنه الزنديق او ليس توزن الاعمال قال لا لان الاعمال ليست اجساما و انما هی صفة ماعملوا و انما يحتاج الى وزنالشیء من جهل عددالاشياء ولايعرف ثقلهاولاخفتها وانالله لايخفى عليه شیء قال فما معنى الميزان قال (ع) العدل قال فما معناه فی کتابه فمن ثقلت موازينه قال (ع) فمن رجح عمله الخبر .

و فی التوحيد عن اميرالمؤمنين (ع) فیخبر من ادعى التناقض بين آياتالقرآن قال (ع) واماقوله ونضع الموازين القسط فهو ميزان العدل يؤخذ بهالخلايق يوم القيمة يدينالله تباركوتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين الخبر .

وفی الكافی والمعانی عنالصادق (ع) وقد سئل عنقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة قال الانبياء و الاوصياء .

اقول ووجهه واضح مما مر .

و فی الكافی عن السجاد (ع) فی كلام له فی الزهد و اعلموا عبادالله ان اهل الشرك لا ينصب لهم الموازين و لا ينشر لهم الدواوين وانما يحشرون الى جهنم زمرا وانما نصب الموازين و نشر الدواوين لاهل الاسلام واتقواالله عبادالله الخبر .

فصل ۸

فی الكتب قال سبحانه وكل انسان الزمناه طائره فی عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا بين سبحانه انه الزم الانسان طائره وهوعمله الذى يتفأل به ويتشأم به فطائر الانسان عمله الذى قلده ولذلك وصفه بانه فی عنقه وقد كانت الاعمال التى يحفظ للانسان وعليه غيرمحسوسة ولاظاهرة اذالحس فی الدنيا لايجاوز سطح الاشياء والاستدلال فيها انماهو بالاثار لكن نشاةالقيمة نشأة تبلى فيها السرائر وبرزوا لله جميعا فلذلك وصف الطائر بانه سيخرج له كتابا منشورا و قال سبحانه احصاه الله و نسوه و قال سبحانه بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل و نسب الاحصاء و البداء و اللزوم الى نفس الاعمال اذكان الكتاب مشتملا على نفسها او حقايقها دون الخطوط التى نصطلح عليها فيما عندنا من الكتابة و هو قوله سبحانه يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره و قوله سبحانه وليوفيهم اعمالهم وهم لايظلمون.

و من هذا الباب قوله سبحانه يومئذ يتذكر الانسان و انى له الذكرى و قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم و اخر و قد مر ان هذا اليوم محيط بجميع المراتب الوجودية فالاعمال كما تحضر بانفسها تحضر بحقايقها التى ظهرت منها و هو قوله سبحانه و ترى كل امة

جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون وهذاهو الكتاب المخصوص الذى يشتمل على نفس الاعمال ثم قال سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق اناكنا نستنسخ ماكنتم تعملون وهذا هو الكتاب المبين الذى مكتوب فيه ماكان ومايكون وماهو كائن الى يوم القيمة كما فى الاخبار و منه النسخ الجزئية كلها و منه يستنسخ الاعمال فى نشأة ظهورها وهو المشتمل على حقايقها والحجة على الكل ولعله المراد بقوله سبحانه واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب.

و فى الكافى عن الصادق (ع) فى حديث اللوح و هو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلها اولستم عربا فكيف لاتعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب اوليس انماينسخ من كتاب آخر من الاصل وهوقوله اناكنا نستنسخ ماكنتم تعملون.

و فى تفسير العياشى عن خالد بن نجيح عن الصادق (ع) قال اذاكان يوم القيمة دفع الى الانسان كتابه ثم قيل له اقرء قلت فيعرف ما فيه فقال ان الله يذكره فما من لحظة ولاكلمة ولانقل قدم و لا شيء فعله الاذكره كانه عمله تلك الساعة فلذلك قالوا ياويلنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة و لاكبيرة الا احصيها.

وفيه ايضا عن خالد بن يحيى عن الصادق (ع) قريب منه.

اقول وقد فسر (ع) القرائة بالذكر وقد ذكرنا فى رسالتى الافعال والوسائط فى الكتاب كلاما ابسط من هذا.

ثم انه سبحانه قال انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا و

آثارهم فعمم الكتابة لاعمالهم التى فعلوها بلاواسطة ومايترتب عليها من الاثار فالكل محاسب به ويظهربه معنى قوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وآخر .

وفى تفسير القمى عن الباقر (ع) بما قدم من خير وشر و ما اخر فما سن من سنة يستن بها فان كان شرا كان عليه مثل وزرهم و لا ينقص من وزرهم شيئا وان كان خيرا كان له مثل اجورهم ولاينقص من اجورهم شيئا ثم عقبه سبحانه بقوله و كل شيء احصيناه فى امام مبين .

ومن هنا يظهر ان اللوح المحفوظ يحاسب به العباد كما يحاسبون بالالواح المخصوصة لكل واحد واحد منهم .

ويظهر ايضا ان الكتاب الذى ذكره سبحانه بقوله هذا كتابنا ينطق عليكم اه هو اللوح المحفوظ فانه وصف الكتاب فى هذه الاية بالامامة وهو المتبوعية فى الاعمال ووصفه هناك باستنساخ الاعمال منه فهو واحد .

ثم بين سبحانه تفاوت اخذهم الكتاب بالسعادة و الشقاوة فقال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه الى ان قال واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ماحسابيه واليمين و الشمال جانبا الانسان القوى و الضعيف او اليدان التاليتان لهما اوجانبا السعادة والشئامة .

وليس المراد وضع الكتاب فى يد الانسان اليمنى او اليسرى على مايفهمه الظاهريون من المحدثين وغيرهم اذلم يقل سبحانه اوتى

كتابه ليمينه اولشماله بل اتى بالباء المفيد للوساطة ويشهدبه قوله سبحانه فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا و ينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا فقد وضع مكان الشمال قوله وراء ظهره و قوله سبحانه يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرئون كتابهم ولا يظلمون فتيلا و من كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى و اضل سبيلا فقد قال سبحانه انه يدعوهم بامامهم ولم يقل الى امامهم و قد قال كل امة تدعى الى كتابها و لم يقل بكتابها فالدعوة بالامام غير الدعوة الى الكتاب .

ثم فصله سبحانه بان طائفة منهم بعد ذلك يوتى كتابه بيمينه اى بواسطة اليمين فيمينه امامه الحق الذى يدعى به ثم بدل الايتاء بالشمال بقوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا .

فظهر به ان الايتاء باليمين نور واهتداء فى الاخرة كما قال سبحانه يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم و قال و الذين آمنوا بالله و رسله اولئك هم الصديقون و الشهداء عند ربهم لهم اجرهم و نورهم .

ومن هنا يظهر ان النور هو الامام والمراد هو اللحوق به والكلام فيه كثير و بالجملة فيشبه ان يكون المراد باليمين و الشمال البركة و الشأمة والسعادة والشقاوة دون اليدين اليمنى واليسرى وقد عبر سبحانه فى سورة الواقعة عن الطائفتين تارة بقوله واصحاب اليمين مااصحاب

اليمين و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال و تارة بقوله فاصحاب الميمنة مااصحاب الميمنة واصحاب المشأمة مااصحاب المشأمة وتارة بقوله و اما انكان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فوضع فی مكان اصحاب الشمال المكذبين الضالين فهم اصحاب شقاء واصحاب تكذيب وضلال و كانه اشارة الى قوله ومن خفت موازينه الى ان قال الم تكن آياتی تتلی عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوما ضالين .

وقد عرفت هناك كون الاية فی اصحاب الشقاء من ضلال المليين و نقضة عهد الائمة الحق و اما الكفار الجاحدون فلا يقيم سبحانه لهم وزنا فلا كتاب لهم ولا حساب .

وبالجملة فاصحاب الشمال هم الاشقياء اصحاب الضلال ولذلك فهم يقولون فيماحكی عنهم سبحانه مااغنی عنی ماليه هلك عنی سلطانيه فهذه الامور هی الصادة اياهم عن اتباع الحق بعد الاذعان به فكل من اصحاب السعادة و الشقاوة مدعو بامامه ملحق به يوتی بكتابه به و هو اللحوق الذی يشتمل عليه اخبار الطينة و السعادة و الشقاوة الذاتيتين و سياتی ذكر منه انشاءالله و لذلك كان اصحاب الشقاء يؤتون كتابهم بشمالهم و وراء ظهرهم اذائمتهم قدامهم و وجوههم منكوسة مطموسة قال سبحانه فی فرعون يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار و قال سبحانه يا ايهاالذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لمامعكم

من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها و قال سبحانه قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا وقد مر انالنور هوالامام الحق هذا.

والاعتبار ايضا يساعد هذا المعنى فان الانسان بوجوده الدنيوى اعنى بدنه الحى بقواه و احساساته على ما نزل من عند الحكيم الخبير و دبره العليم القدير متوجه القوى و الاحساسات الى جهتى القدام و اليمين واما جهتا الشمال والوراء فعندهما نفاد القوى وهلاك الاحساس والانسان اذاشقى واخلد الىالارض واتبع هواه اقبل الىالارض ووجه وجهه لها واذا قام لربه واحضر لحسابه واتبع الداعى لاعوج له سار و وجهه الى خلفه فحالهم حال ضرير منكوس الوجه مدهوش ساع الى غاية لايدرى مايفعل ولاماذا يفعل به .

واعلم انالامام الحق على انه مهيمن على اناس دعوا به كك هو مهيمن على امام الباطل و حزبه قال سبحانه انا نحن نحيى الموتى و نكتب ما قدموا و آثارهم وكل شىء احصيناه فى امام مبين فوصف الكتاب المحصى لكل شىء منالسعادة والشقاوة بالامامة وقال ايضا هذاكتابنا ينطق عليكم بالحق اناكنانستنسخ ماكنتم تعملون فالامام الذى هوالكتاب حاكم فى الفريقين السعيد والشقى مهيمن على الطائفتين جميعا .

وهذا غيرمناف لما مر انالدعوة الى الكتاب غيرالدعوة بالامام فانه سبحانه ماوصف صحف الاعمال بالامامة بلوصفها بالالزام والمتابعة و قال الزمناه طائره اه و انما وصف بالامامة اللوح المحفوظ الذى منه

يستنسخ الاعمال وصحف الاعمال وهو الاصل المتبوع والامام المقتدى الذى عليه مدار امور العالم برمتها فافهم ذلك .

و اعلم انه سبحانه فسر الامامة في آيات كثيرة بالولاية غير انه وصف نفسه بالولاية دون الامامة لاقتضائه سنخية مابين الامام و المأموم وهو واضح .

وبالجملة فامام الحق ولي المؤمنين وائمة الباطل اولياء الكافرين و الوجه في جميع ذلك واضح و به يتحلّل عقد الاخبار التي تدل على حكومة ارباب الولاية في امر الناس يوم القيمة و سياتي عدة منها .

و اعلم ايضا ان الكتاب يوتى للطائفتين من الناس و هنا جماعة غيرهم و هم السابقون المقربون قال سبحانه **وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة و اصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون** فهؤلاء هم المخلصون المستثنون من حكم الصور والاحضار والميزان وقداستثنوا من حكم اعطاء الكتاب ايضا و سيجيء مزايا أخر من احوالهم في يوم القيمة فحكم الكتاب واقع على غيرهم من اصحاب الاعمال الا المستثنون من المعاندين الجاحدين كمامر قال سبحانه **وكل انسان الزمناه طائره في عنقه** فهي فيمن له عمل فاما من ارتفع عن سطح العمل ممن ليس له الاالله تعالى كالمخلصين و من حبط عمله من المكذبين المنكرين للقاء الله فلاكتاب له اصلا ثم قال سبحانه **ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا** ويشبه ان يكون الكتاب غير الطائر الملزم في عنقه اذلم

يقل سبحانه ونخرجه و كان حق الكلام ذلك لو كان كك فالاية فى مساق قوله **واذا الصحف نشرت** ثم قال سبحانه **اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ويظهر منه ان حال الكتاب وقرائته يومئذ غير حال الكتاب وقرائته عندنا فى الدنيا فافهم وانما هو الذكر قال سبحانه يومئذ ينبوء الانسان بما قدم واخر وهذا فى تفاصيل الاعمال وقال بل الانسان على نفسه بصيرة و هذا فى الاجمال و قد مرت الرواية فى كيفية قرائة الكتاب والله العالم.

فصل ٩

فى الشهداء يوم القيمة قال سبحانه **واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون** وقد عد سبحانه اصنافا من الشهداء على الاعمال يوم القيمة و الشهادة على الشيء هى تلقيه بالحضور و الرؤية و يسمى تحملها و حكايتها كلاهما شهادة ومن المعلوم ان الشهادة على الاعمال ليست على مجرد صورها الظاهرة بل على ماهى عليها من الطاعة والعصيان والسعادة والشقاوة اذهو قضية القضاوة و سيما من احكم الحاكمين.

وهذه الاوصاف غير ممكنة الاحراز الا بارتباط الشاهد على محتد هذه الاعمال من الضمائر و السرائر و خصوصيات انتشائات الاعمال من الارادات و القصود فالشهادة يومئذ على انه تشريف للشاهد بالاذن فى كلامه كما قال سبحانه **لاتكلم نفس الا باذنه** انما يختص بها من آتاه الله

سبحانه هذه الكرامة فى الدنيا و هى الوقوف على حقايق الاعمال و محتدها من الضمائر و السرائر قال سبحانه **لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا** و الصواب خلاف الخطاء و قال **الا من شهد بالحق وهم يعلمون** فالشهادة يومئذ انما تتحقق ممن حفظ اعمال العاملين على حقيقتها من غير خطأ و عوج .

وانت اذا تاملت هذه البنية الانسانية على قواها وحواسها وجدت ان هذه الشهادة والتلقى مستحيلة فى حقها بالنسبة الى اعمال الحاضرين فضلا عن الغائبين ومع الحضور من الشاهد فضلا عن الغيبة ومع القرب فضلا عن البعد و هو واضح فليس الا ان ذلك بامر آخر و قوة اخرى وراء ماعند الانسان المتعارف من القوة والاحساس يمس باطن الانسان ذى الاعمال كمسه بظاهره وبالغايب كالحاضر وبالبعيد كالقريب فهو نور غير جسمانى لا يحتاج الى ما يحتاج اليه الجسم فى تأثيراته و اعماله من خصوصيات الزمان والمكان والحال فهو نور يبصر به السرائر ويميز به الطيب من الخبيث قال سبحانه **كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون** و قال سبحانه **كلا ان كتاب الفجار لفى سجين و ما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين .**

وقد مر فى الفصل السابق ان اصحاب اليمين و اصحاب الشمال يؤتون كتابهم بامامهم الحق وقال سبحانه ايضا **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون و ستردون الى عالم الغيب و الشهادة**

فينبئكم بما كنتم تعملون والخطاب عام غيرمختص بالمنافقين وهو يقتضى خصوصيةالمراد بقولهالمؤمنون اه وفيهتلويح بان رويةالرسول والمؤمنين لاعمالهم ستندرج فى ضمن ماسينبؤهم سبحانه بما كانوايعملون فافهم .

وروى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع) ان اعمال العباد تعرض على رسول الله كل صباح ابرارها وفجارها فاحذروا وليستحيى احدكم ان يعرض على نبيه العمل القبيح .

وروى العياشى فى تفسيره عن الصادق (ع) انه سئل عن قوله وقل اعملوا الايه فقال والمؤمنون هم الائمة .

و الاخبار الواردة فى الكافى و الامالى و المناقب و البصائر و التفسيرين للقمى والعياشى فى هذا المعنى فوق حدالاستفاضة فراجع .

و بالجملة فتحمل هذه الشهادة هو بشهادة نفس الاعمال و كك ادائها يوم القيمة و كك المجازاة بها يومئذ قال تعالى **وجىء بالنبيين والشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لايظلمون و وفيت كل نفس ماعملت وهو اعلم بما يفعلون** هذا جملة الكلام فى الشهادة .

و اما اصناف الشهداء فمن الشهداء الاولياء المقربون من البشر كالانبياء والصالحين من الاولياء قال سبحانه **وجىء بالنبيين والشهداء** وتمييز النبيين من الشهداء كانه نوع تشريف لهم كما قيل وقال سبحانه **و يوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لايؤذن للذين كفروا و لا هم يستعتبون** و الامة الجماعة من الناس و اذا اضيفت الى شىء كنبى او

زمان اومكان تميزت به فالاية عامة لجميع الاولياء ولواجتمع عدة منهم فى امة نبى وقال سبحانه **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .**

والبيان السابق فى معنى الشهيد يوضح ان هذه العطية والكرامة منه سبحانه ليست عامة لجميع امة محمد(ص) بل هى خاصة لبعض الامة والخطاب الواقع لجميع الامة بظاهره باعتبار وجودهم فيها وهوذايع دائر فى الخطابات كقوله سبحانه محمد رسول الله و الذين معه اشداء الى آخر الاية فانه شامل بظاهره لجميع من معه وفيهم المنافقون والفاسقون باجماع الامة وامثاله كثيرة .

و بالجملة فالشهداء من هذه الامة شهداء على الناس و الرسول شهيد عليهم فالامة الشهيدة وسط بين الرسول (ص) و الناس كما ذكره سبحانه و كذلك قوله سبحانه **هو اجتبيكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سميكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس** وهذه الاية فى اختصاص الشهداء اصرح من سابقتها وفى قوله سبحانه هو سميكم المسلمين من قبل اشارة الى دعاء ابرهيم (ع) مع ولده اسمعيل (ع) عند بناء الكعبة **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا و تب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب والحكمة و يزكيهم انك انت العزيز الحكيم .**

ودعائه (ع) حيث انه لولد ابراهيم واسمعيل معا و لمن فى مكة

فهولقريش وحيث انه(ع) دعا اولا باسلامهم لله وارائةالله اياهم مناسكهم وتوبته لهم ثم دعا ببعث رسول يطهرهم ويزكيهم فهم جمع من قريش جمعوا بين١ طهارةالذات والهداية والاهتداء الى عهودالله وبين الايمان برسوله و التزكى و التطهر بتزكيته وتطهيره فهم اشخاص مخصوصون بكرامة الله سبحانه من بين الامة و قوله ليكون الرسول بيان لغاية قوله هو اجتبيكم اه .

وماذكرناه فى معنى الاية هوالذى يفسره به الاخبار الواردة عن ائمة اهل البيت .

ففى الكافى وتفسير العياشى عن الباقر (ع) نحن الامة الوسط و نحن شهداءالله على خلقه وحججه فى ارضه و سمائه .

و عن شواهد التنزيل عن اميرالمؤمنين (ع) ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا و نحن شهداء الله على خلقه وحجته فى ارضه ونحن الذين قال الله و كذلك جعلناكم امة وسطا.

وفى المناقب عن الباقر(ع) فى حديث ولا يكون شهداء على الناس الا الائمة و الرسل فاما الامة فانه غير جائز ان يستشهدهاالله و فيهم من لاتجوز شهادته فى الدنيا على حزمة بقل .

وفى تفسير العياشى عن الصادق(ع) قال ظننت انالله تعالى عنى بهذه الاية جميع اهل القبلة من الموحدين افترى ان من لاتجوز شهادته

١ــ اهل السعادة الذاتية والسعادة المكتسبة وبعبارة اخرى طهارةالذات و التبعية منه .

فى الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيمة ويقبلها منه بحضرة جميع الامم الماضية كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه يعنى الائمة التى وجبت لها دعوة ابرهيم و هم الائمة الوسطى و هم خير امة اخرجت للناس والاخبار فى هذا المعنى كثيرة مستفيضة .

و من هنا يظهر معنى قوله سبحانه **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** فحيث انه صلى الله عليه و آله ليس شاهدا على الناس من امته بلاواسطة بل على الشهداء منهم فالمشار اليهم بقوله على هؤلاء اه هم الشهداء من كل امة المذكور فى الاية .

واصرح منها قوله سبحانه **و يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم و جئنا بك شهيدا على هؤلاء** و ذلك لمكان قوله تعالى من انفسهم وقوله نبعث وجئنا فافهم فرسول الله كما انه شهيد على الشهداء من امته شهيد على جميع الشهداء .

وروى القمى فى قوله تعالى شهيدا على هؤلاء يعنى على الائمة فرسول الله شهيد على الائمة وهم شهداء على الناس .

وفى الاحتجاج عن امير المؤمنين (ع) فى حديث يذكر فيه احوال اهل الموقف قال (ع) فيقام الرسل فيسئلون عن تادية الرسالات التى حملوها الى اممهم فاخبروا انهم قدادوا ذلك الى اممهم و يسئل الامم فيجحدون كما قال الله فلنسئلن الذين ارسل اليهم و لنسئلن المرسلين فيقولون ماجائنا من بشير ولانذير فيستشهد الرسل رسول الله (ص) فيشهد بصدق الرسل و يكذب من جحدها من الامم فيقول لكل امة منهم بلى

قدجائكم بشير ونذير والله على كل شىءقدير اى مقتدر بشهادة جوارحكم بتبليغ الرسل اليكم رسالاتهم و لذلك قال الله لنبيه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الحديث .

و روى العياشى فى تفسيره عن اميرالمؤمنين (ع) فى صفة يوم القيمة قال (ع) يجتمعون فى موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلايتكلم احد الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فيقام الرسل فيسئل فذلك قوله لمحمد (ص) فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا وهوالشهيد على الشهداء والشهداء هم الرسل و قد مر كلام فى معنى الجحد والحلف والكذب الواقع فيهذه الاحاديث .

ومن الشهداء الملئكة الكتبة قال سبحانه وما تكون فى شان و ماتتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الاكنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه و قال و لقد خلقنا الانسان و نعلم ماتوسوس به نفسه و نحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الى ان قال وجائت كل نفس معهاسائق وشهيد وقال سبحانه وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون الى غيرذلك من الايات .

ومن الشهداء الجوارح والاعضاء قال سبحانه اليوم نختم على افواههم و تكلمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بماكانوا يكسبون و قال سبحانه يوم تشهد عليهم السنتهم و ايديهم و ارجلهم بماكانوا يعملون وقال سبحانه و يوم يحشر اعداءالله الى النار فهم يوزعون

حتى اذا ما جائوها شهد عليهم سمعهم و ابصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء و هو خلقكم اول مرة و اليه ترجعون و ما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون و ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين .

وسياق الآيات واردة فى اهل النار فشهادة الجوارح مخصوصة بهم وهى من الشواهد على شمول خطابات الفروع لغير المؤمنين .

وقوله تعالى وقالوا لجلودهم اه وجه تخصيصهم السؤال بالجلود دون الجميع ان السمع والبصر ارفع عن المادة واقرب الى الحيوة والفهم بخلاف الجلود وهى الفروج ومايتلوها فى الحكم فهى اوغل فى المادة وشهادتها اعجب واقطع .

و قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء اه جوابها لهم وقد عدلوا عن الشهادة الى النطق ثم الى الانطاق اشعارا بان الامر الى الله لا اليهم فلا وجه لعتابهم لهم بوضعهم موضع المستقل التام الاختيار فى امرهم بعد ما كان نطق كل شيء منه سبحانه وليس لشيء من الامر شيء ولذا اردف ذلك بقوله و هو خلقكم اول مرة و اليه ترجعون اه فالبدو والعود كلاهما له سبحانه وهو القائم على كل نفس فليس سبحانه غائبا عن شيء بل هو الرقيب وانما يرقب الشيء بالشيء و يحتجب بالشيء عن الشيء ولذا اردفه سبحانه بقوله وما كنتم تستترون اه كانه يقول ما كنتم

تحتجبون عن شهادة الجوارح لالانكم لاتحذرون منها ومن نتيجة شهادتها و لكن ظننتم استقلال الاشياء و غيبة الحق سبحانه عنها وان كل واحد منها منفصل عن الحق ليس مرصادا له سبحانه فظننتم انه لايعلم كثيرا مما تعلمون و هذا هو الغفلة عن الحق سبحانه و انه على كل شىء شهيد وان كل مايحضر عند شىء اويعلمه شىء فهو حاضر عنده بعينه معلوم له بعينه وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين فافهم .

واعلم ان هذا الاصل وهو ان علم الوسائط وقدرتها وساير كمالاتها بعينها له سبحانه كثير الفروع فى القرآن كقوله سبحانه **و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء و لا اصغر من ذلك و لا اكبر الا فى كتاب مبين** و قوله **ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجويهم بلى و رسلنا لديهم يكتبون** و قوله **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين و عن الشمال قعيد** الى غير ذلك من الايات فترى انه سبحانه خلط علمه بعلم الالواح والكتبة .

و بما مر من المعنى يظهر معنى قوله **ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** وقد تكرر هذا اللفظ فى القرآن كثيرا فافهم .

ثم اعلم انه يتحصل من الايات المزبورة ان الحيوة سارية فى جميع الاشياء اذا يجاد النطق و الكلام عند شىء ليس شهادة منه الا

اذاكان الكلام له و هو الحيوة و كك افاضة الحيوة يوم القيمة فحسب لشيء و انبائه عن واقعة قبل اتصافه بالحيوة كوقايع الدنيا ليس شهادة منه اذلاحضور ولاتحمل .

و بهذا يظهر معنى قوله سبحانه **و من اضل ممن يدعوا من دون‌الله من لايستجيب له الى يوم‌القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعدائا و كانوا بعبادتهم كافرين** و قوله سبحانه فى وصف‌الهتم **اموات غير احياء ومايشعرون ايان يبعثون** فافهم وفيما مر من‌المعانى اخبار كثيرة .

ففى الكافى عن الباقر (ع) فى حديث و ليست تشهد الجوارح على مؤمن انماتشهد على‌من حقت عليه كلمة‌العذاب فاما‌المؤمن فيؤتى كتابه بيمينه الحديث .

اقول يشير (ع) الى مافى ذيل آيات‌الشهادة المذكورة **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين ايديهم وماخلفهم وحق عليهم‌القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين.**

وفى تفسير القمى و الفقيه عن الصادق (ع) فى قوله تعالى شهد عليهم سمعهم و ابصارهم و جلودهم الاية قال يعنى بالجلود الفروج والافخاذ .

وفى تفسير القمى قال(ع) اذا جمع‌الله‌الخلق يوم‌القيمة دفع‌الى كل انسان كتابه فينظرون فيه فينكرون انهم عملوا من ذلك شيئا فيشهد عليهم الملائكة فيقولون يارب ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون انهم

لم يعملوا من ذلك شيئا و هو قوله ثم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم فاذا فعلوا ذلك ختم على السنتهم و ينطق جوارحهم بما كانوا يكسبون.

ومن الشهداء الزمان والمكان من الايام الشريفة والشهور والاعياد والجمع والارض والبقاع والمساجد وغيرها قال سبحانه **و تلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين** والبيان المذكور آنفا يوضح هيهنا ان الايام من الشهود ويظهر به ان كلمة من فى قوله منكم ابتدائية لا تبعيضية والشهداء هى الايام وقال سبحانه **ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات اوفى الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير** والبيان السابق عائد هيهنا ايضا وقال سبحانه **واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها.**

وفى الكافى عن الصادق (ع) قال ان النهار اذا جاء قال يابن آدم اعمل فى يومك هذا خيرا اشهد لك به عند ربك يوم القيمة فانى لم آتك فيما مضى ولا آتيك فيما بقى و اذا جاء الليل قال مثل ذلك و روى هذا المعنى ابن طاوس فى كتاب محاسبة النفس عن الباقر و الصادق (ع).

و روى الصدوق فى العلل عن عبدالله الزراد قال سال كهمس اباعبدالله (ع) فقال يصلى الرجل نوافله فى موضع اويفرقها فقال لا بل هيهنا وهيهنا فانها تشهد له يوم القيمة.

ومن الشهداء القرآن والاعمال والعبادات وسياتى ملخص الكلام فيها فى فصل الشفاعة انشاءالله .

واعلم ان البرهان ايضا يفيد مامر من شهادة الشهود فان الاعمال لاتتحقق بينها وبين شيء من الموجودات نسبة الا وهى متحققة بين الذات وبين ذلك الموجود فان الاعمال من تنزلاتها و وجوداتها قائمة الذات بتلك الذوات فببقاء الذات يبقى الصادرات عنها بحسب ما يتحقق بها من الوجود وببقائها تبقى النسب التى الى الاشياء وببقاء النسب تبقى الاشياء ضرورة كون وجوداتها رابطة لاتتحقق الا بطرفين وبحيوتها تحيى الجميع و بحضورها عند الحق سبحانه و بين يديه تعالى بتمام ذاتها و شهادتها و بيانها ماعندها له سبحانه تفعل الجميع ذلك والله العالم فافهم ذلك .

فصل ۱۰

فى الحساب من المعلوم ان الحساب وهو كشف المجهول العددى باستعمال الطرق الموصلة اليه انما يتاتى بلحاظ ظرف العلم و الجهل واما اذا فرض نفس الواقع مع الغض عن العلم و الجهل فلا موضوع لهذا المعنى الذى نسميه حسابا و انما الذى فى الواقع و الخارج هو ترتب النتيجة على المقدمات و المعلول على العلة فالوضع الذى هو (۳×۸ — ۳×٦) يتدرج فيه باستعمال الاسباب والاعمال الحسابية للحصول على النتيجة وهى (۳۰) بالنسبة الينا لجهلنا اولا بذلك وتحصيلنا العلم ثانيا بالحساب ان النتيجة هى الثلثون واما ما فى الخارج فانما هو

عدد مع عدد لانفكاك بينهما ولافصل او ترتب النتيجة على تراكم امور واقعية موجودة فى الخارج ليس بينهما فرجة زمانية ولا فاصلة مكانية.

وعلمه سبحانه بالاشياء الواقعية حيث كان عين تلك الاشياء الواقعية على ما تعطيه الاصول البرهانية دون الصور المنتزعة عن الخارج مثل علومنا الحصولية كان القول فى علمه سبحانه عين القول فى الامور الواقعية فحسابه سبحانه عين حساب الواقع وهو ترتب نتائج الامور عليها فيما كان هناك اثر مترتب و قد اخبر سبحانه ان لكل شيء اثرا فى جانبى السعادة والشقاوة يترتب عليه فى الدنيا.

قال سبحانه قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا انه من يتق و يصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين.

و قال نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع اجر المحسنين.

و قال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء.

وقال ثم كان عاقبة الذين اسائوا السواى ان كذبوا بآيات الله.

و قال وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعدالله لهم عذابا شديدا.

و قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

ومن هذا الباب قوله سبحانه وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت

ايديكم وقوله مااصاب من مصيبة الا باذن الله والايات فى هذاالمعنى كثيرة جدا و هى على كثرتها تفيد ان نتائج الامور تتبعها لا محالة فى الدنيا و الاخرة كما ان البرهان ايضا يفيد ذلك .

ثم ان الامور ونتائجها لاتوجد بنفسها ولابايجادها بل بافاضة منه سبحانه لوجودها فاستتباعها نتائجها استفاضتها منه سبحانه لنتائجها المترتبة عليها كما ان ارتزاق المرزوقين استفاضتها منه سبحانه ما يديم بهبقائها من الوجود فالحساب كالرزق بوجه فلاتزال سحابة الفيض تشرب من بحر الرحمة وتمطر مطر الفيض على بحر الامكان فكل قطرة لاحقة تستمد بهاسابقتها وهوالرزق وترفع بها حاجتها التى تستحقها وتقتضيها و هو الحساب فكما ان افاضة الرزق لها دائم مستمر ضرورى كما قال سبحانه انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكل الحساب بينهادائم مستمر ضرورى فافهم .

وفى النهج سئل عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال (ع) كما يرزقهم على كثرتهم فقيل فكيف يحاسبهم و لا يرونه قال كما يرزقهم ولايرونه اه وهو انفس كلام فى هذا الباب .

وبالجملة فالامور ومنها الاعمال لاتنفك عن حسابها عند تحققها فى الخارج ادنى انفكاك قال سبحانه والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب و قال سبحانه الا له الحكم و هو اسرع الحاسبين اذ مع اختصاص الحكم به سبحانه وعدم وجود حاكم غيره يضاد بحكمه حكمه ويدفع بهامره بنحو من الانحاء بابطال وتعويق وتضعيف وانظار

لايتصور لحكمه سبحانه بطؤ وتعويق و تاخير ولايمكن فيه مسائة و لا صعوبة ولايسر ولاعسر ولاغيرها .

فهذهالمعاني اذااطلقت يرادبها حصول معانيها بالنسبةالى ادراك المحاسبين بصيغةالمفعول كقوله سبحانه و يخافون سوء الحساب وقوله فحاسبناها حسابا شديدا و قوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة .

و روى فى المجمع عن ابىسعيد الخدرى قال قيل يا رسولالله ماطول هذا اليوم فقال (ص) والذى نفس محمد بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا .

وفيهايضا عنابىعبدالله (ع) قال لوولىالحساب غيرالله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا و الله سبحانه يفرغ من ذلك فى ساعة .

اقول و بهذين الخبرين يظهر معني قوله تعالى كان اه فيخفف ذلك على المؤمنين لان وجوههم يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيرون الامر على حقيقته وما امرالساعة الا كلمح البصر ويطول على الكافرين والفاسقين لانهميومئذ عنربهم لمحجوبون فالاختلاف منجانبالناس وغيرهم و اما بالنسبة اليه سبحانه فامره واحد لااختلاف فيه و بالجملة فامر الحساب كما عرفت جار دائما و اما اختصاص يوم القيمة بوقوع الحساب فيه فهو من قبيل اختصاصه فى كلامهتعالى بخصال اخرى غير مختصة به ظاهرا كاختصاص الملك يومئذ لله وبروز الناس يومئذ لله و

كون الامر يومئذ لله و غير ذلك و قد عرفت فيما مر معنى ذلك فوقوع الحساب فيه هو ظهور النتيجة حقيقة بتمام المعنى فهو ظهور نتيجة الخلقة ووصول الممكن الى غاية سيره فى سبيله من الله اليه قال سبحانه **و نضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا و ان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها و كفى بنا حاسبين** و قال **افحسبتم انما خلقناكم عبثا و انكم الينا لا ترجعون** و قال **و ان الى ربك المنتهى**.

و من هنا يظهر ان الانسان كلما قرب من طريق السعادة ملازما للصراط المستقيم كان الحساب عليه يسيرا فانه اقرب الى النتيجة المقصودة من الخلقة قال سبحانه **فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** و كلما بعد عن الحق و نكب عن مستقيم الصراط كان الحساب عليه عسيرا فانه ابعد عما اودع الله عزوجل فى فطرته من نتيجة الخلقة و غاية الوجود قال سبحانه **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير** و قال **و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا** و قال **و اما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه و لم ادر ما حسابيه** و ينتهى الامر من الطرفين الى من لا حساب له ممن لا يليه الامر فلا عمل له فلا كتاب فلا حساب و هم المخلصون المقربون قال سبحانه **انهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين** و ممن لا مولى لهم فحبطت اعمالهم فلا كتاب لهم فلا وزن و لا حساب.

روى فى المعانى عن الباقر (ع) قال قال رسول الله (ص) كل محاسب معذب فقال قائل يا رسول الله فاين قول الله فسوف يحاسب حسابا

يسيرا قال (ص) ذلك العرض يعنى التصفح اقول و هذا حديث اطبق الفريقان على رواية معناه واتفقوا على صحته.

و روى العياشى و غيره بطرق متعددة عن الصادق (ع) فى قوله سبحانه ويخافون سوءالحساب ان معناه الاستقصاء والمداقة وانه يحسب لهم السيئات ولايحسب لهم الحسنات.

ومن مامر يتضح امر السؤال وهومن توابع الحساب فان السؤال وهو استيضاح ماعند المسئول من حقيقة الامر والامر يومئذ يدورمدار تفريغ ماعند النفس بحسب الحقيقة من تبعاتها ولواحقها واذنابها التى اكتسبتها من السعادة و الشقاوة و تفريغ حسابها و توفية نتيجته لها قال سبحانه يوم تبلى السرائر وهى مكامن النفوس وقال سبحانه بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل و قال سبحانه و لا يكتمون الله حديثا و قال سبحانه وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله و ما ورد ان الاية منسوخة بقوله تعالى الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فمعنى النسخ هو التفسير و البيان دون بيان غاية الحكم و انقضائها فان ذلك مختص بالشرايع والاحكام غيرجائز فى الحقايق وقال سبحانه فوربك لنسئلنهم اجمعين عماكانوا يعملون و قال فلنسئلن الذين ارسل اليهم و لنسئلن المرسلين و قال وقفوهم انهم مسئولون.

و اعلم ان هذه الايات تعطى عموم السؤال و الحساب لجميع الاعمال والنعم وهوالمحصل من جماعة الاخبار.

ففى نوادر الراوندى باسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن آبائه (ع)

قال قال رسول‌الله (ص) كل نعيم مسئول عنه يوم القيمة الا ماكان فى سبيل‌الله .

وفى امالى المفيد مسندا عن ابن‌عيينة قال سمعت اباعبدالله (ع) يقول مامن عبد الا ولله عليه حجة اما فى ذنب اقترفه واما فى نعمة قصر عن شكرها .

وفى كتاب الحسين‌بن‌سعيد عن‌الصادق (ع) الدواوين يوم‌القيمة ثلثة ديوان فيه النعم و ديوان فيه الحسنات و ديوان فيه الذنوب فيقابل بين ديوان‌النعم وديوان‌الحسنات فتستغرق عامة‌الحسنات وتبقى‌الذنوب والاخبار فى هذه المعانى كثيرة .

و اجمعها معنى ما رواه الصدوق فى التوحيد عن ابن اذينة عن الصادق (ع) قال قلت‌له جعلت فداك ماتقول فى‌القضاء والقدر قال‌اقول ان‌الله اذا جمع‌العباد يوم القيمة سالهم عما عهد اليهم و لم يسئلوا عما قضى عليهم الحديث .

نعم روى‌اصحابنا عن‌على والباقروالصادق والرضا عليهم‌السلام فى قوله سبحانه ولتسئلن يومئذ عن النعيم ان المراد بالنعيم هو الولاية لامايرتفع به‌الحوائج الانسانية من ماكول ومشروب وملبوس وغيرها.

فعن الصادق (ع) انه قال‌لابى‌حنيفة بلغنى انك تفسرالنعيم فيهذه الاية بالطعام الطيب و الماء البارد فى اليوم الصائف قال نعم قال (ع) لودعاك رجل و اطعمك طعاما طيبا و سقاك مائا باردا ثم امتن عليك به الى ماكنت تنسبه قال الى البخل قال (ع) افبخل‌الله تعالى قال فما هو

قال (ع) حبنا اهل البيت .

وفى الاحتجاج عن على(ع) فى حديث انالنعيم الذى يسئل عنه رسولالله ومن حل محله من اصفياءالله فانالله انعم بهم على من اتبعهم من اوليائهم .

وفى المحاسن عن ابى خالد الكابلى عن الباقر (ع) فى حديث بعد ذكر الاية قال (ع) انما تسئلون عما انتم عليه من الحق الحديث .

و الاعتبار العقلى يساعد هذا المعنى فان الولاية و هى معرفةالله والتحقق بها حيث كانت غاية الخلقة لاغاية غيرها فكل افاضة انماتكون نعمة و ملائمة للكمال و الراحة اذا وقعت فى طريق الغاية او لو حظت من حيث صحة وقوعها فى طريقها لكنها بعينها اذا وقعت فى طريق يضاد الغاية صارت نقمة و اذا لم تقع فى طريق اصلا كانت لغوا باطلا فكل شىء نعمة من حيث ايصالهالانسان الى ساحةالولاية واما مع الغض عن ذلك فلانعمة فصح انالنعمة المطلقة هى التوحيد و النبوة و الولاية كما فى بعض الروايات وصح ان النعمة بالنسبة الينا هىالولاية كما فى بعض آخر فافهم والله الولى الحق .

فصل ١١

فى الجزاء قال سبحانه ليجزى الذين اسائوا بماعملوا و يجزى الذين احسنوا بالحسنى و مجازاة المحسن بالجنة و المسىء بالنار فيها آيات كثيرة جدا وقد جعلها سبحانه احدالدليلين على وقوع الحشر

فقال وما خلقنا السماء و الارض و ما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار فان الحكيم من حيث هو حكيم كما يستحيل ان يفعل فعلا لاغاية له ولانتيجة متولدة من فعله كما هو مفاد الدليل الاول كك يستحيل عليه ان يهمل امرجماعة فيهم الصالح والطالح والظالم والمظلوم فلايجازى المحسن باحسانه والمسىء باسائته.

ثم انك ترى انه سبحانه اقر النسبة بين العمل والجزاء فالاحسان يجزى بالاحسان والاسائة تجازى بالاسائة ثم جاوز وعده ووعيده مطلق الاحسان والاسائة فايد خصوصيات فى الاحسانات و الاسائات بحسب خصوصيات فى الاعمال فايد بذلك ان بين الاعمال وجزائها نسباخاصة و ارتباطات مخصوصة ثم جاز كلامه سبحانه ذلك بان اخبر بالعينية و الاتحاد بين العمل و جزائه قال سبحانه و لكل درجات مما عملوا و ليوفيهم اعمالهم و هم لا يظلمون فصدر الاية يحكى عن النسبة المذكورة ووسطها عن الاتحاد بين العمل والجزاء و ذيلها عن الجزاء العادل وهوسبب النسبة والعينية المذكورتين وماذكرناه من معنى الحساب وحقيقته فى الفصل السابق عائد هيهنا ايضا تعالى و قال سبحانه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون و قال وما تنفقوا من خير يوف اليكم و انتم لاتظلمون و قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير

ذلك من الايات الكثيرة الدالة على ان ما يعمله الانسان من خيرا و شر سيرد اليه بعينه .

ثم شرح سبحانه معنى هذه العينية فقال ان الذين يكتمون ما انزل‌الله من الكتاب و يشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الاالنار ولا يكلمهم‌الله يوم‌القيمة ولا يزكيهم ولهم‌عذاب اليم فبين‌ان معصيتهم على كونها فيهذه‌النشأة فى‌صورة كتمان ما انزل‌الله واشتراء الثمن القليل بذلك فهى بعينها متصورة فى‌الباطن بصورة اكل النار كما ورد مثله فى‌اكل مال‌اليتيم ظلما ثم اردف سبحانه ذلك بقوله اولئك‌الذين‌اشترو االضلالة بالهدى والعذاب‌بالمغفرة فما‌اصبرهم على النار فبين ان هؤلاء بدلوا الهدى والمغفرة بهذاالضلال والعذاب و الهدى و المغفرة مرتبان على الاستقامة و التقوى كما ان اكل النار و الضلالة والعذاب تترتب على‌الكتمان والاشتراء المذكورين فالتعرض منه سبحانه بالتبديل فيما يترتب على‌المعاصى دون‌ظاهر نفس‌المعاصى وتبديله سبحانه اكل النار واخواته بمعنى عام و هو الضلال و العذاب بيان منه تعالى لكون تبدل صورة الافعال مطردا فى جانبى الطاعات و المعاصى جميعا فافهم وتدبر .

ثم بين سبحانه ذلك فى المؤمنين خاصة فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من‌الظلمات الى‌النور وقال اولئك كتب فى‌قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه و هو روح الايمان و قال ولكن جعلناه اى النور المنزل على رسول الله نورا نهدى به من نشاء من عبادنا

وهو روح القدس وقال يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به و يغفر لكم وقال لهم اجرهم و نورهم الى غير ذلك من الايات .

وبالجملة فصور علومهم واخلاقهم واعمالهم انوار الهية طاهرة موهوبة تطهرهم من الارجاس وتنجيهم من الظلمات فيشاهدون به عظمة الله و كبريائه وملكوت السموات والارض طوبى لهم وحسن مآب .

ثم بين سبحانه ذلك فى الكافرين و الفاسقين فقال عز من قائل والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات و قال و الذين كذبوا بآياتنا صم و بكم فى الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وقال انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم و قال و من يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين و قال كذلك زينا لكل امة عملهم الى ان قال و نقلب افئدتهم و ابصارهم و قال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون و قال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالاً فهى الى الاذقان فهم مقمحون و جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءا حتى اذا جائه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب

فاخبر سبحانه ان الشرك بالله والمعاصى على اختلاف تصوراتها توجب خروجهم من النور الى عالم الظلمات فيضلهم الله عزوجل فى الظلمات ويصمهم ويبكمهم ويعميهم ويرسل الشياطين اليهم وهم قرنائهم الى يوم القيمة فيقطب ابصارهم وافئدتهم فلايقصدون الاالسراب الباطل ولايقدرون ان يروموا الحق و يتناولوه كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه بل الاغلال فى اعناقهم والسدود من بين ايديهم ومن خلفهم وهم المغشيون وليس كل ذلك الا صور الاعمال ونتيجة الحساب فيما يعتبر فيه ثواب وعقاب هذا.

وكثير من الاخبار يشهد بذلك فعن رسول الله (ص) كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون الخبر و هو من جوامع الكلم و هو مع قوله (ص) الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الخبر يعطيان علم مبدء الانسان ومعاده بالاستيفاء.

وفى الكافى عن الصادق (ع) قال اذا وضع الميت فى قبره مثل له شخص فقال يا هذا كنا ثلثة كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك وكان اهلك فخلفوك و انصرفوا عنك وكنت عملك فبقيت معك اما انى كنت اهون الثلثة عليك.

وعن البهائى رحمه الله قال روى اصحابنا عن قيس بن عاصم قال وفدت مع جماعة من بنى تميم على النبى (ص) فدخلت عليه و عنده الصلصال بن الدلهمس فقلت يارسول الله عظنا موعظة ننتفع بها فانا قوم نعير فى البرية فقال رسول الله ياقيس ان مع العز ذلا وان مع الحيوة موتا

وان مع الدنيا آخرة و ان لكل شيء حسيبا و ان لكل اجل كتابا و انه لابدلك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حى وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لايحشر الا معك ولا تحشر الا معه ولا تسئل الاعنه فلاتجعله الاصالحا فانه ان صلح أنست به وان فسد لاتستوحش الامنه وهو فعلك الخبر .

والاخبار فى تمثل الصوم والصلوة والزكوة و الولاية و الصبر والرفق والقرآن والتسبيح والتهليل وساير العبادات و المعاصى بصور تعطيها معانيها اكثر من ان تحصى والبرهان المذكور سابقا يعطى ذلك .

و ايضا الثواب و العقاب انما هما على الطاعة و المعصية اى موافقة الامر ومخالفته وهو كما ذكرناه فى رسالة الانسان فى الدنيا امر اعتبارى وهمى والثواب والعقاب الاجلان من الامور الحقيقية الواقعية و النسبة الرابطة بين الامر الاعتبارى و الحقيقى ممتنعة الا بكون الامر الاعتبارى مكتنفا بامر حقيقى و حيث ان الانسان بثبوته يثبت الطاعة والمعصية ولو فرضنا رفع ماعداه وبارتفاعه يرتفعان و لو فرضنا وضع ماعداه فهذا الامر الحقيقى مع الانسان و هو مجموع النفس و البدن و البدن يتبدل بالتدريج قطعا مع بقاء صفة الطاعة و المعصية و السعادة والشقاوة فالذى يدورمداره الامر هو الروح الذى هو الانسان فمع الانسان معنى هو المصحح للنسبة المذكورة و هو المعانى المخصوصة من خصوصيات الطاعات والمعاصى .

فصل ۱۲

فی الشفاعة قال سبحانه و اتقوا یوما لاتجزی نفس عن نفس شیئا و لا یقبل منها شفاعة ولا یؤخذ منها عدل و لاهم ینصرون وقال واتقوا یوما لاتجزی نفس عن نفس شیئا ولا یقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ینصرون و قال یاایها الذین آمنوا انفقوا مما رزقناکم من قبل ان یاتی یوم لابیع فیه ولا خلة و لا شفاعة تنفی الایات قبول شفاعة من نفس فی نفس غیر ان هناك آیات اُخر تخصص هذا العموم و تفسره کما تخصص عموم عدم النصر و تفسره قال سبحانه یوم لایغنی مولی عن مولی شیئا و لا هم ینصرون الا من رحم الله انه هو العزیز الرحیم و قال من ذاالذی یشفع عنده الا باذنه یعلم مابین ایدیهم وماخلفهم وقال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فبین سبحانه ان الشفاعة یومئذ لاتقع ولا تنفع الا باذن للشافع فی شفاعته وللمشفوع فی الشفاعة له وقد فسر الاذن للشافع بقوله یومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضی له قولا فاذنه سبحانه رضاه بقوله ای کون قوله و هو شفاعته مرضیا و قال سبحانه یوم یقوم الروح والملائکة صفا لایتکلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فالقول المرضی هو القول الصواب و قد اسلفنا فی فصل الشهادة ان مرجع ذلك الی انتهاء اعمال العاملین و لحوقها بهذا الذی اذن له فی القول الصواب وحضورها له ووساطته فی افاضة الفیوضات

الالهية لهم و يرجع ذلك الى تمكين الحق سبحانه للشافع من شهادة حقايق الاعمال و العلم بها كما قال سبحانه ولا يملك[١] **الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون.**

وبالجملة فاذنه سبحانه فى قول هو الرضا عنه ومن المعلوم ان الرضا لا يتعلق الا بكمال الشىء من حيث انه كمال فالقول المرضى عنه هو كمال القول و هو كونه صوابا فالماذونون مرضيون فى قولهم صائبون فى علمهم مرضيون فى ذاتهم اذالقول من آثار الذات ولا يستكمل اثر من آثار الذات الا بعد استكمال نفسه التى هى المبدء و هو ظاهر دون العكس اذالذات يمكن ان يقع مرضيا لطهارة محتده وخلوص عقايده ولايقع مرضيا فى افعاله وآثاره لورود مانع حاجب.

والحاصل ان الشافعين هم الذين رضى الله عنهم و رضى قولهم اى شهد كمالهم وكمال قولهم لا يشوبه نقص و لا خطأ اى ان علمهم علمه سبحانه لم يختلط بشبهات الاوهام و خطأ الاهواء فان العلم فيما يحيط به ويصدق هو له سبحانه قال تعالى **ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء** ولذلك فان النبيين وهم السابقون من المرضيين ينفون العلم عن انفسهم اذا خاطبهم الله سبحانه **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب** مع ان العلوم التى معهم

١ـ فقد اخذ سبحانه فى تملك الشافع للشفاعة قيدين وهما العلم وكون الشفاعة بالحق دون الباطل والظاهر ان المراد بالشهادة هوالتحمل دون الاداء وانكان مرجعهما واحدا منه.

اكثر واصدق من علوم غيرهم بلاشك فهؤلاء باقون على طهارة الذات الاصلية موفون بعهدهم الذى واثقوه مع ربهم قال سبحانه **لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا** و بالجملة فالشافعون هم المرضيون ذاتا واعمالا .

و مثل ذلك فى الذات ماخوذ فى جانب المشفوعين قال سبحانه **ولايشفعون الا لمن ارتضى** فالارتضاء مطلق وليس ناظرا الى الاعمال فان الشفاعة انما هى فيها فالارتضاء انما تعلق بهم لا باعمالهم اى ان نفوسهم طاهرة بالايمان ويشهد به ايضا قوله سبحانه **ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم** يشعر بان الايمان وهو مقابل الكفر مرضى له .

ثم انه سبحانه قال فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين فيان بذلك ان نفع الشفاعة هو تبدل السيئات التى توجب الفسق بغيرها من الحسنات بسببها حتى يحصل الرضا رضى الرب وقد وعد سبحانه مغفرة الصغاير من المعاصى لمن اجتنب الكبائر منها فقال **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** و قال سبحانه **الذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة** فلم يبق لسخط الرب سبحانه وعدم رضاه الا الكبائر فهى المستحق بها الشفاعة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله فيما رواه الفريقان قوله(ص) انما شفاعتى[١] لاهل الكبائر من امتى اومافى معناه فالشفاعة انما توجب تبدل

١ـ ويظهر مما قدمناه من القول فى باب الشهادة من عموم شفاعته (ص) ان المراد بالشفاعة هو الشفاعة الخاصة فى الحديث او ان قوله من امتى متعلق بقوله شفاعتى اه منه .

هذه الكبائر قال سبحانه **الامن تاب و آمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** فالشفاعة كماترى تحل محل العمل الصالح وقال سبحانه **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** فالشفاعة كالعمل الصالح تفيد رفع الكلم الطيب و هو الايمان الى الله سبحانه فالشفاعة توجب لحوق المذنبين من المؤمنين فقط بالصالحين منهم فمثل الشفاعة كمثل البدن اذا اعتراه مرض اوقرحة مخطورة فان المزاج اذا كان قويا والطبيعة البدنية سالمة اصلحت الصحة ودفعت المرض عنه والا احتيج الى علاج بالضد و دواء يبطل فعل المرض و ينصر الطبيعة فى اعادتها صحة البدن اليه و تبديلها المواد الفاسدة المجتمعة فيه الى الصالحة الملائمة له فالفاعل للصحة على كل حال هى الطبيعة غير انها مستقلة فى فعلها حينا ما ومحتاجة الى ناصر ينصرها حيناما و لذلك فانه سبحانه يكرر القول بان لكل نفس ماكسبت وعليها ممااكتسبت واصرح من ذلك محلا قوله سبحانه **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم و ما التناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين** فبين اولا انه سيلحق ذريتهم بآبائهم فى درجاتهم لافى اصل الرحمة لقوله وماالتناهم من عملهم من شىء اه ثم اردفه بقوله تعالى كل امرىء بما كسب رهين اه فعد هذا اللحوق من الكسب مع ان اعمالهم دون ذلك فعلمنا به ان الايمان توجب اتصالا ما من الدانى بالعالى واذا حجبهما من الاستواء فى الدرجات حاجب مانع من القصور اصلحه الايمان وارتفعا جميعا الى درجة واحدة وهذه حال الشفاعة توجب لحوق المشفوع

بالشافع ثم اصلاح اعماله السيئة وجعلها حسنة بذلك .

وفي قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات اه اشارة الى ذلك اذ لولا اصل محفوظ بين المبدل و المبدل منه كان التبديل اعداما للمبدل و ايجادا للمبدل منه .

واعلم ان المغفرة في ذلك كالشفاعة و سياتي في فصلي الاعراف والمغفرة مايتبين به هذا المعنى فضل تبين .

ومن هنا يتبين ان الشفاعة نوع تصرف في الاعمال بتبديلها ولذلك خصه سبحانه بنفسه في قوله ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولاشفيع .

وهذا يؤيد ماذكرناه من مقام الشافع ان الشفاعة لاتتم الا بكمال القرب منه سبحانه ويظهر ذلك ايضا من قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذافزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير والتفزيع عن القلب كشف الفزع وهو الدهشة والصعقة التي توجب غيبوبته عن نفسه و قوله سبحانه ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه اذاضم الى الاية الاولى و السياقان واحد افادت ان تمليكه تعالى الشفاعة لغيره يتحقق بعد الاذن اي بعد الاذن يتحقق كون فعل الشافع في شفاعته و قوله فعل الله سبحانه واصرح منه قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين ايديهم و ما خلفهم فالاذن هو الموجب لهذا الذي نسميه كمال القرب و هو الجاعل فعل الشافع فعله سبحانه و قد مر تفسير الاذن بالرضا و قد قال

سبحانه ايضا يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا و لا هم ينصرون الا من رحم‌الله فبين به ان‌الذى نسميه شفاعة قائم بالرحمة فهو رحمته سبحانه كما يستشم ايضا من قوله سبحانه و رحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون .

ثم انه سبحانه قال لرسوله و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهو كلام مطلق يعطى ان له (ص) من‌الله سبحانه مقاما غير مقام الشفاعة ارفع منها وهو مقام الاذن الذى يحصل بعده وبسببه الشفاعة فهو (ص) شفيع الشفعاء كما مر انه (ص) شهيد الشهداء .

واعلم ان مساق هذه‌الاية فى تفضيله(ص) على العالمين غيرمساق قوله ولقد آتينا بنى‌اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين الايه فان‌الظاهرمنها ان‌تفضيلهم انما هو بجمع الايات الباهرات لهم وهو كك و ليس تفضيلا فى قرب التقوى من‌الله تعالى ويدل على ذلك‌النقمات والسخطات ونزول‌الرجز بهم و ليس تفضيل امة على العالمين كتفضيل الواحد على العالمين و خاصة بالرحمة‌التى هى‌الواسطة التامة بين‌الله سبحانه وبين‌الموجودات وهى شىء فى البين وليس بشىء فى البين فهو سبحانه يخلق كل شىء بذاته ويرزق كل شىء بذاته ويبدء ويدبر و يعيد كل شىء بذاته و يفعل ذلك كله برحمته .

و فى هذا المعنى خطابه تعالى له (ص) بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا و لفظ يبعث كانه تضمن معنى الاقامة و هو كلام

مطلق لم يعتره فی کلامه سبحانه تقييد فهو مقام محمود بكل حمد من کل حامد فهومقام فيه كل جمالو كمال لاقتضاء الحمد ذلك فكل جمال و کمال مترشح من هناك وقد قال سبحانه الحمد لله رب العالمين فخص کل حمد من کل حامد بنفسه فالمقام المحمود مقام متوسط بينه سبحانه وبين الحمد فهو كالرحمة شیء وليس بشیء وهو المسماة بالولاية الكبرى و قال سبحانه و لسوف يعطيك ربك فترضى و هذا ايضا كلام مطلق ومن المعلوم ان العطية المطلقة منه سبحانه هی الرحمة المطلقة فيرجع مضمون الاية الى الايتين وهما و ماارسلناك الا رحمة للعالمين و عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وتزيد عليهما بالرضى و لم يقل سبحانه حتى ترضى فان العطية هذه العطية غير تدريجية بتواتر الامثال وتعاقب الجزئيات و هيهنا كلام كثير لكنه ارفع سطحا مما جرينا عليه فی هذه الرسالة .

فالمحصل من جميع مامر ان محمدا صلى الله عليه و آله على ان له الشفاعة للمذنبين من امته له مقام الاذن فی الشفاعة والاخبار فی ذلك كثيرة متضافرة .

فقد روى القمی فی تفسيره عن الباقر (ع) فی حديث ثم قال مامن احد من الاولين والاخرين الا وهو محتاج الى شفاعة محمد (ص) يوم القيمة الحديث .

وروى هذا اللفظ فی المحاسن عن الصادق (ع) .

و روى العياشی فی تفسيره عن الصادق (ع) فی حديث طويل

ثم قال ابوعبدالله (ع) ما من نبی من لدن آدم الی محمد الا وهم تحت لواء محمد (ص) الحدیث .

و روی القمی فی تفسیره عن سماعة عن الصادق (ع) قال سالته عن شفاعة النبی (ص) یوم القیمة قال یلجم الناس یوم القیمة العرق ویرهقهم القلق فیقولون انطلقوا بنا الی آدم یشفع لنا فیاتون آدم فیقولون اشفع لنا عند ربك فیقول ان لی ذنبا وخطیئة فعلیکم بنوح فیاتون نوحا فیردهم الی من یلیه ویردهم کل نبی الی من یلی حتی ینتهون الی عیسی فیقول علیکم بمحمد(ص) فیعرضون انفسهم علیه ویسئلونه فیقول انطلقوا فینطلق بهم الی باب الجنة ویستقبل باب الرحمن و یخر ساجدا فیمکث ماشاءالله فیقول الله عزوجل ارفع راسك واشفع تشفع وسل تعط وذلك قوله عسی ان یبعثك ربك مقاما محمودا .

وروی العیاشی فی تفسیره مایقرب منه وهذا المعنی وارد فی انجیل برنابا بنحو ابسط فیما بشر به المسیح عیسی بن مریم (ع) بمحمد(ص).

وروی فرات بن ابرهیم فی تفسیره عن بشر بن شریح قال قلت لمحمد بن علی (ع) اية آية فی کتاب الله ارجی قال (ع) ما یقول فیها قومك قلت یقولون یا عبادی الذین اسرفوا علی انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال(ع) لکنا اهل بیت لانقول ذلك قال قلت فای شیء تقولون فیها قال نقول و لسوف یعطیك ربك فترضی الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة .

القول فی اقسام الشافعين

منهم الانبياء والاولياء من البشر وقد سبق الكلام فيه .

ومنهم الملائكة قال سبحانه وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء و يرضى الى غير ذلك من الايات .

و منهم المؤمنون قال سبحانه وما اضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين فقد استشعروا ان هناك صديقا حميما ينفع البعض لمكان قولهم لنا اه ويظهر منه ان الشافع والحميم انما ينفع المؤمنين .

وفى الكافى عن الباقر (ع) ان الشفاعة لمقبولة وماتقبل فی الناصب و ان المؤمن ليشفع جاره و ماله حسنة فيقول يا رب جارى كان يكف عنى الاذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى انا ربك وانا احق من كافى عنك فيدخل الله الجنة وماله من حسنة وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلثين انسانا فعند ذلك يقول اهل النار فمالنا من شافعين ولاصديق حميم والروايات فيهذا المعنى كثيرة .

ومن الشفعاء القرآن والامانة والرحم عدت من الشفعاء فی الروايات ففى فردوس الديلمى عن ابى هريرة عن النبى (ص) قال الشفعاء خمسة القرآن والامانة والرحم ونبيكم واهل بيت نبيكم .

اقول ولعل شفاعة الثلث الاول يستفاد من قوله سبحانه فی وصف

كتابه هدى و رحمة و بشرى للمسلمين وقد قال سبحانه يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا ولاهم ينصرون الا من رحم‌الله وقوله سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات و المشركين و المشركات و يتوب‌الله على المؤمنين و المؤمنات و كان‌الله غفورا رحيما فبين سبحانه ان غاية عرض الامانة على الانسان وتحمله لها هوالتوبة على المؤمنين والعذاب على المنافقين والمشركين بسببها و هو الشفاعة و قد فسرنا الاية سابقا بالولاية ولاتنافى وذلك لان المأخوذ فى كلامه سبحانه الامانة دون الولاية فهو اخذ الخاص من العام وانطباقه به فافهم وقوله سبحانه انه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هيهنا حميم والحميم هو القريب ذوالرحم والدليل على شفاعته قوله تعالى له اه.

وفى الكافى عن سعد الخفاف عن الباقر (ع) انه قال ياسعد تعلموا القرآن فان القرآن ياتى يوم القيمة فى احسن صورة نظر اليه الخلق ثم ذكر (ع) انه ياتى صف المسلمين ثم صف الشهداء ثم الانبياء ثم الملائكة و كل يحسب انه منهم ثم يشفع فيشفع ويسأل فيعطى وفى آخره قال سعد قلت جعلت فداك ياابا جعفر وهل يتكلم القرآن فتبسم (ع) ثم قال رحم‌الله الضعفاء من شيعتنا انهم اهل تسليم ثم قال نعم ياسعد والصلوة تتكلم ولها صورة و خلق تامر وتنهى قال سعد فتغير لذلك لونى و قلت هذا شىء لااستطيع اتكلم به فى الناس فقال ابوجعفر (ع) و هل الناس الا شيعتنا

فمن لم يعرف بالصلوة فقد انكر حقنا ثم قال ياسعد اسمعك كلام القرآن قال سعد فقلت بلى صلى الله عليك فقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر فالنهى كلامٌ الفحشاء و المنكر رجال و نحن ذكرالله و نحن اكبر الحديث.

و هو مشتمل على معان جمة يستفاد بها اخرى و الذى يرتبط بما نحن فيه ان المعانى التى تشترك فى اللفظ مع المعانى والاحوال الموجودة فى الاحياء كالامر والنهى والنفع و الشفاعة وغيرها ستتمثل فى البرزخ بصورها و يتحقق فى الحشر بحقيقتها و لمزيد البيان موضع آخر على انها مستفادة من البرهان المذكور سابقا وهيهنا روايات أُخر متفرقة فى ابواب المعارف والعبادات.

ومن الشفعاء الاعمال الصالحه قال سبحانه **الا من تاب وآمن و عمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** فقدمر ان معنى الشفاعة تبديل سيئة المذنب بالحسنة لقرب بين الشافع و المشفوع له و الرواية السابقة فى شفاعة القرآن تعطى معنى كليا فى شفاعة الاعمال.

فصل ۱۳

فى الاعراف قال سبحانه **وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم** اعراف الحجاب اعاليه و الاعراف التلال المرتفعة من كثبان الرمل واتصال الاعراف فى الاية الشريفة بالحجاب يؤيد المعنى الاول وكون الرجال عليها يؤيد المعنى الثانى لكن لامغايرة

فالحجاب مايحجب شيئا عن شيء فهولاء الرجال فى مقام عال مرتفع مطل على الفريقين اهل الجنة و اهل النار مشرف على المقامين الجنة و النار و لذلك كانوا على الاعراف ليعرفوا كلا بسيماهم و قد وصف سبحانه الامر بلسان آخر فى قوله **يوم يقول المنافقون و المنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** فقوله انظرونا نقتبس من نوركم كقوله فى ذيل آية الاعراف **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اوممارزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين** واختصاص المنافقين بالباب لمكان نفاقهم واشتراكهم مع المؤمنين فى ظاهر امرهم فيعذبون من ظاهر الحجاب من قبل الباب.

وبالجملة فقد بين سبحانه ان هذا الحجاب و السور شيء واحد ذوظاهر وباطن وان الرحمة للفائزين فى باطنه وان العذاب للهالكين فى ظاهره فكانهم لوجازت انظارهم ظاهره اصابوا النعيم وغشيتهم الرحمة وكان المؤمنين والكافرين ليس قبلهم الا شيء واحد وانما الاختلاف من ناحية ادراكهم كحالهم فى الدنيا وهو السبيل الى الله سلكه المؤمنون فى الدنيا صراطا مستقيما و انحرف فيه غيرهم و لذلك قال سبحانه قبل آية الاعراف **و نادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله**

و يبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون فالسبيل واحد وهولله والى الله سلكه سالك بالاستقامة وآخر قصده عوجا ومنحرفا وهذا المعنى مكرر الورود تصريحا وتلويحا فى القرآن قال سبحانه يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات و الارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى و ان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون و قال و الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان مائا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا و وجدالله عنده فوفيه حسابه و قال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله و هو اعلم بمن اهتدى و قال سبحانه ان الذين لا يرجون لقائنا و رضوا بالحيوة الدنيا و اطمانوا بها و الذين هم عن آياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون .

والايات فيهذاالمعنى كثيرة جدا يمنعنا عن الاستقصاء فيهاوبيانها ماشرطنا على انفسنا فى صدر الرسالة من الاختصار .

و من ابلغها فى هذاالباب قوله سبحانه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا و قد مر ان النعمة فى هذه الاية هى الولاية و هى السبيل الى الله و يقابله الكفر و احلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار فغاية هؤلاء البوار لجمودهم على الظاهر واعراضهم عن الباطن و الظاهر بائر و الباطن ثابت قاطن كما يشير اليه قوله سبحانه

و بشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم و قوله فی مقعد صدق عند مليك مقتدر وقوله لايسمعون فيها لغوا ولا تاثيما وقوله لايسمعون فيها لغوا و لاكذابا فغاية المؤمنين هومحل الصدق والحق ليس فيه لغو و لاكذب بخلاف غيرهم .

وكيف كان فاصحاب الاعراف هم المهيمنون على المكانين المشرفون على الفريقين وليست هذه الكثبان كثبان رمل من مادة ارضنا فقد قال سبحانه فی وصف الارض يومئذ لاترى فيها عوجا و لا امتا بل انما هو مقامهم المرتفع عن ساحة اهل الجمع فهم غير محضرين فهم المخلصون الذين حفظهم الله سبحانه من صعقة النفخ وفزع اليوم ومقامهم الحجاب و فيه الرحمة التى وسعت كل شیء و النار التى احاط باهلها سرادقها و هو المستشعر بقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولم يقل سبحانه فاذن بينهم مؤذن كما لايخفى وهم الحاكمون يوم القيمة قال سبحانه و نادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ماغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة و هى الجنة كما مر وكما يدل عليه قوله ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون و هم اصحاب الروح الماذون لهم فی الكلام والقول الصواب فی قوله سبحانه يوم يقوم الروح و الملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن و قال صوابا .

وقد فصلنا القول فی معنى الروح وايمانه وعلمه فی رسالة الانسان

قبل الدنيا فى قوله سبحانه و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان فهم اعنى اصحاب الاعراف هم المعنيون ظاهرا بقوله سبحانه و تريهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى و قال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة فقد قضوا بخسرانهم .

و هم ايضا المعنيون بقوله تعالى و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون فزعمهم ذلك لما قيدوا فى الدنيا فلم يتسع انظارهم بازيد من ان يدركوا ساعة من دهرهم واقعون فيها فاتهم ماكانوا عليه قبل النزول فى الدنيا وماسيكونون عليه بعد الارتحال من الدنيا ووقعوا فيها بحسب سيطرة الزمان لاتزال ساعه تبطن وساعة تظهر فهم يقسمون حين البعث مالبثوا غير ساعة وهذا الوهم الشبيه بالحقيقة قدقرره سبحانه بقوله كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار بلاغ وقوله قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون و لذلك فليس قولهم و قسمهم على مايقولون و يدعون تقليلا منهم لمدة مكثهم فى الارض بالنسبة الى البقاء الابدى الذى شاهدوه حين البعث ولذلك اردف ذلك بقوله كذلك كانوا يؤفكون .

وقول اولى العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث

كانه اشارة الى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وقد مر معنى الاية فى الكلام فى الاجل والموت واذكان اللبث و انتهائه مفروغا منه اردفوه بقولهم فهذا يوم البعث و هو النتيجة و قالوا ولكنكم كنتم لاتعلمون بهذا الانتهاء والتحديد وان الساعة كلمح البصر او هو اقرب وان جهنم لمحيطة بالكافرين.

واعلم ان صدور هذه الدعوى الباطلة من المبعوثين.

ثم ظهور بطلانها لهم و امثال ذلك كالمخاصمات التى تقع بين الضعفاء والمتكبرين والاتباع والمتبوعين يوم القيمة على ماحكاه سبحانه عنهم لاينافى مامر من ان اليوم يوم يظهر فيه الحقايق وترتفع فيه الحجب فان الظهور بنفسه يتحقق عن خفاء وينحل الى مراتب غير ان الامر طويل عسير عند بعض و قليل نزر يسير عند آخرين هذا.

والاخبار الواردة فى الباب يؤيد مامر من المعانى فقد روى العياشى عن سلمان قال سمعت رسول الله (ص) يقول لعلى (ع) اكثر من عشر مرات ياعلى انك والاوصياء من بعدك اعراف بين الجنة والنار لايدخل الجنة الامن عرفكم وعرفتموه ولايدخل النار الامن انكركم وانكرتموه.

وروى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع) كل امة يحاسبها امام زمانها ويعرف[١] الائمة اوليائهم واعدائهم بسيماهم وهو قوله و على الاعراف

١ـ وكانهم المراد فاعلا للفعل المجهول فى قوله سبحانه يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى و الاقدام الاية فهو سبحانه لا يخفى له منهم شىء و المجرمون فى شغل عن المعرفة منه.

رجال يعرفون كلا بسيماهم فيعطوا اوليائهم كتابهم بيمينهم فيمروا الى الجنة بلا حساب و يعطوا اعدائهم كتابهم بشمالهم فيمروا الى النار بلاحساب .

وروى فى الكافى عن اميرالمؤمنين (ع) فى قوله تعالى و على الاعراف رجال الاية نحن على الاعراف نعرف انصارنا بسيماهم ونحن الاعراف الذين لايعرف الله عزوجل الا بسبيل معرفتنا و نحن الاعراف يوقفنا الله على الصراط فلايدخل الجنة الامن عرفنا وعرفناه ولايدخل النار الا من انكرنا وانكرناه .

اقول استفاد (ع) هذا المعنى و هو ان الاعراف من المعرفة من قوله سبحانه رجال يعرفون كلا بسيماهم الاية ومن المحتمل ان يرجع (ع) الضمير فى سيماهم الى قوله رجال و كلا جميعا فافهم .

وروى القمى عن الباقر (ع) انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الاعمال و انهم لكما قال الله عزوجل اقول يشير (ع) الى قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اه .

وفى الجوامع عن الصادق (ع) الاعراف كثبان بين الجنة والنار يوقف عليها كل نبى و كل خليفة نبى مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده و قد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم عليهم المذنبون وذلك قوله تعالى سلام عليكم

لم يدخلوها و هم يطمعون ان يدخلهم‌الله اياها بشفاعة النبی و الامام و ينظر هؤلاء الى النار فيقولون ربنا لاتجعلنا مع‌القوم الظالمين و ينادی اصحاب الاعراف وهم الانبياء و الخلفاء رجالا من اهل النار و رؤساء الكفار يقولون لهم مقرعين ماغنی عنكم جمعكم و استكباركم هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم و يحتقرونهم بفقرهم و يستطيلون عليهم بدنياهم ويقسمون ان‌الله لايدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقول اصحاب الاعراف لهؤلاء المستضعفين عن امر من امرالله عزوجل لهم بذلك ادخلواالجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون ای لاخائفين ولامحزونين.

اقول وخصوصيات هذا الحديث مستفادة من‌خصوصيات آيات الاعراف والاخبار فيهذه‌المعانی كثيرة مروية فی‌تفسيری‌القمی‌والعياشی وفی الكافی والبصاير و المجمع والاحتجاج هذا.

والبرهان‌المذكور سابقاربما استفيد منه هذاالموقف وهووصول قوم الى مقام ينشعب منه مقام الفريقين و لحوق الضعفاء و المتوسطين بهم وبه‌يظهر ان‌الاعراف ليس‌موقفا ذامرتبة واحدة بل‌ذومراتب ولذلك لانری‌تصريحا منه سبحانه ان‌المستضعفين على‌الاعراف كالرجال الذين يحكمون فيها و انما المفهوم انهم عندهم يشيرون اليهم و يخاطبونهم ويأمرونهم ويؤمنونهم.

فصل ۱۴

فی‌الجنة بسط‌الكلام فيها وشرح ماتضمنته الايات والاخبار على

كثرتها فيها اوسع من مجال هذه الرسالة فقد وردت فى كتاب الله تعالى فى وصف الجنة مايقرب من ثلثمأة آية و ذكرها مطرد فى جميع سور القرآن الا عشرين سورة هى سورتا الممتحنة والمنافقين و ثمان عشرة سورة من السور القصار لكنا نتعرض لكليات اوصافها على حسب المقدور.

فاعلم ان المستفاد من كلامه سبحانه ان هناك ارتباطا مخصوصا بين الارض وبين الجنة قال سبحانه **وقالوا الحمدلله الذى صدقنا وعده و اورثنا الارض نتبؤ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين** و لعل قولهم صدقنا وعده اه اشارة الى قوله سبحانه **ان الارض يرثها عبادى الصالحون** والوراثة هى ان تملك شيئا بعد ما ملكه آخر قبلك وتخول منه ماخوله سلفك فالميراث يحتاج الى شىء ثابت اعتورته يد بعديد وقام به خلف بعد سلف وكان مقتضى ظاهر السياق فى بيان صدق الموعد ان يقال واورثنا الارض نتبؤ منها اويقال واورثنا الجنة نتبؤ منها فالعدول عن ذلك الى ماترى يعطى ارتباطا ما و اتحادا مخصوصا بين الارض و الجنة كما ترى.

وقداخبر سبحانه بتبديل الارض يوم القيمة تارة فقال **يوم تبدل الارض غير الارض**.

و باشراقها بنور ربها تارة فقال **و اشرقت الارض بنور ربها**.

و بقبضها تارة فقال **والارض جميعاً قبضته يوم القيمة** و يشير الى مامر بقوله **وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار**.

و اصرح منه قوله سبحانه **و الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم**

و اقاموا الصلوة و انفقوا مما رزقناهم سرا و علانية و يدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم و ذرياتهم و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار.

فقد فسر ووصف عقبى الدار بجنات عدن يدخلونها و الدخول يستدعى خروجا ما سابقا فمثلهم كمثل الذى يسكن ارضا ثم يعمر فيها دارا يسكنها ثم يزين قبة من قبابها فيدخلها فانما هو اوج بعد حضيض او ارتقاء بعد ارتقاء قال سبحانه كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها.

وهناك آيات أخر تشعر بذلك كقوله سبحانه ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين وقوله تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله و تلك الجنة التى اورثتموها بماكنتم تعملون.

وفى المجمع عن النبى (ص) مامن احد الا و له منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار و المؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها بماكنتم تعملون.

اقول و الرواية لوصحت لم تناف ماذكرناه من وراثة الارض و كذلك سياق قوله سبحانه قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وهو ظاهر هذا والبرهان السابق تستفاد منه هذه الوراثة.

ثم اعلم انه سبحانه كرر الوعد بتطهير الجنة و اهلها و تطييبها من الكدورات و الظلمات قال تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فالتفريع بالفاء يعطى طيب المنزل كطيب النازل وقال سبحانه سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار و التفريع فيها يعطى طيب المنزل وهوالارض بطيب النازل بالصبر والفرق من جهة ان السلام الاول شكر والثانى فى مقام البشرى .

وقال سبحانه ومساكن طيبة فى جنات عدن و قال و نزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لايمسهم فيهانصب وماهم منها بمخرجين وقال لايمسنا فيهانصب ولا يمسنا فيهالغوب الى غير ذلك من الايات و اجمعها معنى قوله سبحانه ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون .

فالخوف انما يكون من المكروه المحتمل والحزن على مكروه واقع فقد نفى سبحانه كل نقيصة و عدم واقع فى الموجود و محتمل فاصحاب الجنة مبرئون عن النواقص والاعدام و كاملون فى وجودانهم فلا مزاحمة من مزاحمات الدنيا هناك اصلا فهى المرفوعة عنهم فهم المفلحون المغشيون بالامن والسلام قال سبحانه ادخلوها بسلام آمنين وقال لايسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما .

ثم اعلم انه سبحانه وعدهم فيها كل لذة و بهجة و جمال و كمال قال سبحانه لهم ما يشائون عند ربهم و قال نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم .

واكثرالايات واردة فی‌وصف خصوصيات من‌قصورها وحورها وطيورها واشجارها و اثمارها و انهارها و فواكهها و ظلها و شرابها و غلمانها و خلودها و ينبغی لك ان تفهم منها معانيها مطلقة غير مشوبة بالنواقص و الاعدام .

ثم اعلم انه سبحانه وعدهم امرا وراء ذلك فقال **فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرة اعين جزائا بما كانوا يعملون** و هذا الوعد بعد ماوصف سبحانه عطائه بكل صفة جميلة بليغة يعطی انه امرو راء مايسعه افهام النفوس .

وقد روی القمی فی تفسيره عن عاصم بن صمد عن الصادق (ع) فی حديث يصف فيه الجنة قال قلت جعلت فداك زدنی فقال ان الله خلق جنة بيده ولم يرها عين ولم يطالع عليها مخلوق يفتحها الرب كل صباح فيقول ازدادی ريحا ازدادی طيبا وهو قول الله فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون .

اقول و قوله جزائا بما اه يعطی ان هذا الذی فوق فهم الافهام اخفيت للانسان بازاء العمل جزائا له وقد قال سبحانه **لهم مايشائون فيها** فكل ما تتعلق به المشية مملوك للانسان هناك وقال ايضا **و ان ليس للانسان الا ماسعی و ان سعيه سوف يری ثم يجزاه الجزاء الاوفی** فكل ما يحباه الانسان هناك اعم مما يسعه الفهم ومالايسعه مملوك له لمكان قوله لهم اه وواقع تحت المشية المطلقة لقوله مايشائون اه لكن الاية تفيد ان للانسان كمالا فوق مرتبة الفهم يمكن ان يملكه بالعمل وهو ظاهر ولعل

ذلك مايفيده قوله سبحانه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وهو المشاهدة بالقلوب فی‌غیر جهة ولاجسم ولاتشبيه لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه احدا حيث رتب اللقاء على العلم النافع و العمل الصالح ثم انه قال سبحانه لهم مايشائون فيها ولدينا مزيد فاثباته‌المزيد لديه بعد مااخبر ان‌لهم كل مايتعلق به مشيتهم يعطى انه امر لايقع تحت مطلق المشية و لاشك انه كمال وان كل كمال تقع تحت‌المشية فليس الاانه كمال غيرمحدود فلايقع تحت المشية اذكل مايقع تحتها يصير محدودا هذا.

و فى تفسير القمى فى قوله و لدينا مزيد قال (ع) ينظرون الى رحمة‌الله.

اقول و لعل الرواية مستفادة من قوله تعالى ليجزيهم‌الله احسن ما عملوا و يزيدهم من فضله و الله يرزق من يشاء بغير حساب فبين ان المزيد الذى هو رزق بغير حساب من الفضل و قد قال و لولا فضل‌الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا.

فالفضل من‌الرحمة وهى‌الرحمة من غير استحقاق و قال سبحانه و رحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون فهذا المكتوب لهم الذى لايسعه شىء هوالمزيد ولئن تدبرت فى قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و قوله اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم‌الله برحمة ادخلوا الجنة الاية وقوله ان رحمة‌الله قريب من

المحسنين وقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قضيت ان الرحمة هي الجنة بوجه بل ان الجنة من مراتبها .

فصل ۱۵

في النار اعاذنا الله سبحانه منها والايات الواردة في تفاصيل العذاب و الاخبار بها اكثر عددا من آيات الجنة فهي تقرب من اربعماة آية و ماخلت عن ذكرها تصريحا او تلويحا الا اثنتا عشرة سورة من السور القصار و كيف كان فجملة حالهم انهم محرومون من الحيوة الحقيقية الاخروية قال سبحانه قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وقال انه لاييأس من روح الله الاالقوم الكافرون وقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون و قد قال سبحانه في وصف الاخرة وان الدار الاخرة لهي الحيوان و هي الرحمة الالهية التي هي منبع كل كمال و جمال كما قال و رحمتي وسعت كلشيء فساكتبها للذين يتقون و هي تفيد انهم في عين حرمانهم منها مشمولون لها و قد قال وبينهما حجاب وقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ويتحصل منه انهم في عين مشموليتهم للرحمة محرومون عنها لكونها في باطن حجاب هم لايجاوزون ظاهره و قد مر بيانه في فصل الاعراف فالحجاب هو الذي يمنعهم من النعيم و ظاهره هو الذي يعذبون به و قد بين سبحانه انهم انما يعذبون باعمالهم السيئة باقسامها فاعمالهم هي انواع عذابهم و الاصل الذي ينشعب منه هذه

الانواع هو اصل الحجاب لهم وهو الغفلة قال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لايبصرون بها و لهم اذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون و قال سبحانه كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فهم متوقفون فى حجاب اعمالهم و قد قال سبحانه و قدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا.

و قال اعمالهم كسراب بقيعة يحسبة الظمان ماءا حتى اذاجائه لم يجده شيئا و وجدالله عنده فوفيه حسابه.

و قال الم تر الى الذين بدلوا نعمةالله كفرا و احلوا قومهم دارالبوار جهنم يصلونها وبئس القرار.

و قال ومكر اولئك هو يبور.

فمقامهم سراب الاوهام دون الحقيقة والظاهر دون الباطن والبوار والهلاك دون الحيوة وموطنها كلها هو الدنيا التى حيوتها متاع الغرور و لذلك فلها ارتباط خاص بجهنم قال سبحانه و ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال سبحانه فى سورة السجدة ولو شئنا لاتيناكل نفس هديها و لكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة و الناس اجمعين.

و هذه من ابلغ الايات فى الكشف عن شان جهنم و لذلك ورد

عنهم (ع) كما فى ثواب الاعمال عن الصادق (ع) من اشتاق الى الجنة والى صفتها فليقرء الواقعة ومن احب انينظر الى صفةالنار فليقرء سجدة لقمن وفى معنى الاية السابقة قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه الى اسفل سافلين الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون.

ومن مامر يظهر معنى صنف آخر من الايات كقوله سبحانه فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة و قوله قوا انفسكم و اهليكم نارا وقودها الناس والحجارة.

والمراد بالحجارة بقرينة المورد هى الاصنام المتخذة من الحجارة المعبودة من دون الله.

و قوله سبحانه اولئك هم وقود النار و قوله سبحانه انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم و قد استدرك سبحانه المعبودين من دون الله من عباده الصالحين بقوله بعد الاية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون و قوله سبحانه نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة الايات.

و اعلم ان ما مر اصول صفة النار و هى المستفادة من البرهان السابق.

فصل ۱۶

فى عموم المعاد قال سبحانه ماخلقنا السموات و الارض و ما

بينهما الا بالحق واجل مسمى افاد ان خلقة ما فى السموات و الارض وما بينهما مقرون بالحق واجل مسمى و الباء للسببية او للمصاحبة وقد عرفت فى الفصل الاول ان الاجل المسمى هو الحيوة عند الله حيوة تامة سعيدة من غير فناء وزوال ولاشوب بمزاحمات الحيوة الدنيا و آلامها واعراضها و اغراضها وهى حيوة الدار التى نزلت منها كما قال سبحانه و ان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فمنبع حيوة جميع هذه الموجودات على كثرتها وتفصيلها حيوة تامة غير محدودة ومعادها الى مابدئت منه.

وهذا هو الذى يعطيه كون الخلقة بالحق فان الباطل هو الفعل الذى لاينتهى الى غاية تكون هى المنتهى اليها والمرادة بالفعل و من المحال ان يكون المراد والغاية بالفعل نفس الفعل وبالخلق نفس الخلق الا ان يكون كاملا فى اصل وجوده غير متدرج من النقص الى الكمال ثابتا غير متغير فالبراهين مطبقة على ذلك على انه من القضايا التى قياساتها معها.

و مثل الاية السابقة قوله سبحانه و ما خلقنا السماء و الارض وما بينهما باطلا وحيث لم يفرق سبحانه فى السياقين بين الموجودات الحية باعتقادنا وغيرها و العاقلة و غيرها علمنا بذلك ان حكم المعاد و الحشر يعم الجميع.

ثم انه سبحانه قال فى خصوص الاحياء من خليقة الارض وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون.

وظاهر آخر الاية ان حشرهم انما هو لكونهم امما امثال الناس غير باطل الخلق ففيهم غاية مقصودة من الخلقة وهى العود فالفرق والنشر مقصود للجمع والحشر كما ان الجمع والحشر مقصود للفرق و النشر يعطى ذلك قوله سبحانه و ان من شىء الا عندنا خزائنه وكك صفاته و اسمائه تعالى فافهم ان كنت من اهله انشاءالله .

فحشرهم الى ربهم نتيجة كونهم امما امثال الناس او كالنتيجة له و يبين السبب فى ذلك قوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شىء فانه الكتاب الحق الذى يقول فيه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وحقية الكتاب تعطى ان لاتكون الاختلافات التى تجعل الدواب و الطير امة امة يفترق كل امة عن غيرها باشكال وصور وافعال و خواص فيها لغوا باطلا بل مؤثرا فى الغاية و المنتهى من دون استهلاك لها و زوال فى الوسط قبل البلوغ الى الغاية و الاكان الاختلاف باطلا و تفريطا فى الكتاب مخلا لاتقانه فقد تحصل ان الحيوانات الارضية امم امثال الناس بينهم و لهم ماللناس من العود الى ربهم والاجتماع عنده سبحانه وقال سبحانه ايضا ومن آياته خلق السموات و الارض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم اذا يشاء قدير فعمم الحكم الى كل ذى روح فى السموات والارض و مثله قوله سبحانه ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا .

و قوله عبدا اه يعطى ان لكل منها عبودية بحسب نفسه و نسكا

الهيا يتقرب به الى ربه وقد مر تفسير الفرد.

واعلم ان قوله وكلهم آتيه يوم القيمة فردا على ما يفسره الايات من معنى الفرد يعطى لقوله وهو على جمعهم اه معنى آخر غير مايتسابق الى الفهم من معنى الجمع وقد تكرر اطلاق الجمع والحشر على البعث فى الايات كقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه وقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وبذلك يتضح معنى قوله سبحانه و سيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وقوله و سيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقوله ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فير كمه جميعا فيجعله فى جهنم.

ولنرجع الى ماكنافيه ويشير الى بعث غير ذوى الروح والشعور قوله سبحانه و من اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة و هم عن دعائهم غافلون و اذا حشر الناس كانوا لهم اعدائا و كانوا بعبادتهم كافرين و ضمير كانوا فى الموضعين راجع الى المعبودات من غير الله كما يدل عليه قوله سبحانه ذلكم الله ربكم له الملك و الذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم و يوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وكفرهم قولهم على ماحكاه سبحانه تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون.

وبالجملة فقوله من لايستجيب له اه ظاهر الدلالة على انه المعبودات من غير الله من النبات والجماد غير البشر والملئكة فهم مبعوثون ليوم القيمة

بدلالة قوله و اذا حشر الناس كانوا لهم اعدائا اه و يدل عليه بعينه قوله سبحانه اموات غير أحياء وما يشعرون ايان يبعثون .

واعلم ان ظاهر هذه الايات ملازمة البعث مع الحيوة والعلم كما يفيده حال الضماير فى الايات فما الطف اشارة قوله ومن آياته خلق السموات و الارض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم اذا يشاء قدير و قد مر فى فصل الشهود ان ظواهر الايات تعطى سراية الحيوة والعلم الى جميع الموجودات .

واعلم ان ماذكرناه من شمول البعث لغير البشر والملك من ساير ماخلق الله تعالى فى السموات والارض ومابينهما هو الذى يدل عليه الاخبار الا انها متفرقة مثل ما يدل على ان كلب اصحاب الكهف و ناقة صالح والنعم التى حج عليها ثلث سنين او سبعا تدخل الجنة و ان الوحوش والكلاب تدخل النار تنهش المجرمين قال تعالى واذا الوحوش حشرت.

وماورد ان الله تعالى ياخذ يوم القيمة للجماء من القرناء رواه فى المحاسن عن امير المؤمنين (ع) وفى المجمع عن النبى (ص) .

وماورد من قوله (ص) حين راى ناقة معقولة و عليها جهازها اين صاحبها مروه فليستعد غدا للخصومة رواه فى الفقيه عن النبى (ص) وما ورد عنهم (ع) فى مانع الزكوة انه تنهشه كل ذات ناب بنابها وتطئه كل ذات ظلف بظلفها وماورد فى الضحايا الى غير ذلك .

واعلم ان الايات غير متعرضة لحال بعث من خلقه الله تعالى فيماوراء السموات والارض وهم جماعة من خلق الله تعالى لايحد وجودهم حد

ولايقدر ذواتهم قدر فهم ارفع من الحد والقدر فلايتصور فی حقهم بعث واعادة غير اصل خلقهم والصفات التی تبرز يوم القيمة حاصلة عندهم دائما وقد ذكرناها فی الفصل الرابع فالبدء و العود فی حقهم واحد و لذلك لم يرد فی كلامه سبحانه مايشعر بالبعث فی حقهم هذا .

ويلحق بهم فی ذلك المخلصون فقد مر نبذة من حالهم فی تضاعيف الفصول الماضية فهم عندالله لا يحجبهم عنه حجاب مستور ليسوا فی سماء ولا ارض وهم المهيمنون على الجميع المتوسطون بينه وبين خلقه فی المبدء والمعاد وهم المستثنون من حكم قبض ملك الموت و اعوانه و الامنون من فزع النفخة و صعقتها و هم غير محضرين لعرصة المحشر وهم الساكنون فی الحجاب الحاكمون بين الناس ولبيان ازيد من هذا من صفاتهم مقام آخر .

واعلم ان مامر هو المستفاد من البرهان على مايعطيه الاصول السابقة فان الغاية عين الفاعل بالضرورة فما بدء منه شیء فی وجوده وتعين من لدنه فی ذاته لابدان يكون هو المنتهی اليه وجوده .

و من هنا يظهر ان كلا من الجنة و النار ذات مراتب و درجات فمراتب الجنة آخذة من تحت الى فوق ومراتب النار بالعكس من ذلك .

ومن هنا يظهر ان كل درجة عالية فی الجنة مرتبة لفاعل ذی الدرجة الدانية ولو تصور فی النار مثل ذلك لكان الامر بعكسه .

ومن هنا يظهر معنى اللحوق والشفاعة وقد مر مرارا ويظهر معنى جم غفير من الايات والروايات والله الهادی وهو المعين .

خاتمة

وقد عزمنا فيما مر على تخصيص فصل مستقل فى آخر الرسالة بالكلام فى معنى المغفرة لكن ضيق المجال وتراكم الاشغال منعنا عن الكلام وحجب دون المرام والله سبحانه اسئل ان يوفقنى انالحق فصلا بهذه الرسالة يتبين به ماكنا نريده من وضع الكلام فى ذلك و ارجوه ان يشاء ذلك فانه على كل شىء قدير .

و اعلم ان نوع الكلام فى مباحث المعاد طويل الذيل مبسوط الاطراف ويهديك الى ذلك انتتدبر فى ماورد فى كل من المبدء والمعاد من الايات القرآنية والبيانات الالهية .

والذى صدنا عن الغور فى ازيد مما تشاهده فى تضاعيف الفصول السابقة هو ايثار الاختصار على ان بسط المقال بازيد مماريت غيرميسر ولاميسور عند الباحثين عن الحقايق ولذلك فالاشارات فيهذه المطالب تغلب العبارات و لذلك غيرنا اسلوب هذه الرسالة عن ساير الرسائل المتقدمة عليها .

الحمد لله على الاتمام بالدوام والصلوة على اوليائه المقربين سيما سيدنا محمد وآله والسلام وقع الفراغ فى العشر الاول من شهر جمادى الثانية من شهور سنة الف وثلثماة وواحد وستين هجرية قمرية وانا العبد محمد حسين الحسنى الحسينى الطباطبائى كتبت فى قرية شاذاباد من اعمال بلدة تبريز

